بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الأردنية الهاشمية

إربد. جامعة اليرموك

كليــة الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة دكتوراة بعنوان

معالم التداولية اللّغويّة عند إبراهيم الكوني

(قراءة لسانية في الرباعية الروائية)

The Features Of Lingual Pragmatics at Ibrahim Al-Quni

(Linguistic Reading of arewaya arubaya)

إعداد

إبراهيم عبدالله سليمان الصغير

2008200027

إشراف الدكتور

عمر يوسف عكاشة

حقل التخصّص: اللّغة والنحو

الفصل الثاني:2013/2012

معالم التداولية اللّغويّة عند إبراهيم الكوني(قراءة لسانية في الرباعية الروائية)

إعداد: إبراهيم عبدالله سليمان الصغير

ماجستير لسانيات عربية، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا.2004

قدّمتْ هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات الحصول على نيل درجة الدكتوراة في اللّغة العربية

بجامعة اليرموك، إربد، الأردن، الفصل الدراسي الثاني،2012-2013.

وافق عليها أعضاء لجنة المناقشة

د. عمر يوسف عكاشة.................................مشرفًا ورئيسًا

أستاذ مشارك في نحو العربية وتراكيبها، جامعة اليرموك.

أ.د. قاسم محمد الرجا المومني...عضوًا

أستاذ مشرف في النقد الأدبي، جامعة اليرموك.

أ.د. زياد صالح الزعبي...عضوًا

أستاذ مشرف في النقد الأدبي، جامعة اليرموك.

أ.د. لطفي أحمد محمد أبو الهيجاء.......................................عضوًا

أستاذ مشرف في اللغويات النفسية الانجليزية، جامعة اليرموك.

أ.د. حسن خميس الملخ. ....عضوًا

أستاذ مشرف في اللّسانيات، جامعة آل البيت.

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ 7 /5 / 2013

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

وَ يَكشِفُ السُّوءَ﴾

النمل:64

الإهداء

لَو مَلَكنا غَيرَ المَقالِ لَجُدنا   إنَّ جُهدَ المُقِلِّ صُنْعُ المُقِلّ (المديد)

– إلى كل من قدّم نفسه لله ببلدي الحبيب (ليبيا)، في الألفية الثالثة؛ فكان شهيدًا، أوجريحًا، أو مفقودًا، أوثائرًا حقيقيًّا ضدّ نفسه الأمّارة بالسوء، ثُمّ ضدّ الفساد في أيّ مكان ... أُهدي تخليدًا للذكرى!

– إلى أغلى إنسانة رأيْتُها في حياتي، سهرتْ، وربّتْ، ودعتْ، وعانت الأمرّيْن من أجلي، ولا زالت تقدِّم ... إلى من قدّم كل رخيص وغال من أجل وصولي إلى هذه المرحلة، ولازال يدعو الله، ويعطي بسخاء ... والديَّ الكريميْن: أبي "عبد الله الصغير" الحبيب، ووالدتي الحبيبة "حواء الأمين" ... أُهدي اعترافًا وإجلالًا!

– إلى شقيقي المهندس بمجمّع الحديد والصلب جمال خاصة، الذي عطّلته كثيرًا، وشكّل معي جسم التوأم، وكل أشقائي وشقيقاتي عامّة، وفَّروا لي كل احتياجاتي في الغربة ... أُهدي تقديرًا!

– إلى عمي المهندس الزراعي "عبد الرحمن الصغير" (أبي الروحي)، المشجّع الرئيس في مواصلتي لدراستي... أُهدي احترامًا!

– إلى المشاغبيْن (التوأم فراس وريماس) كم مزّقتُما لي من ورقة ؟! كم لطّختما بأكلكما وشربكما كتابًا لي؟! كم لصصتما على دفتر لي؟! كم خربشتما لي كرّاسًا، كم فررتُما بقلم؟! كم سطوتُما على ممحاة ومبراة؟! وكم وبّختُكما؟!... أُهدي وِسام البراءة!

- إلى زوجتي"أم فراس"، وتحصينًا لها أقول: "أعوذ بكلمات الله التامّة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة". احتملتِ وتصبّرتِ؛ حتى ظنّنتِ أني لا أراكِ، وأن لا مكان لكِ. وهل ترى العين إنسانها شريكتي؟! مكانك في القلب سيدتي!...أُهدي حُبًّا ووفاء!

- إلى حَماتي الغالية "نجاة المصراتي"، وصهري العزيز "محمد اللافي"، وكل أبنائهما (أصهاري الصغار)، وصهري الصديق "احميدة قزيط"، وصهري "سيمو" خال حرمي المصون (وسام المصراتي)... تحمّلوا أعباء أسرتي وأنا بعيد عنها... أهدي توقيرًا!

الجميع عاش معي مرّ الغُربة، يدًا بيد! لحظة بلحظة! حتى تجرعوا معي كأس الغربة، جُرعة جُرعة! وأنا بعيد عنهم أُعاني دياجير الوحشة: غربة الحنين إلى الوطن والأهل والأصدقاء في زمن الغربة! فكانت غربة في غربة في غربة!

إبراهيم الصغير

0013/4/7

الشكر والتقدير

أزفّ شكري، وأُهدي تقديري إلى كل من قدّم لي خدمة مادّية، ساعدتْني في إنجاز البحث، أوشجّعني، ولوبكلمة طيّبة، وأخصّ بالذكر – وليعذرني من لم أذكره، وأجره على الله–:

- **مشرف الأطروحة:** د.عمر يوسف عكاشة؛ الذي عشتُ معه زمنييْن جميليْن، أعبِّر عنهما بهذيْن البيتيْن:

- *تَرَاهُ إذا ما جِئْتَه مُتَهلِّلا...............كأنك تُعطيه الذي أنتَ سائلُه! (الطويل)

  *يا أعدلَ الناس إلّا في معاملتي... فيك الخصام وأنت الخَصْمُ والحَكَمُ!(البسيط)

- **لجنة التحكيم الموقّرة** على قبولها مُحاكمتي، ونيْلي شرفَ ملاحظاتِ أعضائها، وهم: د. عمر عكاشة، وأ.د قاسم المومني، وأ.د زياد الزعبي، وأ.د لطفي أبو الهيجا، وأ.د حسن الملخ. متمثِّلًا بقول الشاعر:

- ترفَّقْ أيُّها المَوْلى عَلَيْهِم... فإنّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ! (الوافر)

- **المكتبات:** مكتبات جامعات: اليرموك، والأردنية، وآل البيت، والتكنولوجيا، ومؤتة، والهاشمية، والمكتبة الوطنية بعمّان، ومكتبة بلدية إربد.

- **جامعتي** العامرة (جامعة مصراتة)، وأخصّ قسم اللغة العربية بكلية الآداب، الذي رشّحني للإيفاد، وجامعة اليرموك الزاهرة، وتحديدًا قسم اللغة العربية، الذي استقبلني باحثًا.

- "**الثنائي** السيّد"، وسيد القوم خادمهم! صديقي الوفيّ الذي تعلمتُ منه الكثير: د. "محمود ملودة"، وأستاذي الفاضل: د. "عبد الوهاب عبد العالي"... ساعداني كثيرًا في العاصمة طرابلس؛ فعانا معي زمن المتاعب...

- **الدكاترة:** سمير استيتية، الذي علّمني معنى التداولية، وعلي الحمد، الذي شدّ بيدي ولحظ لي الفصل الثاني، وشرّفني بمجاملته اللّطيفة "وسام الكتابة العميقة"، وفوزي الشايب الذي ساعدني كثيرًا في وضع هيكليّة هذا المشروع، وعبد الحميد الأقطش الذي شجّعني في كتابة مقترح

الأطروحة، ولم يبخل عليّ بملاحظاته، وفوزي قرعان الذي أجاب عن تساؤلاتي الأسلوبية، وفخري كتاني، ومصطفى حيادرة، والمستشار الثقافي "أحمد الدويك"، والهادي النجار، وسليمان إسماعيل، وحسن الأشلم، ومحمد الرجوبي، وعمر الباروني، وأحمد الشيلابي، ومحمد الماليزي "أبو رضوان"، **والأساتذة:** محمد الأحول، وامحمد الزوبية، وصلاح الدنفور، وعلي الطويل، ومحمد تيكة، وأحمد النير، وصالح الهدار، ومحمد العريبي، وعبد الباري الشريف، ونوري الزياني، وميلاد الزياني، ومحمد زيد الماليزي، وصالح فتح الله، وخالد البحباح، ومحمد منصور، وميلاد المصراتي، وفيصل أبو بريدعة، وخالد الدلكي، وعبد السلام عليلش، وأحمد النعيري، وإبراهيم عبد الجليل، والمهدي النجار، **والمترجمين:** مفتاح هندي، وأبو أنس الماليزي، وعلاء عبد الجبار، **والشيوخ:** عبد الله القليب، وسالم الفيتوري، وإبراهيم فكرون، وعبدالمنعم بادي، ومأمون الشمالي، ورضوان اللافي، وشرف شتوان، وإبراهيم النيجري، وعبدالله النيجري، وأحمد[أبو] امزيريق، **والطابع:** عمر الشريدة بمكتبة الأفق، **والمنسّق** المهندس فراس بطاينة "أبو علاء"، **وأشقّائي:** محمد، وناصر، وحسن الصغير، **والجار:** عبد العظيم شتوان، **والحاج الأستاذ:** عبدالله عبجة، **والحاج:** عبدالله الأسطى، **وأبناء العم:** محمود علي الصغير، وعبدالحكيم وسليمان محمد الصغير، **وابن العمّة الكيميائي:** محمد الغويل، **وابن الخالة الصيدلي:** وسام زقوط، **وعديلي الجيولوجي:** بشير النعاس، **والسائق المحترِف الظريف:** أبو قتيبة، **وصهري:** فتحي قزيط، **وخالتي** لوالدتي: الحاجة كلثوم، **والصيرفي** الحاج: عادل احميد"مصرف الجمهورية"، **والمكتبيين** بمكتبة الظِّلال: علاء وصلاح وعبدالله لبابنة "أبوآدم"، **والقيِّم بمسجد الجامعة:** فواز أبوعين ... جزاكم الله خيرًا! وشكرًا! شكرًا! شكرًا!

فهرست المحتويات

الملخص بالعربية

الصغير، إبراهيم عبد الله سليمان، معالم التداولية اللّغويّة عند إبراهيم الكوني (قراءة لسانية في الرباعية الروائية)، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن،2013/2012 (المشرف: د. عمر يوسف عكاشة).

دراسة جمعتْ بين التنظير والتطبيق. حاولت الدراسة تحقيق هدفها، وهو كشْف معالم التداولية اللغوية في الرواية؛ بمعرفة مقاصد الكوني ومراميه في الخسوف، عن طريق ربط نصوص الرواية بالسياق والمقام، واستثمار آليات الإحالة، والاستدلال والتأويل التداوليّيْن، والأفعال الكلامية، والكفاءات التأويلية، وتقنيات المعارف: الموسوعية والخَلفية والمشترَكة والعالَم؛ وذلك باستخدام المناهج: الوصفي، والتحليلي التداولي، والوظيفي. درس الباحث الإحالة ووظيفتها التداولية، وتداولية الاستدلال والتأويل، والأفعال الكلامية المباشرة، ولائحة الأفعال الكلامية غير المباشرة، التي زعم أنه استنتَجهامن مدوَّنات آخرين وحوّرها. توصّلت الدراسة إلى أن المَعالم التداولية في الخسوف تمثّلتْ في توظيف الكوني للدرجات التداولية اللّغوية الثلاثة، كما كشفتْ بعضًا من المقاصد التداولية الخاصّة للكوني في الخسوف، ومقصدًا تداوليًّا رئيسًا هو أن الكوني أراد أن ينقل لنا جوّ الصحراء عامّة، والصحراء اللّيبية خاصّة؛ فيجعلنا نعيش معه جوّ الصحراء بحلوها، ونرى الجمال في أدبها، وذلك بوعي منه أو من غير وعي. خرج البحث بتوصيات هي: مشروع التداولية العملية بالمحاضرات، ومشروع الندوة التداولية الشارعية، وكذلك مشروع قاموس الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة للغة العربية، مع إمكانية تطوير كل تلك المشروعات؛ فتُبثّ في صورة برامج عبر الإذاعات، أو أن تُعرَض في شكل عروض مسرحية: كوميديا أو تراجيديا.

الكلمات المفتاحية: تداولية لغوية، إحالة، استدلال تداولي، تأويل تداولي، متضمَّنات القول، الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمدًا لله، وصلاة وسلامًا على محمد بن عبد الله وآله ومن والاه، وبعد...

فإن اتجاه "التداولية اللغوية، فرعٌ لساني، يختصّ بالعلاقة الوطيدة بين الخطاب والسياق، أو بين الخطاب ومستعمله، أي أن المعنى البراجماتيكي لعبارة ما يؤخذ من مجموعةِ عواملِ السياقِ المقولةِ فيه هذه العبارةُ أوتلك، شاملة: الباث وقصدَه، والمتقبِّل وردَّة فعله، والسامع وتفاعلَه، والزمكان وتأثيرَه، والموضوع وحيثياتِه، والأسلوب ووَقْعه، والرسالة اللّغوية ونتائجها العملية، خاصّة السلوكية منها، وكل ما يقع تحت دائرة ظروف الخطاب[1]...إذن فالتداولية اللغوية تتولَّى المعنى ضِمن إطار السياق المحدَّدِ المعالمِ والمقاصد. إن التداولية اللغوية معنيّة بما يرمي إليه المتكلِّم أو الكاتب من معان تتجاوز المعنى المعجمي للكلمات، والمعنى الدلالي للجملة إلى ظلال المعنى، أو لنقل: إلى ماوراء المعنى، فلو قلت: في هذا المكان ثعابينُ سامّة، فإن المعنى التداولي للجملة هو ما قصده الملقي في السياق والمقام المقولة فيه الجملة من طلب أخذ الحذر، أو طلب الاستعداد للانقضاض، أو تعريض بأُناس، أو... كل هذه المعاني التداولية تقتضي الاستقراء، والاستنتاج، والتضمين، ومعرفة المقاصد، والاتجاهات النفسية والاجتماعية على اختلاف وِجْهاتها[2].

وهكذا لم يعد خفيًّا على أحد اليوم أهمية البعد التداولي الساطع في الحياة العملية في أمور عدّة، أهمّها: فنّ التواصل مع الآخرين، والتفاعل في المجتمع، وشحذ همم الجنود في الحروب، وإشهار المنجَز، والثورة المعلوماتية، والأجهزة الحاسوبية، والمعالجات النفسية، وإعداد الكوادر

---

(1)ينظر: الحسن، شاهر،علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص157، 160.

(2) ينظر: نفسه، ص157، 160-161.

الإعلامية، والتحقيقات الجنائية، والمشاكل الاجتماعية، والصراعات الكلامية، والأدبيات اللسانية،...

ضِمن تلك الدائرة الأخيرة، واللِّسانيات التداولية تحديدًا، وفي إطار اللسانيّات العربية، تقع هاته الأطروحة الموسومة بـ: "معالم التداولية اللغوية عند إبراهيم الكوني (قراءة لسانية في الرباعية الروائية)". اختار كاتبها أُنموذجًا رِوائيًا عربيًّا؛ ليكون الحقل التطبيقي للدراسة، هو "الرباعية الروائية"، المعروفة بـ:"الخسوف"، للروائي الليبي "إبراهيم الكوني".

روايته الكبرى (رباعية الخسوف) تتكوَّن من أربعة أجزاء هي: البئر، والواحة، وأخبار الطوفان الثاني، ونداء الوقواق، ويضرب زمنها في العصور البدائية الأولى، متقاطعًا مع محطات زمنية مختلفة في ليبيا من العصر التركي والاحتلال الإيطالي، مرورًا بالانتداب الإنجليزي والفرنسي والأمريكي حتى الاستقلال والعهد الملكي ومظاهرات1964.

قد تسألني: إبراهيم الكوني بالذات لِمه؟ وعلام الخسوف بذاتها؟ حتى يكون العمل وطنيًّا وعالمياً كان إبراهيم الكوني بعينه، أما روايته الرباعية الروائية فكمّها اللّغوي يساعدني في الدخول إلى مرحلة لذة النص؛ كما أنها تمثّل ريادية الأعمال الروائية لإبراهيم الكوني.

وعطفًا على ما مضى فإن معالم التداولية اللغوية عند إبراهيم الكوني (قراءة لسانية في الرباعية الروائية) أراد الباحث من خلالها إيجاد حلول لمشاكل حياتية(حيوية) وإجابات لأسئلة تداولية هي: من الذي يتحدّث في الخسوف؟ وماذا يقول بالضبط حين يتحدّث؟ ومع مَن يتحدَّث؟ ولماذا يُخاطبنا بهذا الشكل وليس ذاك؟ وماذا نفعل عندما نسمع خطابه؟ وكيف يمكن أن يقول شيًّا وهو يقصد شيًّا آخر؟ هل يمكن أن نطمئن للمعنى الحرفي لمنطوقه؟ ما الاستعمالات الممكنة لخطابه؟

انطلق الباحث فيها من فرضية تقول: إن روايات الكوني مُكتظّة بمعالم التداولية اللغوية، وأن للكوني مقاصدَ تداولية يمكن استشفافها، خاصّة الأنموذج المُختار (الخسوف)، فأعدّ خطّته المتمثِّلة في الفصول الثلاثة، والمقدِّمة، والتمهيد، والخاتمة، وفهرست للمصادر والمراجع، وغيره للمحتويات، والملخصيْن العربي والانجليزي.

لقد حاولت الدراسة تحقيق هدفها وهو كشْف معالم التداولية اللغوية في الرواية؛ بمعرفة مقاصد الكوني ومراميه في الخسوف، عن طريق ربط نصوص الرواية بالسياق، واستثمار آليات الإحالة، والاستدلال، والتأويل، والأفعال الكلامية، والكفاءات التأويلية، وتقنيات المعارف: الموسوعية، والخَلفية، والمشترَكة، والعالَم؛ وذلك باستخدام المناهج: الوصفي، والتحليلي التداولي، والوظيفي، في فصول ثلاثة، اقتربت جدًّا من تصنيف هنسن للغة في درجاتها التداولية الثلاثة (الرموز الإشارية، والتأويل التداولي، والأفعال الكلامية). هذه الفصول هي: الفصل الأول: الإحالة ووظيفتها التداولية في رباعية الكوني، ودرس فيه الباحث نوعي الإحالة: اللّغوية، بفرعيها: القبلية والبعدية، والمقامية، كما درس العناصر المُحيلة لتلك الإحالات: الضمير والإشارة والتعريف بـ"الـ"، مُحاولًا التوْفيق بين آراء اللّسانيين: هاليدي ورقية حسن وبراون ويول ومحمد خطابي ومحمد الشاوش، وَفق رؤية خاصّة باللغة العربية على وجه الدّقّة. الفصل الثاني: تداولية الاستدلال والتأويل في رباعية الكوني، وفيه درس الباحث: مبادئ التأويل التداولي (أدواته)، ويقع فيها: التأويل المحلّي، والقياس التداولي، والتغريض، كما درس فيه وظائف الاستدلال التداولي، ويقع فيه: استدلال الجسر الافتراضي، واستدلال المقارَنة، والاستدلال المغلِق لفراغات الفهم، ودرس أيضًا متضمَّنات القول التداولية، وفيها: الافتراض التداولي المسبق، والأقوال المضمَرة، والاقتضاء التداولي، والاستلزام الحواري. الفصل الثالث: الأفعال الكلامية ووظيفتها التداولية في رباعية الكوني، ويحتوي: الأفعال الكلامية المباشرة (الإخباريات، والوعديات، والطلبيات، والإيقاعيات،

والبوحيات) والأفعال الكلامية غير المباشرة (الأسلوب الخبري، الأسلوب الإنشائي، الصورة المزدوَجة، الجواب غير المباشر)، وقد زعم الباحث أنه استنتَجها وحوّرها من مدونات آخرين. توصّلت الدراسة إلى أن المَعالم التداولية في الخسوف تمثّلتْ في توظيف الكوني للدرجات التداولية اللّغوية الثلاثة، والمقصد التداولي الرئيس للكوني وهو أن ينقل لنا جوّ الصحراء عامّة، والصحراء اللّيبية خاصّة؛ فيجعلنا نعيش معه الصحراء بحلوها ومرها، ونرى الجمال في أدبها، من خلال روائيته الخسوف، وذلك بوعي منه أو من غير وعي.

يعتقد الباحث بعمله في الخسوف أنه يفيد القرّاء من فهم مقاصد الكوني في روايته، وفهم مجتمعه الطوارقي (نسبة إلى قبيلة الطوارق) فيما يدخل في أدب الصحراء، ولعل ذلك يمتد ليمس القارئ في صلته بواقعه المحيط به، من خلال المفهوم السائد لفكرة الاستدلال التداولي، الذي يفكّك العمل الأدبي ويقرؤه تداوليًّا.

معالم التداولية اللغوية عند إبراهيم الكوني (قراءة لسانية في الرباعية الروائية) يبقى طموحها هو القراءة اللسانية، بوحدة قياس هي التداوليات، وبالتحديد فيما يُعرف بالتداولية اللغوية؛ لاعتقاد الباحث أن التداولية اللّغوية توسّع حدود النص، ممتدّة من اللغة إلى ما وراء اللغة، لفهم الرسالة اللّغوية في حدود سياقها على الوجه الأتمّ، و إحساسه بأن التداولية اللغوية تتجاوز حدود النص أو العمل الأدبي وجمالياته، بوِجاهِ آفاقٍ رحبة من الفهم والوعي، إلى الأبعاد الكامنة وراء ذلك بوعي ثقافي وتاريخي واجتماعي نقديّ(1).

أما عن أهم **الصعوبات** التي واجهتْ الباحث فأهمها:

---

(1) استفدتُ كثيرًا من مقابلة، جمال، وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية "قراءة تداولية ثقافية"، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن م2، ع2، 2006، ص37.

– ظروف بلدي ليبيا التي لم تستقر حتى الآن، والجو النفسي الذي مازلنا نعيشه، قلقين على أهالينا وعائلاتنا، نضع أيدينا على أكفافنا، متضرّعين إلى الله، نترقب! ومع تفاؤلنا نقول: الحمد لله على كل حال!– ظروفي باحثا، وأنا طالب متعثّر، مطلوب مني إنجاز بحث رصين، وعراك مع ثلاثة عوالم هي :عالم التداوليات وما أعمقها! وعالم الكوني وما أبرعه! وعالم الروايات وما أوسعه! وكل ذلك مطلوب مني التخصّص فيه والتخرج منه في سنتيْن. – ظروفي المرَضيّة التي عشتُها، والتي كثيرًا ما أجبرتْني إلى ترك مشروع البحث والسفر إلى عمّان لإجراء الكشوفات المتقدِّمة اللّازمة، والحمد لله!– كم كانت فرحتي كبيرة عندما أبلغني أحد الأصدقاء المخلصين بوجود ضالّتي، وهو يخاطبني: "وجدتُّ لك نسخة Pdf للرواية بأجزائها الأربعة"! لكنها فرحة لم تتِمّ؛ حيث إن النسخة صورة محميّة، لا تستطيع من خلالها رصد الكلمات التي تريد إحصاءها؛ ما كان العقبة الكأداء في الحيْد عن الدراسة الإحصائية للرواية، كما أنك إن استطعت أن تنقل صفحة من تلك الصورة، فإنك لن تستطيع تحويرها بالخط الذي تريد، أقصد الخط المطلوب منك أكاديميًّا الكتابة به حسب الدليل الجامعي في الكتابات البحثية؛ ومما يزيد ألمًا وحسرة أنك لا تستطيع تثبيت النصّ المنقول منها في ملفّ خاصّ بحاسوبك، ناهيك عن انعدام قدرتك في قصّ فقرة واحدة من الصفحة؛ وحتى بعد عرض المشكلة على عدد من المهندسين في الحاسوب لم أستفد من النسخة الالكترونية إلّا في القراءة؛ ما أهدر كثيرًا من وقتي وجهدي في نقل النصوص مطبعيًّا. – عدم استقرار التداوليات، وماهي كونيته هل هو علم؟ هل هو نظرية؟ هل هو مستوى؟ هل هو اتجاه؟ هل هو منهج...، ولا أحدّثك عن الاختلافات العلمية والتناقض الرهيب في القضايا التداولية بين روّاده إلى حدّ الهدم والتفنيد، بدءا بأوستن وسيرل ومرورا بفان دايك وليتش وهاليدي وانتهاء بوندرلايش وريكاناتي، اللّذيْن انتقدا سيرل في تصنيفه للأفعال الكلامية المباشرة، وسيظهر جليًّا في البحث دخول الباحث في هذه الشجارات العلمية، ومحاولة الباحث التوفيق بينها أو النصرة لأحدها

–عدم اتفاق كثير من كبار اللّسانيين في المصطلحات والمفاهيم التداولية، ربّما إلى حدّ إرباك القارئ؛ فهذا يقول: "كفاءة"، وذيْنك "كفاية"، وغيرهما "قدرة"، وأولالك "ملكة"، وحيال ذلك عليك أنت فقط أن تقارن وتؤوّل؛ حتى تكتشف أنها مترادفات مصطلحية جميعًا، وإذا ماوردت إلى مصطلح الكفاءة التداولية البلاغية فهو الكفاءة التواصلية عند أوركيوني، وتجده عند المتوكل وبدوح مفصولًا عن الكفاءة التواصلية... وقوانين الخطاب تجدها في مدوّناتٍ بعنوان، وفي مدونات أُخرَ بعناوينَ أُخرى، دونما أدنى إشارة مصطلحية في المستهلّ على أنها هي نفسها قوانين الخطاب التي تبحث عنها... والافتراض المسبق التداولي بعضهم يعنونه بالاقتضاء، وآخر يعنونه بالمعرفة الخلفية، وباحث يسمه بالمعرفة المسبقة... وما كان من الباحث حيال ذلك إلّا محاولة فكّ تلك الإشكالات؛ حتى ينطلق في دراسته، ثُمّ محاولة توفير الوقت والجهد على الباحثين من بعده؛ ما جعله يحرص على ذكر كلّ تلك المترادفات المصطلحية في مواضعها، وأجبره على الولوج إلى الساحة النقدية والتأثيلية التداولية، بدلًا من الوقوف عند الوصف والتحليل والتطبيق كما هو منوط من هذه الأطروحة.

– حالة انفصام الشخصية التي عشتُها بين أساليب المشارقة والمغاربة، والمصطلحات الإنجليزية والفرنسية، التي استخدمها كل طرف و ترجماتهم، ووجهات نظرهم في النظرية التداولية، بل كيفية تطبيقها، ما انعكس على شخصيّة الباحث وبحثه...، و صدق الولي محمد وهو يقول:"أما التداولي وهو ينقل المادة الموصوفة من النص إلى النوايا فإنه يخوض في أمور تنفلِتُ من بين يديه"(1). ومع ذلك فقد حاول الباحث إزاء انفصام المصطلحات تلك التوفيق بين المدرستيْن.

(1) الولي، محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص30.

أما عن سبب **اختيار الموضوع؛** فحقًّا تعددت الأسباب والاختيار واحد:

أوّلًا: ما وجدته من أن التداولية مجال حديث، اجتذب إليه الأنظار أخيرًا في عالمنا العربي؛ لما فيه من رؤى جديدة لم تعرف قبلُ في علم اللسانيات.

ثانيًا: ما أراه من أن التداولية اللغوية تعقد مع حقل فرع (اللغة والنحو) نقطة تماس؛ حيث العناصر المُحيلة، والاستدلال والتأويل، والفعل اللّفظي في فعل القول، وعلّ هذا هو السبب الذي جعل صلاح فضل يقول:"التداولية اللغوية[...] تقربنا من الوصف النحوي للنصوص"([1]).

أما عن أهمية مشروعي – وأنا هنا في ميدان دفاع لا غير – فيظهر في أنه سدٌّ لفراغ في المكتبة العربية اللسانية، ناهيك عن إثراء الرواية العربية، والليبية، وروايات الكوني تحديدًا.

بخصوص **الدراسات السابقة** القريبة من موضوع هذه الأطروحة أسجِّل أنها كثيرة جدًّا، ولا أبالغ إن قلت: إن إحصاءها والتعريف بها يجعلك تؤلِّف كتابًا من الحجم الكبير؛ إذهي بادية في فهرست المصادر والمراجع لهذه الأطروحة؛ وعليه، فسأكتفي بذكر آخر الأطاريح الأكاديمية بجامعتي، وجميعها نوقشتْ هذا العام، ولمَّا تُنشَر، وتحت إشراف: أ.د سمير استيتية، وهي على الترتيب: "التحليل التداولي للتقديم والتأخير في بناء التراكيب العربية" للباحث: طه زغول، و"تداولية الحوار في سورة الأعراف" للباحث: خليل بوسردانة، و"التحليل اللساني والتداولي للأمثال العربية" للباحث: صدّام مقدادي.

أما عن **الجديد في البحث فهو أنني** لم أجد دراسة واحدة في المكتبتيْن الألكترونية والورقية تنهج نهج هذه الدراسة حسب اطّلاعي.

وهذه بعض **الملاحظات المنهجية، والفنية، والعلمية،** التي وجدتُّني مضطرًّا للحديث عنها:

---

(1) فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص25.

- قد تجدني أستخدم بعض المصطلحات الفنية مثل: الباثّ أو المنتِج فأقصد بها الكوني أو أي متحدِّث، وهذا ليس بدْعا من الباحث؛ لكنه مُستخدم في الدراسات اللسانية والروائية التي استقرأتُها، خاصة كتب المصطلحات التي استخدمتُها.
- كثيرًا ما أستخدمُ مصطلح "تقنية" أو"آلة" استخدامًا فنيًّا قرين المصطلحات اللّسانية فأقول مثلًا: آلة الإحالة، تقنية الضمير، وهذا أيضًا ليس من اختراع الباحث ، إنما استقاه من استعمالات اللسانيين في مدوّناتهم.
- استخدمتُ مختصرات هي:

"تر" : للدلالة على مترجِم الكتاب غير العربي، و"تح": للدلالة على مُحقِّق الكتاب القديم، م: مجلّد، د.ع : دون ذكر عدد الطبعة، د.ب : دون ذكر بلد الطبع، د. ط: دون ذكر رقم الطبعة، 12/2 رقم الجزء و ورقم الصفحة. د. م : دون ذكر مكان الطبع، د.ت : دون ذكر تاريخ الطبع.

- عندما أتدخل في النصوص أضع علامة بين المعكوفتيْن [ ].
- قد تجدني ركّزتُ على اعتماد إنجازات سيرل في فصل الأفعال الكلامية؛ ذلك أنني وجدتُ كل مراجعي قد تستثني مؤسِّسي التداولية الآخرين؛ لكنها لا يمكن أن تستثني سيرل وإنجازته.
- مانقلتُه نصًا أشرتُ إليه في المتن بوضعه بين علامتي تنصيص""، أما في الهامش فبإدراج اسم المؤلِّف مباشرة. أما ما نقلتُه بالمعنى فقد ميّزتُه عند إحالته في الهامش بكلمة "يُنظر".

- استخدمتُ في الهامش كلمة "بتصرّف" مع اسخدام كلمة"ينظر"، وهي تعني أنّني غيّرتُ شيئًا في معنى نصّ القائل بإضافة أوحذف، وهذه استعرتُها أيضًا من منهجيات اللسانيين في مدوّناتهم.
- وعلّك تسألني كيف تدّعي أن دراستك لسانية، وأنت تتحدّث عما يُضاف على الجُمل من الخارج أحيانًا؟ فأجيبُ إجابة ديكرو وسشايفر في القاموس الموسوعي "نجد أن اللجوء إلى المقام من أجل التأويل غالبا ما يكون منصوصاً عليه وتحدده المادة اللسانية نفسها"(1).
- قد تجدني مُستخدمًا لأكثر من طبعة، تمامًا كما حدث في تعاملي مع كتاب اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان الذي استخدمتُه بطبعتيْن، والسبب هو أنني أعتمد آخر طبعة ثم آتي إلى مكتبة جامعة اليرموك؛ فأجد النسخة الحديثة المعتمَدة قد استعيرتْ؛ فأضطر إلى استخدام النسخة الموجودة وعدم انتظار إرجاع نسختي المعتمَدة.
- استخدمتُ مصطلح النص بمفهوميْن اثنيْن هما الجملة كما اعتبرها الزناد وغيره(2)، وبمفهوم الفقرة من الرواية؛ وذلك تمشّيًا مع مفهوم تشاندلر، وهو يقول:" يستخدم هذا المصطلح[النص] ، بشكل عام، للإشارة إلى أي شيء يمكننا قراءته للوصول إلى معنى منه"(3). أما التمييز في بحثي فسهلٌ، يَستنتجه القارئ من خلال سياق الاستعمال.

(1) ديكرو، أوزوالد، ومن معه، القاموس الموسوعي الجديد، ص123.
(2) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص19، وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص17-22، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص18.
(3) تشاندلر، دانيال، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات(السيميوطيقيا)، تر: شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون، د ب ر ،2002، ص223.

- المنطوق والملفوظ والخطاب والنص والرسالة اللغوية كلّها عندي يصلح للمكتوب والشفهي، كما أن المتحدِّث والكاتب والمُلقي والقائل والمنتِج والباثّ مترادفات، كما هي المتقبِّل والمستقبِل والمتلقي والمخاطَب والقارئ والسامع بمعنى واحد، وقد استخدم ذلك كثيرون(1).
- سرّ اختيار تلك المعالم التداولية بالذات، أعني الإحالة والاستدلال والتأويل، والأفعال الكلامية مفهوم من عدّة مراجع(2)، كما أنه يمثّل درجات التداولية اللغوية، أضف إلى ذلك أنني وجدتُّه شاملًا لكلّ ما في التداولية اللغوية.
- تصدير الفصول بالعبارات النصية للقدامى اعتراف من الباحث بأصولية هذا الفصل التداولي عند العرب القدامى، وبأنني أنطلق ممّا بدءوا.
- الجملة هي المسند (Comment) والمسند إليه (Topic)، وهذا مفهوم في اللسانيات(3).
- قد تسألني عن سبب غياب التوزيع المتساوي للشواهد في الأجزاء؛ فأجيبك بأن ذلك من الصعوبة بمكان في غياب نسخة PDF، وقد اتصلتُ بالكوني على شبكة التواصل الاجتماعي فيما يعرف بالفيس بوك، وبموقع رواياته، ولم أتسلّم ردًّا حتى الساعة، إضافة إلى العثور على نسخة مصوّرة إلكترونية دون الاستفادة منها في ذلك.هذا فنيا، أما علميًّا فإنّني كثيرًا ما وجدتُّ أن شواهد بعيْنها تتوفّر في جزء دون غيره؛ ما يجبرني على تكرار أخذ الشواهد من هذا الجزء دون غيره.
- اعتمدتُّ الفرق بين اللغة والكلام وَفقا لسوسير فاللغة ماهو في الذاكرة، والكلام هو الأداء.

---

(1) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص39، 74، وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص17-22. وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص18.

(2) ينظر: الولي، محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ص30، وينظر: نحلة، محمود، آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص15.

(3) ينظر: السيد، عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، ص 18.

- لم أُكثر من الشواهد وأخذتُ بنظرة الشاهد المكثّف أو الاثنين غالبا؛ لأنني رأيت أن ما يُقال في الشاهد الواحد يقال في بقية الشواهد، مع معرفتي بخصوصية سياق الشاهد ومقامه والاختلافات اللفظية الشكلية كالدوال اللسانية (الكلمات).

إذن هذه دراسة نظرية وتطبيقية لرائعة الكوني "الروائية الرباعية"، تُفيد من المنهجية التداولية في قراءة العمل الأدبي، حيث مساءلة النص الأدبي تداوليًّا، واستثمار الدراسات اللسانية المستحدَثة، وتوجّه الدراسة إلى جنس الرواية الأدبية بالذات عملٌ جِدّ خطير؛ لما فيه من توظيف للأدوات اللّغوية في عمل إبداعي، بلهَ محاولةَ استنطاقه لسانيًّا، واستكشاف إيحاءاته التداولية.

وفي الختام لا يزعم الباحث أن ما قدّمتْه الأطروحة هو القول النهائي في رباعية الكوني، خاصة أن الاتجاه التداولي لم يستقر بعد، وأن النص الروائي نصّ مفتوح، قابل للقراءات المتعدِّدة، والاستنطاق بأشكال مختلفة، وأساليب مختلفة كما يقول النقاد الروائيون؛ الأمر الذي لا يحول دون أن تقوم جهود أخرى لاحقة لهذا البحث.

وأخيرًا وليس بيننا أخير! يطيب لي أن أُكرّر شكري لمشرفي الفاضل أ. د عمر يوسف عكاشة، وأعترف بأنّني أرهقتُه فأجره على الله! كما أُثنّي بإهداء شكري لأعضاء لجنة التحكيم الموقّرة، الذين تشرّفتُ باللّقاء بهم، وبتسلّم ملاحظاتهم القيّمة المحسِّنة لهذه الدراسة إن شاء الله تعالى، وهم أصحاب السعادة الأساتذة الأفاضل: أ.د زياد الزعبي، وأ.د قاسم المومني، وأ.د لطفي أبو الهيجاء، والأستاذ الضيف الذي تكبّد عناء السفر إلى إربد (أ.د حسن الملخ)، وأُقدّم بحثي هذا لهم جميعًا، متمثِّلًا بقول الشاعر:

لَعَلَ انْحدارَ الدمعِ يعقُبُ راحة... من الوَجْد أو يَشفي شَجيّ البلابلِ.

والله المستعان!

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإن تمهيد أطروحة "معالم التداولية اللغوية عند إبراهيم الكوني". قراءة لسانية في الرباعية الروائية" ينصاع في محاور ثلاثة هي:

1. التقديم للروائي العالمي" إبراهيم الكوني".
2. ماهيّة عالَم الرواية عموما، ورواية الخسوف خصوصًا.
3. عرْض للتداولية اللغوية Linguistic pragmatics.
4. التعريف بالسياق العامّ context وخصوصيته في التداولية اللّغوية.

المحور الأول: إبراهيم الكوني بلكاني

- روائي، وقاصّ، ومؤرّخ، وإعلامي، ودبلوماسي، وأديب، وناقد ليبي، ولد عام 1948، بمدينة "غدامس"، منطقة الحمادة الحمراء. تجاوزت أعماله السبعين إصداراً، منها: ثورات الصحراء الكبرى 1970. نقد ندوة الفكر الثوري 1970. الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص). ملاحظات على جبين الغربة (مقالات)1974. التبر (رواية) 1990. نزيف الحجر (رواية) 1990. القفص (قصص) 1990. المجوس (رواية) 1990-1991. واو الصغرى (رواية) 1998. عشب الليل (رواية) 1998. الدمية (رواية) 1998. أمّا آخر أعماله الروائية فهي رواية "فرسان الأحلام القتيلة"، الصادرة ضمن إصدارات مجلة دبي الثقافية، الإصدار63، لعام 2012، ورواية "ثوب لم يدنّس بسَمّ الخِياط"(متون ونصوص

وأقوال فلسفية)، طبَعتْها المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. عمّان. 2012/9/3، في 352 صفحة[1].

المحور الثاني

التعريف بالرواية عمومًا، ورواية الخسوف. مساحاتٍ، وأحداثًا، وتقنيةً، وشخوصًا خصوصًا

الرواية "Novel"، جنس أدبي، يعرّف بأنه: سرد قصصي نثري طويل، يصوّر شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد...إلخ[2].

عُرفتْ الرواية قديمًا بـ: "الحكاية الشعرية"، وبـ:"اللّهجة الخارجة عن اللّاتينية"، وبـ: "لغة العامّة"، وبـ: "اللّاتينية الوضعية"، وهي الجنس الأدبي الوحيد الذي مازال مُستمرًّا في التطور، ولم تكتمل كل ملامحه حتى الآن[3].

(1) في كل ما سبق من التعريف بـ" إبراهيم الكوني"، ينظر: مليطان، عبد الله، معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، دار مداد، طرابلس، ليبيا، مصراتة، ليبيا، ط1، 2001، ص358–360، وينظر: الشيلابي، أحمد محمد، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية (1961–1995) دراسة في المضمون والرؤية الأيدلوجية، دار ومكتبة الشعب، مصراتة، ليبيا، ط1، 2003، ص160–207، 515–516، وينظر: برهانة، علي محمد، الرواية الليبية مقاربة اجتماعية، منشورات جامعة التحدي، سرت، ليبيا، ط1، 2009: 279/2، وينظر: الشبكة المعلوماتية: الموسوعة الحرة" ويكيبيديا"، وعلى اليوتيوب: برنامج نقطة نظام بقناة العربية، وبرنامج: زيارة خاصة على قناة الجزيرة، وبرنامج إضاءات على قناة العربية.

(2) ينظر: نواف، نصار، دار ورد الأردنية، عمّان، الأردن، ط1، 2007، ص89. ينظر: القاضي، محمد، والخبو، محمد، والسماوي، أحمد، والعمامي، محمد، وعبيد، علي، وبنخود، نور الدين، والنصري، وفتحي، والميهوب، محمد، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، دار محمد علي للنشر. تونس، ط1، 2010، ص202.

(3) ينظر: القاضي، محمد، ومن معه، معجم السرديات، ص202.

رواية الخسوف: أول رواية لإبراهيم الكوني[1]، وتصنّف على أنها رواية اجتماعية[2]، أما القصد من توسيمها هذا الوسْم "الخسوف" فلم يذكره إبراهيم الكوني صراحة؛ لكنْ يبدو أنه الإيحاء بخسوف المجتمع الصحراوي؛ لخروجه من البدواة، والبساطة، والانغلاق، والحِفاظ، والفطرة، إلى العولمة، ومدنيّة المجتمعات الأخرى، وعلّه الرمز للنهايات التراجيدية الحزينة لمعظم شخصيات الرواية، أو التلميح إلى اندثار الفضيلة[3]. **من** الصحراء الكبرى، وبئر أطلانتس بالحمادة الحمراء غربي ليبيا، إلى واحة آدرار ووادي الآجال بالجنوب الليبي، وتمبكتو بمالي إلى سواحل ليبيا شمالًا يُطلّ علينا المبدِع "إبراهيم الكوني" بالمساحة المكانية الضيّقة لرباعيته الروائية[4]، ومن بلاد الهند وتركيا ونهر النيل، ومصر شرقًا، ومراكش ووهران وبلاد شنقيط "موريتانيا"غربا، وإيطاليا، واليونان، وفرنسا وكريت شمالًا، حتى كانو ونهر النيجر وبلاد السودان "وسط أفريقيا" جنوبًا، يمتد الفضاء المكاني الواسع لها[5].

أما **العصر** فهو مرور باحتلال الإيطاليين لليبيا، والانتداب الفرنسي، والانجليزي، والأمريكي لليبيا، والاستقلال، والمَلكيّة، حتى سنة 1964[6].

تدور أحداث الرواية حول الصحراء، ورمزية البدوي النبيل، ويختلط فيها مُعظم أدب سكّان ليبيا: العرب الذين دخلوا ليبيا فاتحين لها باسم الإسلام، والتبو والأمازيغ والطوارق وهم مَنْ يُمثّلون

---

(1) ينظر: الشيلابي، أحمد محمد، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص160.

(2) ينظر: املودة، محمود محمد، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث الرواية الليبية أنموذجا دراسة في النقد الثقافي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص309.

(3) ينظر: الشيلابي، أحمد محمد، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص160، 204.

(4) إذ إن الشخصيات الروائية لم يُجر الكوني تواجدها حقيقة إلا في هذا النطاق.

(5) أقصد أن الكوني في سرده عن الشخصيات الروائية أو الشخصيات الروائية التي استنطقها لم تخرج في حوارها عن هذا النطاق المكاني.

(6) ينظر: الشيلابي، أحمد محمد، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص160، 204.

السكّان الأصليين لليبيا قبل مجيء العرب، يقطنون الصحراء الكبرى، ونواحيها. ربط بينهم جميعًا الإسلام، ثُمّ وطنيّتهم لليبيا.

تقع رواية الخسوف في أربعة أجزاء، هي:

الجزء الأول باسم البئر، ولا يحتوي على أي عناوين داخلية، وهو يحكي قصة استيطان قبيلة الشيخ غوما "أمنغساتن" حول بئر أطلانتس، الذي يسقون منه ويشربون، ويجتمعون عنده في أحزانهم يتبرّكون حسب عقيدتهم؛ اعتمادًا على ما ذكره الكوني في روايته.

أما الجزء الثاني فبعنوان: الواحة، ويحتوي على مجموعة من العناوين الفرعية الداخلية هي: الخروج، والعرّاف، والعقارب، والخلاص الأول، والخلاص الثاني، وهو يحكي قصة هجرة قبيلة " غوما"من موطنها الأول "الحمادة الحمراء" إلى الأكواخ، والمَزارع، والواحة "آدرار"بعد جفاف البئر.

الجزء الثالث: بعنوان: أخبار الطوفان الثاني، وفيه عناوين ثلاثة، هي: النبع، والغزو، والطوفان، وهو يحكي قصة انفجار غطاء الإسمنت فوق فوّهة النبع المائي، الذي حفرته الشركة اليونانية برئاسة كونسا، وقد تسبّب هذا الانفجار بغرق الواحة "آدرار".

الجزء الرابع الأخير، بعنوان: نداء الوقواق، ويتكوّن من قسمين، الأول: يحتوي على عناوين هي: الغيب، والغياب، والحفيد، والجَدّ، والحكمدار، والذباب، أما الثاني فعناوينه، هي: الكنوز، والرملة، والمومياء، وقاتل أمه، وعياش الدوس، والديدان، والقربان، والناروالرماد، ولو كان الضمير حيا، وحساب الدنيا والآخرة، والسر، ولعنة الأم، والحملة، والقوقعة، والجزء يحكي نهاية معظم الشخصيات، وينتهي في آخر صفحاته بموت غوما؛ ونداء الوقواق رمزلموت الشيخ غوما(1).

---

(1) ينظر: العامري، بدرية، مقال بعنوان: رباعية الخسوف، موقع مجلة الفلق الالكترونية،20011، ص31، alfalq.com/archives/3116.

عِلمًا بأن الكوني قد أخرج الخسوف على أنها خماسية؛ لكنها لم تصدر إلا في أجزاء أربعة فقط[1]. طُبعت الرواية حتّى الآن ثلاث مرات فيما أعلم، الأولى: طبعة دار أبي در الغفاري. بيروت، سنة تسع وثمانين وتسعمائة وألف (1989)، والثانية: سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وألف (1991) طبعة تاسيلي. قبرص، ودار التنوير ببيروت، والثالثة: طبعة: سبع وتسعين وتسعمائة وألف (1997) الدار الجماهيرية. مصراتة . ليبيا، وقد تحصّلتُ على الطبعة الأخيرة قبل المناقشة بأيام؛ لذا فما كان من الباحث –مُضطرًا– إلّا الاعتماد على الطبعة الثانية بأخطائها الإملائية والنحوية.

- **شخوصها**[2]: محورية[3]، ورئيسة[4]، وعابرة[5]؛ وإذ إن الشخصيّات كثيرة جدًّا، حتى إنك تملأ بتعريفها صفحات كتاب، أكتفي بذكر أسماء بعض الشخصيّات.

1. الشخصية المحورية:

غوما: زعيم قبيلة "أمنغساتن"، وفارسها الأوّل، وصاحب القرار النافذ. تسلّم الزعامة بعد وفاة زعيمها بالجُدري، وإلحاحٍ من الناس له دام ثلاثة أشهر. أَحبّ باتا؛ لكنه لم يتزوجها مع وَعْده لها بالزواج. قاد معارك حلف القبائل "كيل أبادا، والهوجار، والفوغاس، وأوراغن، وقبيلته" في غات، ضد الفرنسيس. انطلق إلى طلب العلم في فزّان سبع سنوات، ووقع في أسر الطليان عامًا تقريبًا، وتوفي إثر سقوطه من مُهْر، أهداه له شيخ الفوغاس بغدامس، بعد صراع مع الحمّى وترهّل؛ وذلك في الطريق إلى غزو جوهرة الصحراء (سبها)؛ انتقامًا من المحافظ الذي أخذ يدبّر المكائد في

---

(1) ينظر: الشيلابي، أحمد محمد، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص200.

(2) المُلاحظ هنا أنني لم أوثِّق صفحات التعريف بالشخصيات؛ وذلك لأن التعريف بالشخصية تجده متناثرًا بين الأجزاء، وأحيانًا من الجزء الأول حتى الجزء الرابع، كما هو الحال مع شخصية غوما.

(3) هي التي استمر ذكرها في كل أحداث الرواية تقريبًا؛ حتى مثّلتْ شخصيّة البطل.

(4) هي التي شكّل ذكرها صفحاتٍ في الرواية.

(5) هي التي ذُكرتْ عبورًا في الرواية، لم يتعدّ الصفحة.

الصحراء ضد أبناء قبيلته: اختطاف مُغري، وقتل عياش الدوس، ورعاية وفد الطليان بقيادة موري، ينهبون ذهب صحراء ليبيا.

2.الشخصيات الرئيسة:

أسوف بن غوما، باتا، مرزوق، موري، القاضي صالح الزبرجداني، كونسا، آيس، رحمة، الدرديري، زارا، تازايت، أمغار، عبدالله الجاروف، زيد كركوبة، مبروكة، كونسا، عارف، حكمدار البوليس، ماريا، مبروك دبّار، ايدار، الخرفاوي، منصور برجوح، أخنوخن، مغري، أمود، مختار الساطور، جبّور، مهمّدو، زوجة الشيخ خليل، آهر، الزنجية العجوز، أخواد، الوالي، أماستان، تارات، الشيخ خليل، فضل الله درهوب،عياش الدوس، الشيخ الزرقان، باولينو، بورديللو.

3. الشخصيات العابرة:

القديري- الغالي- حاجب -خبير الكلاب- عريف- نائب- أولاد القطيعي- رجل ذو لحية بيضاء -جدة غوما- شيخ أوراغن- شيخ الركاكبة- مواطن طريف -الفلاح المقعد- جار مبروك دبار- التاجر الغدامسي -رئيس العمال- رئيس شؤون الموظَّفين في شركة البناء - الحاج البكاي- أناسباغور - المراكشي- عمار - أم أمغار- محمد سليم - سائق سيارة البريد- ضابط نقطة البوليس -عجوز قابض في مقهى- طفل نادل في مقهى -عرافّة زنجيّة في أغاديس- مدهوب -عرّاف غدامسي- ابنة سعادى بك.

المحور الثالث: عرْض للتداولية اللغوية

"Pragmatics" نظريّة، أو اتّجاه عِلمي، لمّا يستقر؛ ولمّا يتفق الباحثون بشأن علميّته بالمعنى الصحيح الكامل[1]؛ إذ لّما يتّفقوا بشأن افتراضاته واصطلاحاته[2]؛ ولمّا يُحدِّدوا موضوعاته المترابِطة ولا وحدات تحليله الخاصّة[3].

قدّم تشارلز سوندرز بيرس الصورة الأولى للبراجماتيّة عندما وضع ذاك المثلّث السيميائي (التراكيب، الدلالة، البراغماتية)[4] و"أكّد على أنّه يجب أن نضع في اعتبارنا الآثار العملية المترتِّبة على أيّ فكرة من أفكارنا أو معتقداتنا؛ لأن هذه النتائج هي كل ما يمكن معرفته عن الشيء"[5]؛ وعليه فيُعدّ بيرس صاحب فكرة البراجماتيةِ في أساسها.

لكنّ هذا الاتّجاه بمعناه المُعاصِر الآني يرجع –حقيقة– إلى رائد مفهومه المعاصر الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس Charles Morris، وبالتحديد سنة1838؛ إلّا أنه لم يَصِر مجالًا مُعتدًّا به في الدرس اللّغوي المعاصر إلّا في العقد السابع من القرن العشرين، وبشكل دقيق على يد المثلّث الأكسفوردي: جون أوستن، وجون سيرل، وهربرت بول غرايس 1988[6].

---

(1) اختلف اللِّسانيّون في عِلميّة التداولية، فمثلًا عدّها الشريف وبلخير اتّجاهًا. ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضمن أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، د. م ، تونس، د. ط، 1986، ص95. ينظر: مقال بعنوان إجراءات التحليل التداولي للخطاب موقع مدونة عمر بلخير، في حين نجد أن فان دايك أعطاها هذا الوصف. ينظر: دايك، تون فان، النص والسياق، ص255، وقد حذا الباحث في المتن حذو الشريف وبلخير.

(2) ينظر: بلبع، عيد، ينظر: بلبع، عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقيا موريس، مجلة فصول، ع66، 2005، ص39.

(3) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14.

(4) ينظر: بخيت، هاني محمد، البراجماتية الأمريكية أصولها اليونانية، المكتبة المصرية، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2006، ص24.

(5) نفسه.

(6) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص9، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص21

عُرّفت التداولية بشكل عام بأنها: الممارسة العملية للحقيقة[1]، والتفاعل[2].

تعدّدت **فروع التداولية**؛ فشملت كثيرًا من مجالات الحياة؛ حتى صرنا نسمع بـ"التداوليات"؛ تداولية التربويين، وتداولية السياسيين، وتداولية المناطقة، وتداولية الفلاسفة وتداولية الاقتصاديين، وتداولية اللسانيين وتداولية البلاغيين[3]، وصارتْ التداولية من ثَمّ تجري على الأنساق اللسانية كما تجري على غيرها، وشملتْ المجال الإنساني كلّه، لا بل حتى المجال الحيواني والآلي أيضا[4].

وَلجتْ التداولية اللّغة، وتلقّفها اللّغويّون العرب بالتعريب وبالترجمة؛ **فعرّبوا** مصطلحه عن طريق آلة المصدر الصناعي إلى"البراجماتية"[5]، **وترجموه** إلى مصطلحاتٍ عدّة، أشهرها بين اللسانيين ومؤلفاتهم[6] مصطلح "التداولية" [7]، وعليه وقع ترشيح الباحث.

نظر اللّغويون إلى التداولية من جوانب عدّة؛ حتى صارت تُعرَف بـ: "التداوليات" داخل اللّغة الواحدة، ولعلّ أبرزها التداوليّة اللّغوية/ اللسانيةLinguistic pragmatics، التي تعرّف بأنّها: اتّجاه لساني[8]، وظيفي، يهتمّ بدراسة اللّغة عند استعمالها[1]، "وهي التي تعنى بتحليل الكلام والكتابة [...] خلال إجراءات التواصل بشكل عام، مما يجعلها ذات صبغة تنفيذية عملية"[2].

---

(1) ينظر: استيتية، سمير، مناهج الرؤية، دار وائل،عمان، الأردن، ط1، 2003، ص109، وينظر: مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص259.

(2) ينظر: نفسه، ص262.

(3) ينظر: نفسه، ص263.

(4) ينظر: نفسه، ص262، الهامش.

(5) ينظر: أبو هيف، عبد الله، اللغة والاتصال والتداولية، التعريب، د م، ع31، 2006، ص147.

(6) ينظر: مقبول، إدريس، الأسس الأبستمولوجية والتداولية، جدارا للكتاب العالمي،عمّان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن، ط1، 2007، ص262، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص52، ينظر: حمداوي، جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، مجلة العربية والترجمة، د ب ت، ص64.

(7) صكّ هذا المصطلَح د طه عبد الرحمن، وفيه دلالة الاسم على المُسمّى، إذ يدلّ مصطلح تداول على التفاعل والواقعية والممارسة والتعالق، بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص161.الهامش.

(8) يقول مقبول:"إن التداولية حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق". مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص263. الهامش، ويقول بوقرّة:

المحور الرابع

التعريف بالسياق العام context وخصوصيته في التداولية اللّغوية

سأحاول في هذا المحور توضيح مفهوم السياق العامّ (context)، وبيان أهميّته في الدراسة التداولية اللّغوية، أَستهلّها بتعريف السياق العامّ، وأُثنّي بإيضاح أنواعه وعناصره، وأُثلّث بتوضيح خصوصيّته في الاستعمال التداولي.

تعريف السياق العامّ:

مُستفيدًا من تعريفات اللّسانيين للسياق، أعرّف السياق بأنه: البيئة اللغوية (قَبْلاً وبَعْداً)، والخارجية(كلُّ ما هو غير لغوي)، المحيطَة باللّفظ المقروء/ المكتوب، اللّتان تكشفان عن معناه الدلالي الهامشي، أو تَفكّان شفرة غموضه، أو تزيلان اللَّبس عنه.

وممّا سبق نفهم أن السياق العامّ ذو شقّيْن رئيسيْن هما: شقّ داخلي، وشقّ خارجي. الشقّ الداخلي: يهتمّ بما هو داخل النص، بمعنى أنه يشمل كل ما هو لغوي؛ وبناء على ذلك يمكننا التخصيص، والحديث عن السياقات: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، واللّساني، والتركيبي، والأسلوبي،...إلخ، والشقّ الخارجي: يهتمّ بكلّ ما هو خارج النص، أي: غير لغوي؛ ولذلك سنستخدم السياقات: الثقافي والاجتماعي والديني،... إلخ، وفي النهاية تكون وظيفة السياق الرئيسة هي الحصول على المعنى الخاصّ للكلمة أو الجملة أو العبارة، وإزالة أي لَبس أو غموض قد يعتريها.

"فليستْ التداولية علما لسانيا صرفا يقف عند البنية الظاهرة للغة بل هي كما يقول جاك موشلار [...] علم جديد للتواصل يسنح بوصف وتحليل وبناء إستراتيجيات التخاطب اليومي والمتخصص بين المتكلمين في ظروف مختلفة". ينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص162.

(1) ينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص160.

(2) فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص10.

وهذه بعض الإشارات:

- يَعتبر جُلّ الباحثين الانثروبولوجي هوكارت A. M. Hocart، ورائد المدرسة السلوكية الأمريكي بلومفيلد L. Bloomfield، وعالم الأجناس البولندي برونسلا مالينوفيسكي Malinowsky، والأستاذ الأول لعلم اللغة في بريطانيا فيرث J. Firth. يعتبرون هؤلاء روّادَ مفهوم السياق الخارجي؛ ذلك أن الأول هو رائد مصطلح السياق الاجتماعي(1)، والثاني كان يُحدِّد المعنى بالمواقف والمقامات وردود الأفعال، والأخيريْن كانا رائدي محاولة فهم الدلالة السياقية(2).
- تحصُر العموش السياقَ الخارجي عند إزالته للّبس على الكلام عامة، وتحصر السياق اللغوي في إزالته للّبس على الكلمة المفردة، وذلك أثناء شرحها لتعريفي السياقين (اللغوي والخارجي)، دون توضيح حُجَتها، تقول العموش: "ويأتي السياق في نوعين: السياق اللغوي، والسياق الحالي ، والأول منهما هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص [...]؛ فهو يزيل اللبس عن الكلمة، بينما سياق الحال أو المقام يزيل اللبس عن الجمل والنصوص"(3)، مع أن المعاجم والدراسات اللسانية الأخرى لا تحصُر شيئا على شيء من هذا، كما اتّضح في تعريفات اللسانيين للسياقيْن هنا، و كما أن الواقع الاستقرائي للسياقيْن يعتمد إمكانية إزالة اللّبس الكلمة والكلام عن طريق أيٍّ من السياقيْن دونما تحجّر، بدليل أننا نريد –أحيانا– إزالة اللّبس عن تركيب مُعيَّن أو قول مُعيَّن أو عبارة مُعينَّة (والتركيب

---

(1) السعران، محمود، علم اللغة، ص38، وهنا أشير إلى أن السياق الاجتماعي عند فيرث أداة لغوية يستخدمها اللغوي لتوضيح المعنى، بمعنى أن المعنى محدَّد في إطار الموقف،أما عند بلومفيلد فالمعنى هو الموقف نفسه، ينظر: حيدر: فريد عوض، فصول في علم الدلالة، ص125.

(2) ينظر: بالمر، فرانك، مدخل إلى علم الدلالة، تر: خالد جمعة، ص96، وينظر: السعران، محمود، علم اللغة، 331–340، وينظر: العوادي، أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه، ص 38–39.

(3)عموش، خلود، الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2005، ص26.

والقول والعبارة ليس بكلمة واحدة كما هو معروف) داخل السياق اللغوي فقط فيتحقّق لنا ذلك، وأحيانا نريد إزالة اللّبس عن كلمة (لا مجموعة كلمات) مُعيَّنة فقط، فلا تُفَك إلا إذا كنا مُلمّين بالمعنى العُرفي داخل المجتمع المستهدَف.

- ممّا يدخل في حدود السياق الخارجي ما يُعرف بـ: **الموْقف** Situation، والذي يُعرّفه الباحث بأنه: "البيئة الزمكانية التي يحدث فيها الحدث غير المتوقّع الذي يَشُدّ الانتباه غالبًا"، بمعنى أنه اللّحظة الآنية الخاصّة بموضوع ما وحيثياتها هي فقط، وهو قريب جدًّا من التعبير المتداول ذي القيمة السلبية عندنا، عندما يقول أحدنا للآخر: "موقف لا تُحسَد عليه!"، وذلك كـ: لحظة تحذير من شخص ثُمّ مغادرته، أو لحظة مُقابلة شخص غير متوقّع، أي: ما يُدخله النصيون في إطار الموقفيّة التي هي: العوامل التي تُقيم صلة بين النص وموقف واقعة ما سواء أكان الموقف حاضرًا أم مُسترجَعًا(1).

يقول بِشر في تلك العلاقة بين الموقف والسياق الخارجي: "والمقام في نظرنا ليس مُجرّد مكان يُلقى فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة آخذٌ بعضُها بحجز البعض. فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض. وهناك كذلك ما في الموقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تُفيد في فهم الكلام، والوقوف على خواصه"(2).

---

(1) ينظر: أبو غزالة، إلهام، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب، ط2، 1999، ص209.

(2) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1971: 65/2، مع تصرّف في الضبط.

- إذا أُدرج لفظ "النظم" مُحاذيًا للفظ "المقام" انطلق الذهن مباشرة إلى السياق الداخلي[1]، وأما إذا أُطلِق لفظ السياق –مفرَداً دون تقييد– بمحاذاة السياق الخارجي (المقام)، انطلق الذهن مباشرة إلى السياق الداخلي (اللّغوي)[2].

عناصر السياق

بعد الحديث عن أنواع السياق، نأتي للحديث عن **عناصر السياق أو خصائصه:**

تعرّف عناصر السياق بأنها: مجموعة من العناصر الخاصّة والمميَّزة، يمكن ملاحظة تأثيرها في النصّ، متفرّقة، أو مُجتمِعة[3].

وحسب هايمس هي: الأطراف (الباثّ والمتلقي، والجمهور إنْ وُجِد)، وموضوع الحدث، وسياق الظرف الزمكاني، والوضع الجسمي للأطراف، والقناة (كتابة، إشارة،...)، والشفرة (اللغة، اللهجة، الأسلوب)، وصيغة الرسالة (مناظرة، خطبة،...) والطابع (تقييم الكلام/ الحديث) والغرض (قصدية الأطراف؛ نتيجة الحدث التواصلي)[4].

أما حسب لويس فعناصر السياق هي: مؤشِّرات العالم المُمكن (الوقائع المعتبرة)، والزمكان، والمتكلِّم/ المتحدِّث والمستمعين (إن وُجِدوا)، والشيء المُشار إليه، والخطاب السابق، والإسناد (سلسلة الأشياء اللامتناهية، كالمجموعات)[5]، وهنا يَدخل المعنى الشكلي formal[6] وهو

---

(1) ينظر: نجار، منال، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، ص19.

(2) ينظر: الشهري،عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص40.

(3) أبو خرمة، عمر، نحو النص، ص91.

(4) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، تر: منير التريكي، محمد الزليطني، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، د. ط، 1993، ص65-66.

(5) ينظر: نفسه ص68-69، وينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص53-54، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 162/1.

(6) ينظر: نحلة، محمود، علم اللغة النظامي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008، ص58.

العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى، بحيث تكون للعنصر اللغوي القدرة على التوارد colligation معها ومقابلتها[1].

بعضٌ من خصوصية السياق مع التداولية اللغوية

تظهر خصوصية السياق مع التداولية اللغوية في عدّة أمور، منها:

- عُرِّفت التداولية اللغوية في عدد من تعريفاتها على أنها: دراسة العلاقات بين اللغة والسياق، وهي دراسة مَقدِرة مستخدمي لغة ما على ربط الجمل بالسياقات، وهي دراسة الدور الذي يقوم به السياق في المعنى الذي يقصده المتكلم أو المقصود من العبارات المنطوقة[2]، وغيرها كثير.
- ما يُعرف بنظرية الملاءمة التداولية؛ لأنها عملية نفسية إدراكية، وفيها استدلال وتأويل[3]، وهذا كله يدخل ضمن اهتمامات السياق الداخلي والخارجي كما نعرف.
- كما تتمثَّل تلك الخصوصية في مصطلح متضمَّنات القول، الذي يُعرَف بأنه: مفهوم تداولي إجرائي، يرصد ظواهر ضمنية وخفية من قوانين الخطاب[4]، تحكمها ظروف الخطاب عامة، خاصة السياق الخارجي[5]، كما تتمثّل في مداخل تلك المتضمَّنات التي

(1) ينظر: نحلة، محمود، علم اللغة النظامي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008، ص58.

(2) ينظر: الخطيب، أحمد، قراءات في علم اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006، ص129-131، علما بأن المنطوق لا يَقتصر على الشفهيّ فقط، بل يشمل المكتوب كذلك، ينظر: دايك، فان، علم النص، تر: سعيد بحيرى، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص 114؛ ولأن المرسِل عندما يَكتب خطابا/ نصا يردّد بعملية ذهنية ونطق داخلي، كأنه في حديث مع شخص آخر. ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص578.

(3) ينظر: ولوج الفصل الثاني.

(4) قوانين الخطاب هي: القواعد المتغيرة بتغير الثقافات، التي يفترض كل مشارك أن الآخر يحترمها عند التبادل اللغوي، كالتعاون والوجاهة والصدق. ينظر: مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص81-83.

(5) ينظر: صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضِمن: التداوليات، ص43.

من أهمها: *الافتراض المسبق*، وهو المعطيات والافتراضات المعترَف بها والمتّفق عليها بين شركاء الخطاب[1]، والأقوال المضمرة التي هي: جملة المعلومات الخطابية غير الظاهرة في البنية السطحية (Surface Structure)، التي يمكن إظهارها بقوّة التأويل السياقي للرسالة اللّغوية[2]، والاقتضاء التداولي Pragmatic Implicature الذي يعني تقديم تفسير صريح لمقدرة المتكلِّم على أن يعني أكثر مما يقول، أي: أكثر مما يُعبَّر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة[3]؛ ذلك أنه يقتضي اختيار تعبير دون آخر[4]، وهنا أخُصّ الاقتضاء الخاص Special Implicature، وهو الذي يحصل بوجود سياق خارجي مُعيّن[5] والاقتضاء العُرفي Conventional Implicature وهو الذي يعود إلى المفردات المعجمية بالعُرف أو بالاتفاق الاجتماعي[6].

- السياق هو أحد المؤثِّرات الرئيسة في **نشوء النظرية التداولية** (Pragmatic Theory) عند غرايس (Grice)؛ فهي تَضُمُّ دور المتحدِّث، والموقف، وهدف النص، والمقام، ونوع المعلومات المطروحة، وأنواع التفاعل، وأشكال السياقات، وكيفية التواصل، وكلُّ ما يَمُسُّ الصلة بين العلامات ومستعمليها[7].

---

(1) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30، ويطلق عليها أيضا الإضمارات التداولية، ينظر: طه، عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص113.

(2) ينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص196.

(3) ينظر: النجار، أشواق محمد، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص340، علما بأن الاقتضاء عند اللغويين هو: حاجة الوحدة اللغوية (الكلمة) إلى وحدة لغوية أخرى. ينظر: النجار، أشواق محمد، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص39.

(4) ينظر: النجار، أشواق محمد إسماعيل، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في القرآن الكريم، ص54.

(5) ينظر: نفسه، ص345.

(6) ينظر: نفسه، ص347.

(7) ينظر: نفسه، ص 54–55، وينظر: ديتربونتج، مدخل إلى علم اللغة، ص286.

- السياق يضبط موقع الإحالة بين عناصر النص ، فلا نكاد نفهم معنى أيّ إحالة وعناصرها المُحيلة فهمًا تامًّا إلا بوصلها بدوالَّ تكون داخلَ السياق اللّغوي أو خارجه[1].
- الخصوصية السياقية التداولية، تتمثل أيضًا في ما يسمّيه التداوليون بـ: التسييق contextualisation (من السِّياق)، وهو ربط الملفوظ بسياقه السابق واللاحق[2].
- وفي ما يسمونه بـ: التّمام السياقي contextual completness، وهو كَونُ الملفوظات غيرُ كاملة في حدّ ذاتها؛ حتى إذا ما أُخذ سياقها بعين الاعتبار كَمُلت[3]، وهو من ثَمّ حاجة من حاجات الملفوظات[4].
- كما تتمثّل تلك الخصوصية في الكفاءة التداولية Pragmatic competence ، وتُحدّ بأنها: القدرة على استخدام اللغة في سياقاتها الفِعلية[5].
- كيف تُحاكم التداولية اللغوية قصدَ المتكلِّم/ الكاتب وتكشفه؟ الإجابة باختصار:إنها تحيل رسالته اللّغوية على السياق ؛ فيَعرِف المتلقي مدى التطابق أو عدم التطابق بين دلالة رسالته لسانيا وظروف السياق[6].

---

(1) ينظر: أبو درع، عبد الرحمن، منهج السياق في فهم النص، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، قطر، ط1، 2006، ص26.

(2) ينظر: مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية التداولية، ص309.

(3) ينظر: مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص62

(4) ينظر: نفسه، ص304، ولدى الباحث الملفوظ هو الشفوي والمكتوب على حدّ سواء، متبنّياً رأي دومينيك مانغونو، ينظر: مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط1، 2008، ص52

(5) ينظر: علي، محمد يونس، وصف اللغة العربية دلاليا، ص127.

(6) ينظر: النجار، أشواق محمد، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص339

- مِن خصوصيّات السياق في التداولية اللغوية: السياق التداولي الذي تقع فيه خصوصيات التداولية اللّغوية، كالمعرفة المشتركة، و المعنى المستلزَم، والاستدلال التداولي، والأفعال الكلامية.

- كما أن من **اهتمامات التداولية اللّغوية بالسياق** أن تحديد الفعل الكلامي بأفعاله الثلاثة فعل القول، وقوة فعل القول، ولازم فعل القول يقع ضمن السياق(1).

- من المعروف في تاريخ التداولية اللغوية ما عُرف ببرنامج هنسن عام 1974، الذي حاول فيه مُبرمجه (هنسن) توحيد أجزاء التداولية اللّغوية وَفق السياق؛ حتى عُدَّ فيه رائدا؛ حيث عمل على تمييز درجات ثلاثة في التداولية اللغوية[2]، فكانت الآتي: تداولية الدرجة الأولى، تتعلّق بدراسة الرموز الإشارية، أي:"التعابير التي لا يمكن فهم معناها التداولي الدقيق إلّا بتسييقها"، كالضمائر، وأسماء الإشارة، والظروف الزمكانية والـ التعريف. وهنا نهتمّ بالسياقيْن الداخلي والخارجي أيضًا. هذه الدرجة من التداولية هي ما سيكون الحديث عنه في الفصل الأول إن شاء الله.

- تداولية الدرجة الثانية تنطبق على دراسة الطريقة التي تتّصل فيها القضية المعبَّر عنها بالجملة المنطوقة؛ إذ ينبغي أن تتماز القضية المعبَّر عنها عن الدلالة الحرفية للجملة، وهنا يكون للسياق دور لا يخفى طبعًا؛ لكنه سياق يعبَّر عنه بألفاظ العوالم الممكنة، إنه

---

(1) ينظر: أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري، ص88.

(2) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص32، وينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2011، ص36.

سياق المعلومات والمعتقدات المشتركة؛ حتى يتَّفق الجميع[1]. وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني إن شاء الله.

- تداولية الدرجة الثالثة هي نظرية الأعمال اللغوية[2]، التي أُرجئُها إلى الفصل الثالث الأخير بعوْن الله!

(1) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص32، وينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2011، ص36.

(2) ينظر: نفسه.

الفصل الأول

الإحالة Reference ووظيفتها التداولية في رباعية الكوني

المبحث الأول: ماهيّة الإحالة ونوْعاها

المطلب الأول: ماهيّة الإحالة

ف1: الإحالة لغة

ف2: الإحالة اصطلاحًا

المطلب الثاني: نوْعاها

ف1: الإحالة الداخلية

ف2: الإحالة الخارجية

المبحث الثاني: العناصر المُحيلة

المطلب الأول: الإحالة القائمة على الضمير

ف1: الإحالة القائمة على ضمير الشخص

ف2: الإحالة القائمة على ضمير الملكيّة

المطلب الثاني: الإحالة القائمة على الإشارة

ف1: الإحالة القائمة على اسم الإشارة القريب

ف2: الإحالة القائمة على اسم الإشارة المتوسّط

ف3: الإحالة القائمة على اسم الإشارة البعيد

ف4: الإحالة القائمة على ظرف الزمان

ف5: الإحالة القائمة على ظرف المكان

المطلب الثالث: الإحالة القائمة على تعريف (الـ) العهديّة

الفصل الأول

الإحالة[1] Reference ووظيفتها التداولية في رباعية الكوني

"فإنَّ النحوِّيينَ ممّا يتهاونون بالخَلف إذا عرفوا الإعرابَ. وذلك أن رجلا من إخوانك ومعرفتِك لو أراد أن يُخبِرك عن نفسه أو عن غيره بأمرٍ فقال: أنا عبدُ اللهِ منطلِقًا، وهو زيد منطلقا. كان مُحالًا؛ لأَنه إنَّما أراد أن يُخبِرك بالانطلاق، ولم يقل هُوَ ولا أَنا حتَّى استَغنيتَ أنت عن التسمية، لأنّ هُوَ وأَنا علامتان للمضمَر، وإنَّما يُضمِر إذا عَلم أنَّك قد عرفت مَن يَعني، إلاَّ أنَّ رجلاً لو كان خلفَ حائط، أو في موضعٍ تَجهله فيه، فقلتَ مَنْ أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقًا في حاجتك، كان حَسنا" **(سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، تح: محمد هارون، ط3، 1988، 2/80–81)**

توطئة

ذكرتُ في تمهيد الأطروحة شيّئًا عمّا عُرف ببرنامج هنسن عام 1974، الذي حاول فيه "هنسن" تمييزَ درجاتٍ ثلاثة في التداولية اللغوية.

(1) عند استقرائي لمدوَّنات اللِّسنيِّين وجدتُ أن "عشتار داود" استعمل مصطلَح "الإحالة المرجعيّة" ضامًّا فيه نوعي الإحالة، ومع أن داود لم يُبيّن لنا هل هو صاحب هذا المصطلح أم أخذه من غيره، ولم يُعلِّق على صوْغه، ولم يُؤصِّل، ولم يوثِّق لمصطلحه هذا، ينظر: داود، عشتار، الإحالة المرجعية في السيرة الذاتية. اعترافات سليم مطرإنموذجًا ضِمن: الجعافرة، ماجد، وطلافحة، أمجد، المرجعيات في النقد والأدب واللّغة، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 27–29 تمّوز 2010، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2011: م721/1؛ ومع ذلك فالباحث يُسجِّل تحفّظه على هذه المصطلَحيّة، ولا يراها إضافة علميّة؛ بل هي – وليعذرني داود– زيادة في التعقيد؛ ذلك أن مسألة مُصطلحيّة "الإحالة" سهلة واضحة لا تحتاج إلى مزيد بيان؛ فإذا ما قلنا: "إحالة" بشكل عامّ انصرف إلى أذهاننا أن القصد هو الإحالة بشقّيْها الداخلي والخارجي، أما إذا ما أردنا تقييد الشقّيْن فإننا نقول: الإحالة الداخلية أو الإحالة الخارجية، وانتهى أيّ إشكال، وهذه الآليّة في التعميم والتقييد قارّة في البحث اللّساني –حسَب استقرائي– إن لم نقل: اللّغويّ والأدبي كلّه، فلا نريد أن نضيف فوضى إلى مصطلحات العربية فوق ما هي عليه من فوضى وتراكمات. وتصوّر العكس: إذا ما أضفنا تقييدًا آخر؛ فقلنا: "الإحالة المرجعيّة"؛ فإننا مُضطرّون –حتى نكون دقيقين– إلى أن نقول: "الإحالة المرجعيّة الداخلية" و"الإحالة المرجعيّة الخارجية"، وذاك تعقيد في تعقيد في نظر الباحث.

في هذا الفصل أُعرِّج على تداولية الدرجة الأولى من ذاك البرنامج، وهي درجة تتعلّق بدراسة الرموز الإشارية، أي: "التعابير التي لا يمكن فهم معناها التداولي الدقيق إلّا بتسييقها"، كالضمائر، وأسماء الإشارة، والظروف الزمانية والمكانية والـ التعريف.

هنا يأتي توضيح ماهيَّتِها، وقراءة تداوليتها، بتناول مفهوم الإحالة، والتي تعني تلك العلاقة المعنويّة التي يعقدها المُلقي بين الرمز الإشاريّ ودوالِّ العَلَم أو الحدث أو الشيء أو القضيّة أو المفهوم؛ حتى نفهم رسالته؛ وذلك تنظيرًا، وتطبيقًا على رباعية الكوني، حيث ننطلق من أن الإحالة في مفهومها العام تحتوي على تلك الرموز، التي يلفّها الغموض[1] Ambiguity أحيانًا، وأحيانًا اللَّبس[2]، ولا يمكننا فكّ شفرتها[3]، واستخلاص تداوليَّتها إلّا بالنظر إلى سياقها، أو مقامها، وربْطِها بتلك الدوالِّ العَلميّة، أو الحدثيّة أو...[4].

يقول نحلة: "فإذا قرأتَ جملة مُقتطعة من سياقها مثل: سوف يقومون بهذا العمل غدًا، لأنهم ليسوا هنا الآن" وجدتها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية

(1) الغموض هو: خفاء المعنى أو إبهامه. ينظر: خليل، حلمي، العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988، ص230. بتصرّف في المعنى.

(2) اللَّبس هو: احتمالية أكثر من معنى للملفوظ، مع صعوبة ربطه بمرجعه، وتأويله بدقّة . ينظر: علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، وسوسبريس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص158. بتصرّف، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص40–41، ويقول المتوكل: "يُقال عن خطاب ما (جُملة أو أكثر من جُملة) إنه خطاب مُلتبِس حين يَحتمِل قراءتيْن (أو تأويليْن) أو أكثر من قراءتيْن". المتوكل، أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، د ر، 2006، ص196. مع تصرّف في الضبْط.

(3) أي: نظام الأعراف والقواعد والقيود التي عن طريقها تُفصِح الرسالة عن دلالتها. ينظر: برنس، جيرالد، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص46.

(4) ينظر: روبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص97، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص32، وينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صفحات للدراسة والنشر، ط 1، 2011، ص36.

التي يعتمد تفسيرها اعتمادًا تامًّا على السياق الماديّ [الموْقف] الذي قيلتْ فيه، ومعرفة المرجع reference الذي تُحيل إليه، وهذه العناصر هي: واو الجماعة وضمير جمع الغائبين هم واسم الإشارة هذا، وظرفا الزمان غدًا، والآن، وظرف المكان هنا، ولا يتضح معنى هذه الجملة إلّا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر"[1].

أما عن اللّبس التداولي فلَحاظِ لو قُلنا مثلًا: "وبّخ المهندسُ التاجرَ؛ لأنه كان مُحابِيًا" لم نعرف علام يُحيل الضمير في "لأنه" بالضبْط. هل يُحيل على المهندس أم على التاجر؟ بمعنى هل المُحابي هو المهندس أم التاجر؟ لكن إذا عدّلْنا السياق، وقُلنا: "وبّخ المهندسُ الملتزِمُ التاجرَ؛ لأنه كان مُحابِيًا" عَلِمْنا أن الضمير يعود على التاجر، وذلك بواسم الدّالة اللّسانية (الملتزِم) في السياق الداخلي للنصّ، ولأنه لا يجتمع في أيّ شخصٍ التزامٌ مع مُحاباة[2]، وهذه الاخبرة الأخيرة تتعلّق بالسياق الخارجي، الاجتماعي منه تحديدًا.

وعلى ما سبق فإن تصوّر موضوع الإحالة يعني أن البشر لايتحدّثون عن الأشياء إلّا بعد امتلاكهم تمثيلات ذهنية عنها[3].

عطفًا على ما قيل فإن ما يهمّنا في هذا الفصل بشكل رئيس هو الرموز الإشارية وما يخصّ إحالتها، التي تمثّل الدرجة الأولى في برنامج هنسن كما عرفنا آنفًا، وتمثّل العناصر المُحيلة في الإحالة كما سنعرف بَعدًا.

---

(1) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د م، مصر، د ر، 2002، ص16. مع تصرّف في الضبْط.

(2) ينظر: روبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم، ص97.

(3) ينظر: الحاج، محمد، المعنى والتوافق. مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص35.

وعلّ المنطق الطبيعي لترتيب الأشياء يفرض عليّ -بادئ بدء- أن أُوضّح في هذا التأسيس بعض القضايا المنهجيّة والعلميّة والفنّيّة الخاصة بمفهوم الإحالة في هذه الدراسة، هاته القضايا هي:

* يقول اللّسانيّون يمكننا القول: إن للإحالة ثلاثة أبعاد هي: نصّيّة ودلاليّة وتداوليّة[1]، أوضّحها كالآتي:

فالإحالة نصيّة؛ لأن النصيّين يُوَظّفونها آلة من آلاتهم في الربط بين أجزاء الجملة الواحدة، أو العبارة الواحدة، وتقنيةً من تقنيات تماسك النص؛ لكن تركيزهم يكون في إطار الإحالة الداخلية؛ على اعتبار أنهم يدرسون الإطار الشكلي داخل النص بشكل مُكثّف[2]. وفي نظري أن التداولي يستفيد من هذا البُعد في فحْص الرسالة اللّغويّة التي يُنشئها هو أو يُنشئها الآخر؛ قصْدَ الوصول إلى الفهم، الذي يصل به الجميع إلى مقاصد كل مُرسِل على حِدة.

والإحالة دلالية؛ إذ"تخضع لقيْد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والمحيل إليه"[3]؛ وهي من ثَمّ تمنح العلامة اللّغوية (الكلمات[4]) كيْنونَتها داخل اللّغة وخارجها عند مُستعمليها[5]. ووَفق هذا البُعد يكون التركيز على الإحالة الخارجية([6]). وحسبما يرى

(1) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص26-40، وأنوّه هنا إلى أن داليا أحمد سمّتْ أحد الأبعاد بـ: "اللّساني"؛ لكنّ الحقيقةَ أنك إذا ما ولجتَه وجدتَه خاصًّا بعلم النصّ لا اللّسانيّات عامّة، خاصّة وأنها فصلتْه عن البعديْن الدلالي والتداولي؛ ولأنّني لم أر أن ذاك الصنيعَ صواب؛ إذ ما كان في علم النص حقُّه أن يُخصّص لا أن يُدمج في اللّسانيّات، كما أن جميع هذه الأبعاد فروع للّسانيَّات فيما أعلم؛ لذلك كلّه عدّلتُ في وَسْم أولالك الأبعاد.

(2) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص26-28.

(3) خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص17.

(4) ينظر: جلال، زياد، مدخل إلى السيمياء في المسرح ومقاربة سيميائية لنص ليالي الحصاد، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 1992، ص97.

(5) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص30.

(6) ينظر: نفسه، ص28.

الباحث فإن هذا البُعد يستفيد منه التداولي في التأسيس لما يستقرئه من تداولية للإحالة، بمعنى أنه ينطلق من هذا البُعد للقيام باستنتاج تداولية الإحالة في سياقها الاستعمالي الخاص.

أما في البُعد التداولي فإنّنا سنتوّجه بشكل مكثَّف إلى المتكلِّم أو الكاتب؛ إذ إنه هو الذي يوظِّف هذه الإحالة، يقول براون ويول، نقلًا عن جرين: "الكلمات لا تُحيل بل الذي يُحيل هو المتكلِّم [أو الكاتب] باستعماله للكلمات المحيلة"[1]، كما أن المتكلِّم/ الكاتب هو الذي يُحمِّل قوْله معانيَ تكشف عن وظيفة إحاليّة مخصوصة[2]، كالربط بين دوالِّ رسالته اللّغويّة؛ إسراعًا منه في إفهام مقصوده للآخَر، أو تركيزًا على عنصر مُحيل معيَّن في الإحالة، يراه مناسِبًا لحال المتلقّي، أو تأسيسًا على هذه الإحالة، مُنطلِقًا منها إلى مقصود يريده هو أو مَن حوْله؛ بمعنى رسْمُ خطّيْن متوازييْن للّفظ والمعنى، يَلتحمان بَعْدًا مِن خلالهما في مركزِ مناسبَة مُقتضى الحال.

كما أنه من خلال البُعد التداولي للإحالة ننطلق من البُعد الدلالي للإحالة وعلاقتها بالعنصر المُحيل والمعنى الدلالي المحدود إلى علاقتها بالمعرفة الموسوعيّة لأطراف الحوار أو بعضهم، بما فيها المعرفة المشترَكة التي يجب أن تكون بينهم؛ حتى يتمَّ فهمُ الإحالة، وبما فيهاالمعرفة الخلفيّة الخاصة بالمُتلقّين والملقي في حدث ما[3]، وإلى علاقتها بالباثّ[4]

---

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، تر: منير التريكي، محمد الزليطني، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، د ر، 1993، ص51. الهامش. مع تصرّف في الضبط.

(2) موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص31.

(3) ينظر: نفسه، ص39.

(4) يقول براون ويول:"فالباثّ هو المتكلِّم أو الكاتب الذي يُحدث القول". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص65. مع تصرّف في الضبط، ويعرّف إيكو "الباث" بأنه"الاسم الذي يطلقه علماء التواصل على أحد طرفَيْ العملية التواصلية، ويكونُ مرسِلَ الرسالة إلى متلقٍّ ما". إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص310.

والمتقبِّل[1] والحضور وأوضاعهم الجسميّة والزمكان، والرسالة وحدثها الخاصّ وقناتها (طريقة توصيلها) وشَفرتها (لغتها، لهجتها، أسلوبها) ونوْعها (خُطبة، رواية، ...) وموضوعها ومقامها ومقصديّتها، أي: علاقتها بما يمثّل عناصر السياق، أو خصائصه[2].

وعلى ما سبق، تُعدّ الإحالة ذات بُعد تداوليّ إذا ما ربطنا عند تحليلها بين أربعة عناصر: "الخطاب وما يُحيل عليه حُضورًا أو ذِكْرا والمتخاطبين [الملقين والمتلقّين] والمخزون الذهني"[3]. وأخيرًا يُمكننا الاطمئنان إلى نتيجة مفادها: إنّه بِناءً على أن التداولية اللّغوية هي فهم الاستعمال في السياق، و"اللّغة لا تكتسب الإحالة إلا حين تُستعمل"[4]؛ فإن القاسم المشترَك بين التداولية اللّغوية والإحالة هو الاستعمال؛ "بحيث لا إحالة بدون[5] سياق"[6].

* وضع التداوليون لموضوع الإحالة أهميّة بالغة في دراساتهم. يقول مبارك: "لم تلجإ اللسانيات، وبالتالي السيميوطيقا إلى مشكلة الإحالة إلا تحت تأثير المناطقة وفلاسفة اللغة. وقد ظهرت

---

(1) عن هذيْن المصطلحيْن: يقول براون ويول:" وتكون كل الأطراف المشاركة حاضرة [...] ويتناوبون فيما بينهم دور الباثّ والمتقبّل". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص87.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص64-70، وينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، دار الأمان، الرباط، المغرب، د ر، 1996، ص133، وينظر: المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص83-90، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص32، وقد سبقت الإشارة إلى هذه العناصر أو الخصائص في التمهيد.

(3) المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص78.

(4) ريكور، بول، نظرية التأويل، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص 49. بتصرّف في الضبط.

(5) وردتْ "دون" مسبوقة بالباء في نصّها هكذا.

(6) المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيبي، ص133.

هذه المشكلة الى[1] الوجود بجانب قضايا التداولية وفعل القول"[2]. واسمع المقداد يقول: "والبراغماتية [...] تُشكِّل أيضًا مدخلًا هامًّا لدراسة بعض القضايا التي ظنّ بعضهم أنها تستعصي على علم الدلالة مثل قضيّة المرجعيّة (الإحالة)"[3]، وهذا موريس يرى رأيًا يصل فيه إلى حدّ التطرّف والقصور وَفق رأيي. يقول روبول وموشلار: "وأخيرًا التداوليّة التي تُعنى، في رأي موريس، بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقرّ في ذهنه أنّ التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلّم، والخطاب، وظرفَيْ[4] المكان، والزمان (الآن، هنا)، والتعابير التي تَستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيًّا خارج اللغة نفسِها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل"[5]، ويقول صحراوي:"وقد اكتشف فلاسفة التحليل عدة ظواهر لغوية من وجهة نظر تداولية [...]، وأهمها: مفهوم الإحالة"[6].

* الهدف من معالجة المشكل الإحالي –من خلال التداولية اللّغوية– هو الوقوف على حقيقة تداولية هي: أن بناء الفعل الإحالي[7] يرتكز أساسًا على الكفاية التبليغية[8]، التي يعتمد عليها

(1) في نصّها من دون همزة قطع.

(2) مبارك، حنون ، دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص91.

(3) بركلي، هربيرت، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، تر: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1990، ص108. الهامش. مع تصرّف في الضبْط.

(4) وردتْ في نصّها بهذا الضبْط.

(5) روبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص29.

(6) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضِمن: التداوليات، حافظ علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص39.

(7) الجُملة أو الجُمل المكوِّنة للإحالة، ينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص102، وأحيانًا يُقصد بالفعل الإحالي: النكرة والمعرفة والعلم واسم الإشارة والضمير والموصول، ينظر: المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص90–91، ويبقى السياق هو الفيْصل في اختيار أحد المعنييْن في النص في نظر الباحث.

(8) هي القدرة اللّغوية متمثِّلة في فهم الأصوات والصرف والنحو والدلالة، مُضافًا إليها القدرات المنطقية والمعرفية والإدراكية والاجتماعية. تفصيل ذلك في توطئة الفصل الثاني.

الملقي في تعيين الموضوعات الخارجية، ثمّ على الكفايات التأويلية[1] التي يستند عليها المتلقّي في استنتاج هذه الموضوعات[2].

* منهجيّتي في دراسة هذه الرموز الإشارية وإحالاتها ستعتمد بشكل رئيس على لِسانيين ستة: هاليدي ورقية حسن في كتابهما: "التماسك في الإنجليزية" Cohesion In English، وبراون ويول في كتابهما:"تحليل الخطاب"، وخطّابي في كتابه: "لسانيات النص". هذا الاعتماد حُجّته في هؤلاء الخمسة: أنني رأيتُ أن مُعظم باحثي التداولية اللّغوية لجأوا إلى أولاك الروّاد في دراساتهم تلك، وأضفتُ إليهم الشاوش؛ لأنّني اعتبرتُ كتابه: "أصول تحليل الخطاب"؛ أوسعَ دراسة عربية ناقدة لتلك الكتب، أَضِفْ إلى ذيْنك الحُجّتيْن: ضبْطَ منهجيّة البحث، وخوْفَ التوسّع في هذه الدراسة الأكاديمية المرتبِطة بموعِد إنجاز.

في الأسطر اللّاحقة أعرّف بـ: الإحالة، وبأنواعها، وبعناصرها المُحيلة أكثر؛ وذلك بناء على ما أسّستُ له في الأسطر مِن فوقُ.

المبحث الأول: ماهيّة الإحالة Reference ونوعاها

المطلب الأول: ماهيّة الإحالة

ف1: الإحالة لغة:

جاء في قواميس اللّغويين القدامى والمحدَثين وكُتبهم في الجَذْر "حَوَلَ" ما يأتي:

* ورد عند ابن القطاع (515هـ) قوله:"حال على ظهر الدابة حُؤولًا و(أحال) وثب والناقةُ والنخلةُ حِيالًا لم تحملا كذلك، والرجلُ والشيء أتى عليه حَولٌ و(أحولًا) أيضًا و(حال) عن العهد

(1) هي مجموعة القدرات الموسوعية واللّغوية والمنطقية والتداولية والتبليغية التي نطبّقها عند التأويل التداولي. الحديث عنها باستفاضة في توطئة الفصل الثاني.

(2) ينظر: السيساوي، يوسف، المقاربة التداولية للإحالة، ضِمن: التداوليات، ص491-492.

حوالة وحُؤولًا رجع عنه [...] و(أحلتُ) على الشيء، أقبلت عليه [...] و(أحال) الرجلُ، صارت إبله حِيالًا لم تحمِل [...] و(أحاله) أفسده، وعليه بالسوط يضربه، أقبل(1).

* وأورد ابن منظور(711هـ) قوله: "وأَحالَ الشيء واحْتالَ: أَتَى عليه حَوْلٌ كامل [...]، وأَحالت الدارُ وأَحْوَلَتْ وحالَتْ وحيلَ بها: أَتَى عليها أَحْوَالٌ، [...] وأَحالَ اللهُ عليه الحَوْلَ إحالة، وأَحْوَلْتُ أَنا بالمكان وأَحَلْتُ: أَقمت حَوْلًا. وأَحال الرجلُ بالمكان وأَحْوَل أَي أَقام به حَوْلًا، [...] ويقال: أَحَلْت فلانًا على فلان بدراهم أُحيلُه إحالةً وإِحالًا، فإِذا ذَكَرْت فِعْلَ الرجل قلت حالَ يَحول حَوْلًا [...]، وأَحال عليه: اسْتَضْعَفه [...]، ويُحيل بعضُهم على بعض أَي يُقْبل عليه ويَميل إليه.. وأَحَلْت الماء في الجَدْوَل: صَبَبْته [...]، وأَحال الليلُ: انْصَبَّ على الأَرض وأَقبل"(2).

* وجاء عن الزَّبيدي (1205هـ) قوله: "أَحالَ (الشيءُ: أَتَى عليه حوْلٌ) سواءٌ كان من الطَّعام أو غيرِهِ، فهو مُحيلٌ [...]، وأحال (بالمَكانِ: أقامَ به حَوْلًا) [...]، وأحالَ (الحَوْلَ: بَلَغَهُ) [...] وأحالَ (عليه الماءَ) من الدّلْو: (أَفْرَغَهُ) وقَلَبها [...]، وأحالَ (في ظَهْرِ دابَّتِه: وثَبَ واسْتَوى) [...]، وقال أَبُو عَمْروٍ: أحالَ بفُلانٍ الخُبْزَ: إذا سَمِنَ عنه [...]، وأحالَ عليه بدَيْنِه إِحالَةً"(3).

*أما في المعجم الوسيط ففيه: "أَحالَ [...] الدّارُ: تغيَّرت وأتى عليها أحوالٌ، [...]، و– عليه الحَوْلُ: حال، [...]، و–بالمكان: أَقامَ به حَوْلًا، [...]، و–العمل إلى فلانٍ: ناطَه به. و– القاضي القضيَّة إلى محْكمةِ الجِنايات: نقلها إليها"(4).

---

(1) ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي، ضبط: إبراهيم شمس الدين،(مادة ح.و.ل) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص131.

(2) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عامر حيدر، وعبد المنعم خليل،(مادة ح.و.ل) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003: 221–235.

(3) الزبيدي، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، عناية: عبد المنعم خليل وكريم سيد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007: 211/27–212، 221–222.

(4) مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد حسن، وعبد القادر، حامد، و النجار، محمد علي، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د ب، ط2، 1972، ص208–209.

ومن خلال الاطّلاع على أوسع مدوّنات المعجميّين وأشهرها تلك، أَستقرئ الآتي: أن الفعل "أحال" مادّتُه "ح. و. ل" وجَذره "حَوَل"، وتصريفه: "أحال، يُحيل، فهو مُحيلٌ، إحالةً وإِحالًا"، وأنه – وَفْق سياقات الفعل – يمكن استعماله: لازمًا، ومتعدّيًا بنفسه، ومتعدّيًا بحروف الجر: "في، على، ب"، وزاد المحدَثون تعدّيه بـ: "إلى".

وفي هذه الدراسة طبْعًا ما يهمّنا هو تعدّي الفعل "أحال" بحرفيْن هما: "على" و"إلى"، ومنهج الباحث في ذلك هو الالتزام بما نصّ عليه القدامى تيمّنًا؛ لكنّني لا أُخطّئ من يستخدم توسّع تعدّي المحدَثين للفعل "أحال"، على اعتبار أن إجماع مَجمع اللّغة العربية هو إجماع سلطة لّغوية معتمَدة، كما أن هناك بابيْن كبيريْن في اللّغة هما تناوب الحروف والتضمين يمكن توظيفهما في هذا الاستعمال، أضف إلى ذلك أن هذا الإجماع فيه توسّعٌ في اللّغة ومرونةٌ تُجيز للناطق بالعربية استخدام خيارات أسلوبيّة عديدة، ناهيك عن أن هذا الاستعمال لا يَنسِف بقواعد النَّحو التُّراثيّة الأصيلة فيما أرى.

ف2: الإحالة اصطلاحًا

أما اصطلاحًا: فمن خلال مُلاحظة أن التداولية اللغوية قمّة التواصل[1] communication، وأن التواصل يتمّ في موقف معيَّن وفي إطار سياق ومقام معيّنيْن[2]، يستشفُّ القارئ/ السامع علاقة قائمة بين عنصرِ علاقة(عنصر إشاري[3]) داخل السياق اللّغوي أو

---

(1) التواصل هو تبادل معلومات بين باثّ ومُتقبّل، بواسطة مرسَلةٍ (رسالة)، تنتقل من الأول إلى الثاني، عن طريق قناة اتّصال؛ انطلاقا من نظام رموز Codes . ينظر: يعقوب، إميل، وبركة، بسام، وشيخاني، مي، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص154، وينظر: خليل، أحمد خليل، معجم المصطلحات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص123.

(2) ينظر: المتوكل، أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، د ر، 2006، ص 66.

(3) يعرّف الزنّاد العنصر الإشاري Deictic element بأنه : "كل مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره"، (والمكوَّن هو كل اسم مفرد أو ما يضارعه من مركّبات تشير إلى ذات كـ (ذات المتكلم)، وهذا ما يكون

خارجه، يقوم بوظيفة العلاقة أو التأويل أو العائد إليه، وضمائرَ أو أسماءِ إشارة أو ظروفٍ أو تعريفٍ (عناصر مُحيلة) داخل السياق اللّغوي، ينبغي لطرفي الرسالة اللّغوية (المرسِل والمتقبِّل) رَصْدها؛ حتى يتسنّى لهما الفهم الصحيح.

تلك العلاقة هي ما يُطلق عليها "**الإحالة**"[1] Reference، وهي تَكمُن في كَوْنِ ذهن المستمع/ القارئ يُنتِج ارتباطات معيَّنة بين العناصر المُحيلة وما يقابلها مِن دوالّ مُحالٍ عليها في السياق المرجعي (=الذي ترد فيه الإحالة ونرجع إليه[1])[2].

معجميًا، أو جزءًا من الملفوظ أو الملفوظ بأكمله(كـ (موجزها) في قولنا: وهذا موجزها، أو(الحمد لله) بعد قولنا : قلتُ ما يلي:)، وهذا ما يكون نصيًّا)؛ ومن ثَمّ فهو يقسِّم العنصر الإشاري إلى لغوي وغير لغوي، العنصر الإشاريّ اللّغويّ هو: "كل عنصر إشاري متوفّر في عالم النص الداخلي"، وهذا اللّغوي قسمان: مُعجمي: يشمل كل ما هو متحدَّث عنه من الذوات أو الأشيا أو القضايا أو الأحداث أو المفاهيم، ونصّي: مقطع من نصّ أو نصّ كامل، أما العنصر الإشاري غير اللّغوي فهو: "كل عنصر إشاري يتوفّر ما يعود عليه في مقام الملفوظ"، بمعنى: كل ما هو متحدَّث عنه من الأعلام أو الأشيا أو القضايا أو الأحداث أو المفاهيم التي هي خارج السياق اللّغوي للنّصّ، ونفهمها من المقام، لا السياق اللّغوي، ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص115-119، 126-131، وينظر: مقال: ميلود، نزار، من طرف محمد بن زعبار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية. دراسة تأصيلية تداولية، على الشبكة المعلوماتية، 2010/12/24 http://difaf.forumactif.org/t2503-topic

(1) كما هي عند خطّابي، ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص16، وبحيري، ينظر: بحيرى، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص98، أو "الصيغ الإحالية". ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص16، أو "المعنى الدلالي" و "الإرجاع". ينظر: بالمر، فرانك، مدخل إلى علم الدلالة. تر: خالد جمعة، ص297، أو"الإشارة" كما يترجمها الماشطة وفالح وباقر، ينظر: لاينز، جون، علم الدلالة، تر: عبد الحليم الماشطة، حليم فالح، وكاظم باقر، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، العراق، د. =ط، 1980، ص15، 43، أو "المرجعيّة" كما يصطلِح عليها المقداد والفقي والمتوكل، ينظر: بركلي، هربيرت، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ص108. الهامش، وينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000: 43/1، 69، 75، وينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، المغرب، د ر، 2001، ص143، أو"المَرجِع" كما يسمّيها نحلة، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص16. وفي خِضَمِّ هذه التسميات اختار الباحث مُصطلح "الإحالة" اختيار خطّابي؛ لوضوح علاقة الاسم بالمسمّى بأقلِّ مفردات؛ وحتى لا تَلتبِس التسمية بمصطلح آخر كما هو في تسمية "الإشارة"، إذ تُلبِس علينا مصطلحي "اسم الإشارة" و"الإشاريات"، كما أن تسمية "المَرجعية" لا توحي بخصوصيّتها اللّسنيّة؛ إذ تُستخدم في كثير من الميادين الأخرى؛ إذ نقول: المرجعية الدينية والمرجعية الفكرية؛ ما يُسبّب إرباكًا عند التحليل، وإن كان السياق

وهنا ينبغي لنا أن نعطي القوس باريَها؛ فنعترفَ بأن أوضح تعريف تداولي للإحالة هو تعريف اللِّساني الهولندي سيمون ديك، الذي عرّف الإحالة بأنها:

"فعل تداولي تعاوني بين متكلِّم ومخاطَب، في بنية تواصلية معيّنة، وَفقًا للأنموذج الآتي: يُحيل المتكلِّم المخاطَب على ذات، بواسطة حدٍّ [هو العنصر المُحيل، كالضمير، والإشارة، والموصول، والعَلم، والتوابع، ...[3]]"[4].

يقول المتوكل شارحًا تعريف ديك: "الإحالة [...] فعلٌ تداولي؛ لأنها ترتبط بموْقف تواصليّ مُعيَّن، أي: لأنها ترتبط [...] بمخزون المخاطَب كما يتصوّره المتكلِّم أثناء التخاطب. دليل ذلك أن الإحالة على ذاتٍ ما يُمكن أن تتِمّ بواسطة ضمير أو اسم أو مركَّب اسمي مُعقَّد وَفقًا لتقدير المتكلِّم للإمكانات المتوافرة لدى المخاطَب للتعرّف على الذات المعنيّة بالإحالة"[5].

سيُسهم في حلّ هذا الإرباك نوعًا ما؛ إلّا أنه لن يُنهيَه، أما "المرجع" فيدلّ على مكان الرجوع لا فعل الرجوع الذي يدلّ عليه مفهوم الإحالة، ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص22-23، 36، 136.

(1) يقول خليل:" فسياق النص، نفسه، ينطوي على كلمات، وإشارات، تتخلّل نسيجه اللغوي وظيفتها أن تجعل المتلقي على صلة دائمة بموضوع الحديث، وظروفه، وملابساته الحالية وهذا شيء موجود في معظم اللغات، وهو السياق المرجعي". خليل، إبراهيم، من نحو الجملة إلى نحو النص، مؤتمر مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر، تونس العاصمة، تونس، 2-3 فبراير، 1996، د م، ص91.

(2) ينظر: المرابط، عبد الواحد، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، دار الآفاق، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص191.

(3) ينظر: أوشان، علي آيت، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص136، 152، ويتوسّع المتوكل في هذه الحدود فيُضيف إليها المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والفاعل الجملة. ينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيبي، ص123-133، 143-187.

(4) Dik,S,C: The Theory Of Functional Grammar Part1: The Structure Of The Clause Second Revised Version Berlin :Mouton De Gryte (1997) :p127، نقلا عن المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص137. بتصرّف في الضبط.

(5) المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص138. بتصرّف في الضبْط.

نخرج من تعريف ديك وشرح المتوكل بأن الإحالة: فعلٌ تداولي، أي أن الإحالة تُفهَم من خلال الاستعمال in use في سياقها اللّغوي أو مقامها، وفيها يثق المرسِل Sender بالرصيد المعرفي لدى المتلقّي Addressee ، الذي يختار بدَوْره العنصرَ المُحيلَ الملائمَ لرصيده. يوضح أوشان ذلك أكثر وهو يقول: "الإحالة فعلٌ تداولي يتوخّى منه المتكلِّم [المُلقي] جعل المخاطَب يتعرف على المُحال عليه، وتتمّ هذه العمليّة عن طريق الإضافات المتوالية للمعلومات التي يعتبرها المتكلم [المُلقي] تقرِّب المخاطَب من التعرّف على الذات التي يقصد الإحالة عليها"[1].

كما نفهم من ديك والمتوكل أن الإحالة علاقة تداولية في إطار التعاون؛ لأنه لابدّ من وجود طرف منتِج وطرف مستهلِك فيها، يتعاونان لإنتاج صفقة كلاميّة، ويتبادلان حوارًا، تُزكِّيه نظرية الملاءمة التداولية[2]. يقول المتوكل: "من خصائص هذه العملية التعاونية [الإحالة] أنها محكومة بقواعد الحوار [...] وعلى الخصوص بقاعدة ((الكمّ)) التي تقتضي [...] ألاّ تفوق

---

(1) أوشان، علي آيت، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، دارالثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص137. بتصرّف في الضبْط.

(2) نظرية تداولية، صاغها الانجليزي ديردر ولسن D. Wilson، والفرنسي دان سبربر D. Sperber، وهي تقوم على مُعطيات نفسيّة وإدراكيّة، منها نظريةُ القالبيّة لفودور Fodor، التي تنصّ على أن المعالجة الإخبارية تتمّ بترجمة الإدراكات المباشرة في الدماغ، ثُمّ تأويل الملفوظ، وأخيرًا دمْج الإخبار المتحصَّل عليه بموجب العمليّتيْن السابقتيْن بالإخبار الموجود في الذاكرة التصورية ، ومنها معطياتٌ حوارية مأخوذة من نظرية غرايس Grice، التي تنصّ على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام هو مبدأ التعاون وبمسلّمات حوارية. تتلخّص هذه النظرية التداولية في المزاوجة بين الترميز (تحويل الشيّ إلى رمز كتحويل الأصوات =إلى حروف وتحويل الأفكار إلى كلام) والاستدلال في عملية تأويل الخطابات؛ وذلك بإنتاج مثير واضح للمخاطِب؛ حتى يسعى إلى جَعْل مجموعة الافتراضات واضحة، أو أكثر وضوحًا لدى المخاطَب؛ لكنّ أهمّ ميزة تتماز بها هذه النظرية هي تصوّرها للسياق، إذ لم يَعُد أيّ شيّ مُعطىً بشكل نهائي أو محدَّد قبل عمليّة الفهم، وإنما يُبنى أيّ مُعطىً وَفقًا لتوالي الأقوال. ينظر: البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، ص171، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة"الأفعال الكلاميّة"في التراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص36–38، وينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص197، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص183.

المعلومات التي يُمَدُّ بها المخاطَبُ المطلوبَ، أي ما يكفيه للتعرف على الذات المقصودة، وألاَّ تكونَ دُونَه . فإذا كانت دُونَه فشلت عملية الإحالة وإذا فاقته عُلِم أن المقصود ليس مجرّد الإحالة بل معنى آخر كالاستخفاف بالمخاطَب مثلًا"[1].

كما أُشيرُ إلى أن براون ويول حدَّا الإحالة حدًّا تداوليًّا؛ وإن ساقاه في معرض حديثهما عن المُعجميّة والدلالة؛ إذ أشارا إلى المتخاطبين وحاجتهم للإحالة، يقولان: "لهذا يمكن ابعاد[2] مصطلح "الإحالة" عن دراسات معنى المفردات وتخصيصه بتلك الوظيفة التي تمكّن المتكلّمين (الكتاب) من الإشارة من خلال استعمالهم لعبارة لغوية إلى الأشياء التي يتحدّثون(يكتبون) عنها"[3].

وانظر أيضًا إلى تعريف دي بوجراند، وتداوليةِ تعريفه للإحالة؛ من حيث الحديثُ عن مؤقفيّتها ومرجعيّتها وسياقها؛ لكنّك تلحظ مع هذه التداولية خلوَّ تعريفه من ذكر وظيفة الإحالة، وخُلوِّه من إشارة للإحالة الداخلية، يقول دي بوجراند: "يتم تعريف الإحالة [...] عادة بأنها العلاقة بين العبارات [Constructions] من جهة وبين الأشياء[Objects] والمواقف [Situations] في العالم الخارجي، الذي تشير إليه [تلك] العبارات [من جهة أُخرى]"[4].

وبعد تلك العُجالة المعرفيّة للأهميّة المقاميّة الاستعماليّة السياقيّة للإحالة، أُشيرُ إلى أنّه من التعسّف والتطرّف أن نرى/ نتبنّى رأيَ "راسل"؛ فنجزم بأن التعابير التي ليست لها إحالة غيرُ سليمة التركيب، وأن موضوعاتِها غيرُ موجودة[5] ...، بأن يُؤخذ الحُكم على عمومه هكذا! أعني: إطلاقه على كل اللّغات، ودون احترازِ مِعيار السياق على الأقلّ، لا يُؤخذ. أدّعي! بدليل أنه إذا نظرنا

(1) المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص138.

(2) في نصّها من دون همزة قطع.

(3) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص322.

(4) دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص 172.

(5) ينظر: الباهي، حسان، اللغة والمنطق، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، دار الأمان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص182-184.

مـــثلًا: فـــي العربيـــة إلـــى التعـــابير: "جُهـــدٌ موفَّـــق!"، "تـــدخينٌ فـــي مدرســـةٍ ممنـــوعٌ"[1]، "مرحـى!"،"برحـى!"،"آه!"[2]، إذا نظرنـا إليهـا كـشواهد للمـسألة، نجـد أن قيمـة الإحالـة فيهـا جميعًـا صِفريّة؛ إذ لا وجود فيها لأي عنصر مُحيل، ومع ذلك فَهي صحيحة التركيبِ مائة بالمائة.

وعَقِب تلك الجولة التعريفيّة والتعقيب، أُفصِّل الحديث أكثرَ عن قسمي الإحالة في المطلب الثاني الآتي.

المطلب الثاني: نوْعا الإحالة.

يُقسّم اللِّسانيّون الإحالة إلى نوْعيْن هما:

ف1: الإحالــة الخارجيــة[3] Exophora ، وتعـرّف بأنهـا: إرجـاع عنـصر لغـوي مُحيـل (كضمير المتكلِّم المفرد) على عنصر إشاري غير لغوي (خارج التركيب، كـ ذات صاحبها المتكلِّم) موجود في السياق الخارجي[4].

---

(1) هذا التركيب يَستعمله المدرّسون عندنا في ليبيا، ويبدو أنه من قبيل الاختلاف اللّغوي الذوْقي بين الفصيح في ليبيا والأردن، الذي أحد أسبابه فيما أرى: اختلاف لهجات القبائل العربية القديمة الفصيحة المهاجِرة من اليمن والجزيرة العربية إلى القُطريْن؛ فقد قال لي مُشرفي –جزاه الله خيرًا–: "إن هذا التركيب نادرٌ عندنا في الأردن"، ثمّ طلب منّي تَجْليَته بأخْذ رأيِ عشرة ناطقين من أبناء اللّغة، وعندما قُمتُ بهذه التجليَة؛ وافقني المُستهدَفون بقبولها ذوْقيًّا؛ إلّا أن بعضهم قال: إن التركيب قَلِقٌ؛ لعدم شُهرة سماعه.

(2) ينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص106. ويقول بعيطش في الكتاب عيْنه والصفحة نفسها: "والجامع لهذه الأفعال اللغوية ["مرحى!"، "برحى!"، "آه!"] أنها [...] لا تتوفّر على [...] إحالة".

(3) ويُطلَق عليها أيضًا "المقامية"، و"التداولية"، ينظر: الصبيحي، محمد، مدخل إلى علم النص، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص89، وينظر: مقال ميلاد: نزار، من طرف محمد بن زعبار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية، http://difaf.forumactif.org/t2503-topic، والباحث ليس مع تسمية الإحالة الخارجية بـ: "التداولية"؛ لأنّنا من خلال هذه التسمية نُلغي تداولية الإحالة الداخلية، أو على الأقلّ هذا ما يلِج تفكيرنا اللّغوي عند قصر تعريف التداولية على الإحالة الخارجية.

(4) ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 125/1، وينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118–119، وينظر: البدر: سامي محمد،2004، الضمير ووظائفه. دراسة تحليلية تركيبية ودلالية، أطروحة دكتوراه،

ف2: الإحالـة الداخليـة[1] Endophora، وتوسم بأنها: إرجاع عنصر لغوي مُحيل على عنصر إشاري لغوي وارد في السياق الداخلي المذكور فيه العنصر المُحيل نفسه[2]. وتتفرّع إلى:

أ- داخلية قبلية[3] Anaphora، ترجع إلى عنصر إشاري لغوي مفسِّر (Antecedent)، سبقَ التلفظ به[4].

كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص120، وينظر: مقال ميلاد : نزار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية، http://difaf.forumactif.org/t2503-topic.

(1) ويُطلق عليها "المقاليّة"، و"النصيّة"، و"اللّغويّة" كذلك، ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص124، وينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، كلية الآداب، منوبة، تونس، والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص91، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص28، 35، وينظر: مقال ميلود نزار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية.http://difaf.forumactif.org/t2503-topic .

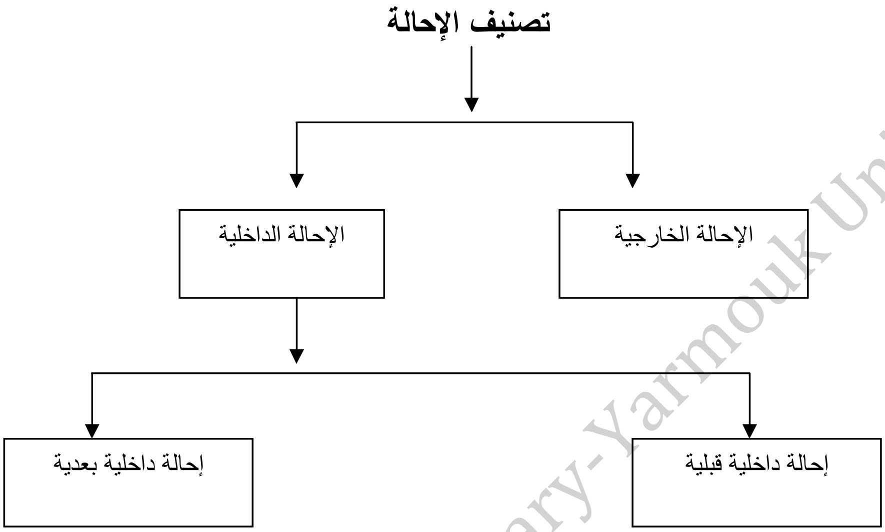
(2) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118.

(3) ويطلق كذلك على هذه الإحالة الداخلية مصطلح "إلى الوراء"، ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص302، و"بالعوْدة"، ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118، و"الإحالة على السابق" أو "إلى السابق"، ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118، وينظر: علي، عبد الصاحب مهدي علي، معجم مصطلحات الترجمة التحريرية والشفوية إنجليزي-عربي، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2008، ص20، و"النحوية"، ينظر: علي، عبدالصاحب مهدي، موسوعة مصطلحات الترجمة، منشورات جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، د ر، 2007، ص133، والباحث لا يُحبِّذ إطلاق "النحوية" على الإحالة القبليّة دون البعديّة؛ لأن في ذلك إشعارًا بإلغاء البُعد النحويّ للأخيرة، المتمثّلة في أوضح معالم نحويّتها بإحالة "ضمير الشأن"، ينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 40/1، ، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة =المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص302، وينظر: بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية، مكتبة الآداب، ص104-105، 125-134، وبالمناسبة فإن مصطلَح الإحالة النحويّة يُعاني اضطرابًا في المصطلحيّة؛ إذ تُطلقه داليا موسى على الإحالة في مداها القريب، أعني الإحالة داخل الجملة الواحدة، وليس هذا فحسْب، بل تخصّصه بإحالة الضماير، ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص26. وإكمالًا للمسألة أذكرُ أن داليا تجعل الإحالة الداخلية خاصّة بالإحالة بين الجُمل لاغير، ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص26-27.

(4) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص17، وينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118-119، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 125/1، وينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، كلية الآداب، منوبة، تونس، والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص91، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص28، 35، وينظر: مقال ميلود نزار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية. http://difaf.forumactif.org/t2503-topic.

ب–داخلية بعدية[1] Cataphora ، وترجع إلى عنص إشار ي لغوي مفسِّر، مذكور بعده[2].

الخُطاطَة تحتُ تُلخّص ما نثرتُه قبلًا من الإحالات.



ويضيف الزناد نوْعًا ثالثًا، يراه مُستقلًا، يُسمّيه:"الإحالة النصية"[3] Texophora، ويُعرّفها بأنها: إرجاع عنصر معجمي على مقطع (جملة، أو نص، أو مركّب نحوي) من الملفوظ/ الخطاب[4]/ الرسالة، بوساطة عناصر لفظيّة، مِن قَبيل: "قصة، خبر، رأي، فِعْل ..."، كقولي: "لا أُحبّذ هذا الغرور"، فهذه إحالة نصيّة، عنصرها المُحيل متضمَّن، هو: "رأيي"[5].

---

(1) هي أيضًا تحمل مصطلح"إلى الأمام". ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص302، و"على اللّاحق". ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118، و"اللّاحقة". ينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:38/1.

(2) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118- 119، 127-131، وينظر: مقال ميلاد: نزار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية. http://difaf.forumactif.org/t2503-topic.

(3) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص119.

(4) يتبنّى الباحث في هذه الدراسة مفهوم الخطاب الذي يسِمه بأنه: الملفوظ شفويًّا كان أو مُدوَّنًا. حول هذا المفهوم، ينظر: بوقرة بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص17-24.

(5) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 119، 132،129، وينظر: جبر، أسامة أحمد، 2004، سورة الإسراء، دراسة تحليلية نصية، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص29.

وأرى ما يراه الفقي من أن هذا النّمط يندرج تحت الإحالة الداخلية[1]؛ إذ فيه عودٌ على متقدِّم أو متأخِّر داخل النّص، وإنْ كنتُ أرى أيضًا أن ليّ العنق بائنٌ في اعتبار هذا النّمط إحالة أصلًا؛ حيث إن العنصر المُحيل فيه مُتخيَّل ولا نكاد ندركه، بلهَ عدمَ إشارة المحلّلين اللّسنيين له في دراساتهم، لا تنظيرًا ولا تطبيقًا؛ وهذا ما يبدو لي عِلّةُ عدمِ عدِّ جلِّ اللِّسنيين العربِ هذا النّمطَ نوْعًا مستقلًّا.

وفي نهاية المَطاف نعي أن الهدف الأساسي من معرفة الإحالة هو: أن نتعرّف على بعض الأمور المتعلِّقة بالمُلقي كآرائه الخاصة في المُحال عليه وأهوائه وأغراضه، وربما معلوماتٍ أُخرَ لا ينتهي ذكرها[2].

كما أنه يَحقّ لنا أن نفخر بالإشارة الإحالية وسياقها للعالم الجليل عبد القاهر الجرجاني (471هـ) – رحمه الله – وهو يقول: "واعلم أنك إذا رجعتَ إلى نفسك علمتَ علمًا لا يعترضه الشك: أنْ لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولا ترتيبَ، حتى يُعَلَّق بعضها ببعض، ويُبْنَى بعضها على بعض، وتُجْعَل هذه بسبَبٍ من تلك"[3].

يزعم الباحث أن تلك الرسالة الجرجانية أيقونة Iconicty سياقية، تتضمّن الإحالة؛ فالنَّظْم الذي يذكره الجرجاني هو السياق اللّغوي تقريبًا عند المحدَثين[4]، ومفهومَا التعليق والسببيّة النصّية يقتربان جدًّا من مفهوم الإحالة؛ حيث إننا مع الأخيرة نربط العنصر المُحيل بما قبله أو بما بعده أو بما هو خارج النص، وبدء هذا الربط يكون من السياق اللغوي؛ فيكون مُعلَّقًا عليه، وسببًا له.

---

(1) ينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 70/1.

(2) ينظر: يونس، محمد محمد علي، وصف اللغة العربية دلاليا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، د ر، 1993، ص91.

(3) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، كتاب دلائل الإعجاز، تعليق : محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، السعودية، ط3، 1992، ص55.

(4) يقول أستاذنا استيتية:"ويشبه أن يكون النظم مرادفا لمفهوم السياق [السياق اللغوي]". استيتية، سمير، منازل الرؤية، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص129.

المبحث الثاني: العناصر المُحيلة (anaphors)

للإحالة صيغ، أو عناصر كما اتّضح لنا في التوطئة والمبحث الأول قبلًا. هذه العناصر المُحيلة(1) تفسِّر الإحالة(2)، وتشمل حسَب هاليدي ورقية حسن، وبراون ويول، وخطّابي،

(1) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص16، وهي أيضًا"الأدوات الإشارية" كما يوسِمها التريكي والزليطني، ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص49، أو "المعيِّنات" كما يختار لها مفتاح ومداس، ينظر: مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص151، وينظر: مداس، أحمد محمد، لسانيات النص. نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص57–58، أو الإشاريات عند بنفنيست، أو المتغيِّرات (يتغيّر معناها الدقيق وَفقًا لما تُحيل عليْه)، أو الروابط عند ياكبسون، أو المبهَمات بمعنى أن "إحالتها لاتتحدد إلا بمعرفة سياقها" عند مبارك. ينظر: مبارك، حنون، دروس في السيميائيات، ص95–96، أو"وسائل الاتساق الإحالية" كما يسمّيها خطّابي، ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص16–18، أو"المعوِّضات" أو"عناصر الإحالة" كما يُطلق عليها الزنَّاد، ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص115–116، 131، أو"الألفاظ الكنائية" كما يترجمها تمّام حسان، ينظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص320، وينظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000: 7/2، أو"العوائد الإشارية" كما يصطلِح =عليها عبد الجليل، ينظر: عبد الجليل، عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص279، أو "صيغ الإحالة"، أو "العناصر الإحالية"، أو "الروابط الإحالية" كما يعلِّمها سعيد بحيرى، ينظر: دايك، فان، علم النص مدخل متداخل التخصصات، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص135–136، وينظر: بحيرى، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية، ص96 ،98–99، أو"العناصر الإشارية" كما يَسمِها نحلة، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د م، مصر، د ر، 2002، ص17، 22، أو"القرائن الإشارية" كما هي عند أوركيوني، ينظر: أوركيوني، ك، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ر، 2007، ص51–100، 108–113، أو "التعبيرات المرجعية" أو"الأدوات اللسانية للمرجع" كما يختار لها ديكرو وسشفاير، ينظر: أوزالد ديكرو، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2007 ص329، ومع يقين الباحث بأن "لا مشَاحّة في الاصطلاح إذا بانت المعاني"؛ إلّا أنّه يختار تسميةَ العناصر المُحيلة (التسمية الأولى لخطّابي)؛ لوضوح علاقة الاسم بالمسمّى؛ ولأن فيها الحدث الإجرائي الواضح (المُحيلة = الفاعلية).

(2) ينظر: أبو دلو، أحمد، 2002، تحليل الخطاب الجدلي في القرآن، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص33.

والشاوش[1] **عنصر "الضمير"**، ويحتوي: ضمائر الشخص، وضمائر الملكيّة، **وعنصر "الإشارة"**، ويضمّ أسماء الإشارة، وظروف الزمكان، **وعنصر "(الـ) التعريف"**، و**عنصر "المقارنة"**[2] Comparative.

ومن المعلوم بمكان أن هذه الدراسة تتعلّق بالنصّ العربي؛ لذا حوّر الباحث -وَفق قراءاته- بعض العناصر المُحيلة بما يُلائم ما هو موجود في العربية، لا الإنجليزية، التي اتخذها اللِّسنيّون هاليدي وحسن، وبراون ويول، و-نوعًا ما- خطّابي[3] ميدان دراستهم.

من هذه التحويرات إسقاطُ عنصر"المقارَنة" من العناصر المُحيلة في بحثي هذا؛ اقتناعًا برأي الشاوش، الذي يرى أن إدخال المقارَنة ضِمن منظومة العناصر المُحيلة فيه خلطٌ بين الإحالة من جهة، والدلالة والتركيب من جهة أخرى؛ ومن ثَمّ لو عَددْنا المقارَنة عنصرًا مُحيلًا وقعْنا في الاضطراب؛ لأن هذا العَدّ يصدُق على الإنجليزية لا العربية. يقول الشاوش: "والملاحظ أنّ تناول

(1) ينظر: Halliday, M. A. K. and R. Hasan (1976 Cohesion In English p38,57,76) Longman. London، وينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص50، 126، 264، 298، 304، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص 18-19، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 126/1-131،

(2) يُقصد بالمقارَنة عنصرًا مُحيلًا: وجود عنصرين كشخصيْن أو شيئيْن أو حدثيْن أو قضيّتيْن أو مفهوميْن، يقارن المتحدِّث بينهما من حيث أوجه الشبه، أو الاختلاف، باستخدام أدوات المقارنة، مثل: نفس، أكثر، يشبه، آخر، وإلّا، وكل صيغ التفضيل...، ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص304، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص19، وينظر: عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ر، 1998، ص81، وينظر: أبو زنيد، عثمان، نحو النص، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط 1، 2010، ص 108، وينظر: أبو خرمة، عمر، نحو النص، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004، ص82، وينظر: فرج، خالد خميس، 2009، التماسك النصي في سورة التوبة دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص76، وينظر: النواصرة، ناصر محمود، 2009، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق سورة الأنعام أنموذجًا، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص57.

(3) إذ إن خطّابي نهج نَهْجَ هؤلاء، وتبنّى رأيهم دون نقد يُذكر، أو إشارة إلى خصوصيّة العربيّة مع أنه طبّق مفاهيمهم اللِّسانية على العربيّة.

"هاليدي وحسن" لمسألة المقارنة قام [...] على الخلطِ [...] فما بدا لهما في المقارنة راجعا إلى الإحالة هو [...] من مقتضيات البنية الدلالية للألفاظ والصيغ التي تستعمل في المقارنة والتفضيل، فمفردات من قبيل "مثل" و"شبه" [...] تقتضي دلاليّا [...] بنية ثنائية وبالتالي لا يجري استعمالها إلاّ في بنية تركيبيّة [...] فإذا اعتبرت هذه [...] من قبيل الإحالة [...] **سيدخل فيه جميع البنى الدلالية التركيبية التي تقتضي عنصرين اثنين** بما في ذلك الصيغ الدالة على المشاركة [...] وإنّ ما بدا للمؤلفيْن من اتصالها[وجوه المقارنة] بالإحالة راجع إلى خصوصيّة في اللغة الانقليزية أوهمت بذلك"(1).

وتواصلًا مع حديثي عن العناصر المُحيلة بشكل عام؛ وحيث إنّني لم أجد تعريفًا واضحًا لتلك العناصر عند هاليدي وحسن، وبراون ويول، وخطّابي، والشاوش؛ وحيث إن هدفي الأول هو التطبيق لا التنظير، وحيث ذلك فإنّني أكتفي بدراسة نقديّة مختصَرة لتعريف الزناد للعناصر المُحيلة؛ وقد اخترتُه خصوصًا؛ لأنني أَعتبره من اللّسنيين العرب الروّاد، الذين توسّعوا في دراسة الإحالة، وطبّقوها على النصوص العربية.

يعرّف الزنّاد العناصر المُحيلة بقوله: "قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب"(2).

الواضح أن في تعريف الزناد فوقُ ضبابيّة؛ ذلك أن مصطلحي الألفاظ والعنصر (أو العناصر الأخرى) عائمان.

بعبارة أخرى، لم يحدِّد لنا التعريف مفهوم تلك الألفاظ المقصودة وتلك العناصر وتلك الأجزاء الأخرى، ثُم ما وظيفة عودة تلك الألفاظ على العناصر الأخرى؟

(1) الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 1/129-130.

(2) الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118.

ويعرّفها -ودائمًا مع الزنّاد- في موضع آخر من الكتاب نفسه بتعريف آخر يحمل دوالّ فضفاضة كما أدّعي؛ إذ يقول: "العنصر الإحالي هو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره"[1]، وهنا نجد الزنّاد يتفطّن إلى الوظيفة؛ لكنه يُبْقِي مصطلح المكوَّن زئبقيًّا، مطّاطًا، غيرَ محدّد.

وعبْر استقراء مدوَّنات اللّسانيين في الإحالة وعناصرها يعرِّف الباحث العناصر المُحيلة بأنها: "دوالّ لِسنيّة، تشمل الضمير (pronoun) وأسماء الإشارة، والظروف، وال التعريف، وغيرها[2]، نحتاج في فهمها إلى العودة إلى عناصرَ إشاريّة مُعجميّة (كلمات غير مبهَمة)، أو عناصر إشارية نصيّة (جزء من نصّ أو نص كامل)، مذكورة داخل السياق اللغوي أو خارجه"[3].

من كل ما سَبق نَفهم أن هناك دوالَّ لغوية هي: الضمائر، وغيرها، تنضوي داخل الإحالة، تعتمد اعتمادًا تامًّا على السياق اللّغوي أو الخارجي الذي تُستخدَم فيه، ولا نستطيع تفسيرها، أو تأويلها، بمعزل عن أحد السياقيْن؛ لأنها ترتبط في ذاك السياق المرجعي بعنصر إشاري مُعجمي أو نصّي يُفسِّرها[4].

تلك الدوالُّ اللّغوية نُسمّيها "عناصر مُحيلة"؛ ذلك أنه لا يُمكننا أن نفهم جُملها التي تحتويها فهمًا تامًّا إلا بالرجوع إلى تلك العناصر المحيلة، ومعرفة ما تُشير إليه[5]؛ وهي بهذا تَخْلُق مع السياق علاقة طرديّة:

الإحالة α السياق

---

(1) الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص131.

(2) احترازًا من التكرار، والتوابع، والأسماء الموصولة، وغيرها من العناصر المُحيلة، التي لا تدرسها الأطروحة؛ وَفْقًا لمنهجيّتها، التي اعتمدتْ على ما رصده هاليدي وحسن وغيرهما، كما هو مبيّن في توطئة هذا الفصل.

(3) ينظر: مقال ميلود: نزار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية.
http://difaf.forumactif.org/t2503-topic

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص15-16.

(5) ينظر: نفسه.

كما نُدرِك أن أيّ جملة غامضة إذا ما أردنا فهمها فلا بدّ لنا من فهم إحالاتها وعناصرها المُحيلة، ولفهم الأخيرة لا مناصَ من وضعها في سياقها اللغوي أو استكشاف سياقها الخارجي؛ لكي نربطها بعناصرَ تداولية أساسية كالباثّ، والمُتقبِّل، وجنس الرسالة، والموضوع، والزمكان[1]. قال الثمانيني (442هـ): "فإذا قال القائل (جاءني رجلٌ فأكرمتُ رجلًا) لم يمكنْ للسامعين أن يقطعوا على أن المُكرَمَ هو الجائي، بل جوَّزوا أن يكون غيرَه، فإن قال: (جاءني رجل فأكرمتُه)، أو (فأكرمتُ الرجل) عُلم بالضمير وبالألف واللّام أنّ المكرَم هو الجائي"[2].

في الصفحات القادمة -بعونه تعالى- يتبيّن للقارئ معالم تداولية الإحالة وعناصرها المُحيلة من خلال التطبيق على رواية الخسوف، وبالإحالة الضميرية، أو بشكل أدقّ "الإحالة القائمة على الضمير"[3] تكون الغُرّة.

المطلب الأول: الإحالة القائمة على الضمير

يُضبَط الضمير في النحو العربي التقليدي التراثي بأنه: "مَا دَلَّ على غَيْبَةٍ كَهُوَ، أو حُضُور"[4]، قال ابن مالك: فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورٍ... كَأَنْتَ، وَهْوَ، سَمِّ بِالضَّمِير[5].

---

(1) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص15-16.

(2) الثمانيني، عمر بن ثابت، الفوائد والقواعد، تح: عبد الوهاب الكحلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص397. بتصرّف في الضبْط.

(3) بمعنى:"الإحالة القائمة على الضمير عُنصرًا مُحيلًا"؛ وبذا نَسلَم من إرباك المتلقّي، فلا يَلتبِس عليْه الأمر، ويَظنّنّ أن هناك أكثر من إحالات أربعة (4) عامة وفرعيّة (داخلية: قبلية، بعديّة، وخارجية). وأرى أن هذه لفْتَة صائبة نبّهنا إليْه الشاوش، عندما عنْوَن أحد عُنوَاناته في العناصر المُحيلة بـ: "الإحالة القائمة على المقارنة". ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 1/126-129. وليته عمّم هذا النّمط التركيبي العُنوَاني! إذ لم يَستخدمه مع بقية العناصر المُحيلةِ الأخرِ، ولم يوضِّح لنا سبب التخصيص في عنصر مُحيل دون غيره.

(4) ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل، تح: محمد محي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، د ت، 1/88.

(5) نفسه.

أما في اللِّسانيَّات الحديثة فيعُرَّف الضمير بأنه: "كلمة جامدة، ليست بذات أصول اشتقاقية، تدلّ على عموم الحاضر أو الغائب"(1)، وفيها يصنَّف إلى: شخص، وموصول، وإشارة، وظروف خاصة (الآن، ثَمّ، هنا، أمس)، وضمائر شرط، وضمائر شرط أو استفهام (أيّ ومَن وما) وَفقًا لسياقاتها(2).

أما ما يعتمده الباحث في هذه الدراسة فهو مفهوم القدامى وتصنيفهم، عِلمًا بأن اعتمادي هذا ليس غريبًا في اللِّسانيات التداولية؛ إذ يأتي انسجامًا مع تقسيم خطّابي والشاوش للضمير، اللّذيْن قسّماه وَفق النحو العربي الكلاسيكي(3).

وعلى اعتبار أن الضمير هو الأصل في توجيه الخطاب إلى المتلقي(4) تَراني قد استهللتُ به، خاصّة بعد أن استقرأتُ بُعدًا تداوليًّا في لجوء الناطق اللغوي إلى استخدام الضمائر. هذا البُعد يتحقّق في أن الضمائر "تُمكِّن المُلقي من إرجاع اللّغة لصالحه، وينصّبُ نفسه على رأس العمليّة الخطابية. بمُجرَّد أن نطق بلفظة "أنا" يكون قد فرض إجابة على غيره، بوَضعه بصفة إجباريّة شخصًا مُقابلًا يمثِّل "أنت"، وتلعب الضمائر بدور تحويل العلامات اللّغوية [الكلمات] من مجال اللّغة (بالمعنى السوسيري له) [= القدرة الذهنية] إلى مجال الخطاب [= الكلام = الأداء بالمعنى السوسيري له]"(5)؛ ومن ثَمّ فإن هذه الرموز الإشارية، أعني الضمائر تؤدّي وظيفة تحقيق التماسك

---

(1) قدور، أحمد، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص164.

(2) ينظر: فليش، هنري، العربية الفصحى، تر: عبد الصبور، شاهين، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص161–175، وينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، د ر، 1994، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص120–121، 123، وينظر: قدور، أحمد، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص164–166.

(3) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص18، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 126/1–127.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص273.

(5) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص69. بتصرّف في الضبط.

الشكلي والدلالي لرسالة الناطق[1]، "ولا نُبالغ إذا قُلنا بأن تشكيل المعنى وإبرازه يعتمد بشكل كبير على موقع الضمائر وكيفية استخدامها داخل النص"[2].

وعن الضمير وأهميّته عنصرًا مُحيلًا، يقول براون ويول: "تعتبر الضمائر [...] أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون [والكُتّاب] للإحالة على كيانات معطاة"[3].

وبناء على تقسيمات هاليدي وحسن وبراون ويول وخطّابي والشاوش للإحالة وعناصرها المحيلة في كُتبهم، التي يعتمدها هذا البحث كما نوّهتُ إلى ذلك في توطئة هذا الفصل؛ بناء على ذلك فسأتعرّض للحديث عن تداولية ضمائر الشخص، وضمائر الملكيّة؛ لكن قبل أن أبدأ ذاك العرض وتحليله التداولي هذه **بعض النقاط** التي أرى الافتتاح بها:

- يتحيّر الشاوش في مُصطلحيَّة الضمير الغائب، ويكون رأيه متذبذبًا، حيث تجده بدْءًا: يتحفّظ على مصطلح الغائب؛ بحُجّة أن الغائب ليس غائبًا عن عملية التخاطب غيابًا مطلَقًا، ويُرشِّح مصطلح:"المحدَّث عنه" بديلًا[4]، ثم تجده ثانيًا: يُسوِّي بين المصطلحيْن (الغائب، والمحدَّث عنه)؛ بحُجّة إمكانية استحضار صلة عملية التخاطب بمصطلح الغائب، ثُمّ ينتصر للمصطلَح المُجمَع عليه الآنَ في كلّ الدراسات العربيّة، أعني أنه انتصر لمصطلَح "الغائب"أخيرًا، ناسفًا ما اختاره قبلُ. يقول: "بل إنّنا نعتبر أن هذه التّسمية

---

(1) ينظر: وهدان، عمرو، دراسات في اللسانيات العربية المعاصرة، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2010، ص202، وينظر: صفا، فيصل، نحو النص في النحو العربي: دراسة في مجموعة من العبارات النحوية الشارحة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، د م، ع23/92، 2005، ص102، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص103.

(2) موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص103.

(3) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص337.

(4) هذا المصطلح استخدمه سيبويه أيضًا كما استخدم مصطلَح "الغائب". يقول سيبويه:"هذا بابٌ لا تَجوز فيه علامةُ المضمَر المخاطَب، ولا علامةُ المضمَر المتكلِّم، ولا علامةُ المضمَر المحدَّث عنه الغائبِ". سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تح : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د ت : 366/2.

[الغائب] تسمية ليستْ في محلّها إن أنت اعتبرتَ معناها الحرْفي الأوّل [...] وذلك أنّ الغائب ليس غائبا من عمليّة التّخاطب غيابًا مُطلقًا [...]، لذلك نعتبر أنّ تسميةً من قبيل المُحدَّث عنه تكون تسميةً أكثرَ مناسَبة، لكنْ متى استحضرنا ما تقوم عليه التّسمية الثانية أي "الغائب" من صلة بعمليّة التخاطب استوى المصطلحان، إذ أنّ[1] عماد المصطلح في العلوم ليس معناه اللّغوي بل المعنى الذي يُحدَّد به ويُخصَّص له، بل إنّ تسمية الغائب أنسبُ من تسمية "المحدّث عنه" لأنّ المتكلّم والمخاطَب متى تجلّيا في صيغة من صيغ الضمائر المناسِبة لهما لا يكونان إلاّ من قبيل المحدَّث عنه"[2].

ويَختار د.استيتية لضمير الغيبة مصطلحيْن هما:"ضمير الملتفَت عنه" و"المعدول عنه"؛ بحجّة أننا نتحدّث عن شيء أو ذات حاضرة؛ فلماذا نُكَنِّي عنهما بضمير الغيبة، والغيبة لا معنى لها هنا ألبتة؟! ويُرشِّح أخيرًا مصطلح "الملتفَت عنه". يقول د. استيتية: "ليستْ تسميةُ النوع الثالث بضمائر الغيبة تسميةً موفّقة [...] فإن ما سمّوْه ضمير غيبة هو في حقيقته عُدول، أو التفات عن الخطاب بقسميْه المتكلِّم والمخاطَب [...] فإذا كان ثلاثة أشخاص مُجتمِعين، وكان التخاطب بين اثنين أشار المتكلِّم إلى الثالث بضمير الالتفات (هو)، من غير أن يكون للغيبة أيّ معنى، لا على سبيل الحقيقة، ولا من باب المجاز [...] ومن هنا، فإني أُفضّل تسميةَ ما سمّوْه ضمير الغيبة بضمير الالتفات"[3].

ويتّفق د. عكاشة مع د. استيتية في عدم دقّة مصطلح"الغيبة" مع الضمائر؛ إلّا أنه يختلف معه في شكل هذا الغياب؛ إذ يذكّرنا د. عكاشة بأن مفهوم الغياب الضميري هو غياب عن الحدث

---

(1) بهمزة قطع عُلويّة في نصّها هكذا.

(2) الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 1088/2-1089. بتصرّف في الضبط.

(3) استيتية، سمير، اللسانيات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدارا، عمان، الأردن، ط2، 2008، ص115. بتصرّف في الضبط.

الكلامي ليس إلّا؛ حيث إن الغائب ليس ركنًا من أركان الحدث اللّغوي فقط. يقول د. عكاشة: "وإذا كنتُ أَتَّفِقُ مع "استيتيَّة" في أَنَّ تسمية الضمائر السابقة بضمائر الغيبة تسمية ليست دقيقةً، إلا أَنَّ ذلك لا يُسَوِّغ القولَ بأنْ لا معنى للغيبة فيها [...] فإنَّ الغيبةَ المعنيَّةَ أو المَفْهومة من ضميرِ الغيبةِ ليست سوى غيبةِ وجود أو حُضورٍ عن الحدث الكلاميِّ، إذ إنَّهُ ليسَ ركنًا منْ أركانِ الحَدَثِ الكلاميِّ"[1].

وفي خِضَمّ هذه الضبابيّة للمصطلحيّة التداولية يرى الباحث: أنه إذا أردنا أن نُجدّد في المصطلحيّة فعلينا أن نقف مَوْقفًا وسطًا بين تسمية القدامى وتسميات المحدَثين؛ إذ إن هذه الذات أو الشيء الحاضر ليس دائمًا يكون حاضرًا أثناء الحديث عنهما، فإذا ما كان حاضرًا أسميْنا الضمير (هو، هي، ...) ضمير المحدَّث عنه، أو المتحدَّث عنه، أو الملتَفتُ عنه، أو المعدول عنه، أما إذا كان غائبًا حقيقةً مادّيّة أطلقنا عليه ضمير الغيْبة، كما أطلق القدامى، مع اعتقادي أن القدامى عندما استعملوا مصطلح ضمير الغيبة بشَكليْه الحاضر ماديًّا والغائب ماديًّا استعملوه من باب التوسّع في اللغة، وهو في اللّغة كثير، أو قل –إن أحببتَ– هو من باب المجاز، على اعتبار أن المتحدَّث عنه (المحدَّث عنه، الملتفَت عنه، المعدول عنه) غيرُ مطلوبٍ منه التكلّم، وغيرُ مُوجّه له الخطاب، فهو من ثَمّ مُغَيَّبٌ من هذه النواحي مَجازًا؛ وعليه، أجدُ في الأمر سعةً.

ونتحوّل الآن إلى المنهجيّة الفنيّة للبحث؛ فأُشير إلى أنّني سأتوسّع في عنوان المطلب "الإحالة القائمة على الضمير" أعلاه؛ فأجعل للمطلب فقرتيْن، أُوسم الفقرة الأولى: "**الإحالة القائمة على ضمير الشخص**"، وأُسمّي الفقرة الثانية: "**الإحالة القائمة على ضمير الملكية**"؛ وذلك سعيًا من

(1) عكاشة، عمر يوسف، تردّد المقول بين الحكاية والإخبار، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، م5، ع1، 2009، ص202.

الباحث في استكشاف تداولية ضمير الشخص وضمير الملكية وإحالتيْهما من خلال مشاهد الخسوف، وتَجلية المقاصد التداولية للكوني وراء هذا التوظيف.

ف1: الإحالة القائمة على ضمير الشخص personal pronouns

تَضُمُّ ضمائر الشخصِ كلًا من: الشخص الأول(المتكلِّم) والشخص الثاني (المخاطَب)، والشخص الثالث (الغائب)[1].

وحيث إن الحوار هنا يتمّ من خلال إحالة المتحاورين على أنفسهم بوساطة الضمائر الشخصية فإن الإحالة تسمّى "الإحالة العاكسة"[2]، كما أن استخدام تلك الضمائر يكون تعبيرًا عن الشخصيّات الروائيّة[3]. عليه؛ فإن اهتمامنا الإحالي التداولي هنا يَظْهَر في تحديد مراجع الألفاظ الإشارية (الضمائر الشخصية) وأثرها في الخطاب، بما في ذلك طرفا الخطاب (المرسِل والمستقبِل)، وبيان دورهما في تكوين الخطاب، ومعناه[4].

تطبيقًا وتوضيحًا أكثر لهذا التمظهر إليكَ هذا المشهد الروائي من رباعيّة الكوني.

"ولكن الأمير أيضا بدأ يشعر بالغيرة من أطلانتس، فاستدرجه لإحدى رحلات الصيد وأوثقه إلى شجرة طلح وتركه في الصحراء فريسة للذئاب المفترسة وعاد إلى تانس وادعى أنه ضاع في الخلاء. ولكن تانس التي أحست بمشاعر زوجها [الأمير] نحو شقيقها الحبيب [أطلانتس] جمعت الأعوان من الأتباع والعبيد وخرجت تبحث عنه في محيطات الرمال المجاورة. أدركته قبل أن تهاجمه الذئاب، ولكن العطش كاد يفتك به"[5].

---

(1) ينظر: فليش، هنري، العربية الفصحى، ص 162-165.

(2) ينظر: السيساوي، يوسف، المقاربة التداولية للإحالة، ضِمن: التداوليات، ص 485.

(3) ينظر: أحمد، حفيظة، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية 1950-2000، منشورات مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1، 2007، ص39.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص22.

(5) الخسوف: 1/52-53.

يحكي الكوني لنا في هذا النص جزءًا من القصة الخيالية المنسوجة حول بئر أطلانتس الذي تقيم حوله القبيلة، وذلك على لسان غوما وباستماع حفيد غوما (آيس)، والقصة تحكي عن غيْرة الأمير (زوج تانس، ولم يذكر الكوني اسمه) من أطلانتس (أخو تانس)، وتوابع هذه الغيرة[1].

في سبيل فهْم نص الكوني مِن علُ لامناصَ من فكّ شفرات عناصره المبهَمة (الضمائر)، حيث يوجد في هذا النص خمسة وعشرون (25) عنصرًا مُحيلًا، نوعها ضمير الشخص الغيبي، وجميعها مبهَمة، لا يمكن أن نفهم معناها إلّا بمعرفة روابطها التي تُحيل عليها؛ ولكي تَتِمَّ تلك المعرفة فلا بدّ لنا من البحث عن تلك الروابط داخل السياق اللغوي أو خارجه.

ومن خلال استكشاف السياق اللغوي نجد أن هذه الضمائر المبهَمة (العناصر المحيلة) تُحيل على مجموعة ذواتٍ، ومفهومٍ واحد، كلّها داخل النص وقبل الضمائر المُحيلة؛ ومن ثَمّ فالإحالة داخلية قبلية Anaphoric Reference.

ويمكن ملاحظة كل ذلك في **الخُطاطة** الآتية:

* أحسّتْ، جمعتْ، خرجتْ، تبحثُ، أدركتْ ← (هي) ← فواعل خمسة، مورفيمات لاحقة، ضمائر مستترة، تحيل على **تانس**.

زوجها ← ها ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على تانِسَ.

شقيقها ← ها ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على تانِسَ.

* بدأ ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على الأمير.

يشعر ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على الأمير.

فاستدرج ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على الأمير.

أوثق ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على الأمير.

---

(1) ينظر: الخسوف: 1/41-51.

ترك ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على الأمير.

عاد ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على الأمير.

ادعى ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على الأمير.

* فاستدرجه ← ه ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على **شقيق** تانس.

أوثقه ← ه ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على شقيق تانس.

تركه ← ه ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على شقيق تانس.

أنه ← ه ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على شقيق تانس.

ضاع ← هو ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على شقيق تانس.

عنه ← ه← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على شقيق تانس.

أدركته ← ه ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على شقيق تانس.

تهاجمه ← ه ← ضمير، مورفيم لاحق، يحيل على شقيق تانس.

به، عنه ← ه ← ضميران، مورفيمان لاحقان، يحيلان على شقيق تانس.

* يفتك ← هو ← في الفعل ضمير مستتر، مورفيم لاحق يحيل على **العطش**.

* تهاجم ← هي ← الفاعل ضمير مستتر، مورفيم لاحق، يحيل على **الذئاب**.

استثمر الكوني تقنية ضمير الشخص تلك، التي نثرها من خلال السياق اللغوي؛ حتى أعفتْه من التكرار المشتِّت لذهن المتلقّي(1).

من هنا يتّضح نجاح الراوي في استخدام آلة ضمير الشخص كما أرى؛ إذ من خلال توظيف الكوني للإحالة الداخلية بعنصرها المُحيل القبليّ (الضمير) استطاع جعْلَ جُملِ رسالته

(1) استفدتُ من خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص220.

اللّغوية فيما يُشبه الجملة الواحدة[1]، بما حقّقّ الاختصار[2]، والاقتصاد اللغوي[3] فيها، كما وحّدتْ مواقف الكوني من الحدث وشخصياته[4]، وأبعدتْ أسلوبه عن إملال السامع فيما أزعم.

كما كان لتقنية الإحالة وعنصرها المحيل (الضمير) دورٌ واضح في توضيح الشخصية المحوريّة التي يدور حولها النص؛ وذلك من خلال عَوْدِ أكبرِ كَمٍّ من الضمائر إليها[5]؛ حيث جعل الراوي الضمائر الغائبة تتّجه مركزيّتها إلى شخصية محوريّة في النص هي أطلانتس شقيق تانس (تسع (9) مرات)، في حين نجد أن الضمائر تفرّعت بشكل أقلّ إلى: تانس والأمير (سبع (7) مرات) بشكل متساوٍ، ثُمّ "العطش"، و"الذئاب" مرة واحدة لكليْهما؛ ما يجعل القارئ يتنقّل في هذا السلّم الإحالي بكلّ سلاسة؛ فيركّز على الشخصية المحورية (أطلانتس) أكثر من غيرها؛ ثم يتابع اهتمامه وتركيزه بشكل متدرّج مع باقي الشخصيات؛ ما ينعكس إيجابًا -كما أرى- على نفسيّتنا، خاصة فيما يتعلّق بقضيّة قبول النص.

ومن خلال هذا التكثيف للعناصر المحيلة داخل السياق اللغوي وترتيبه يُرينا الكوني أثر العلاقة الاجتماعية الوطيدة بين تانِسَ وأخيها، التي تُحرّك تانسُ من أجلها كلّ هؤلاء الأعوان، ويكون كل ذاك البحث، والتي كان فيها تحدٍّ للزوج الحاقد؛ إذ وردت الضمائر الأكثر كمًّا خاصة بأطلانتس.

---

(1) ينظر: خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص 220.

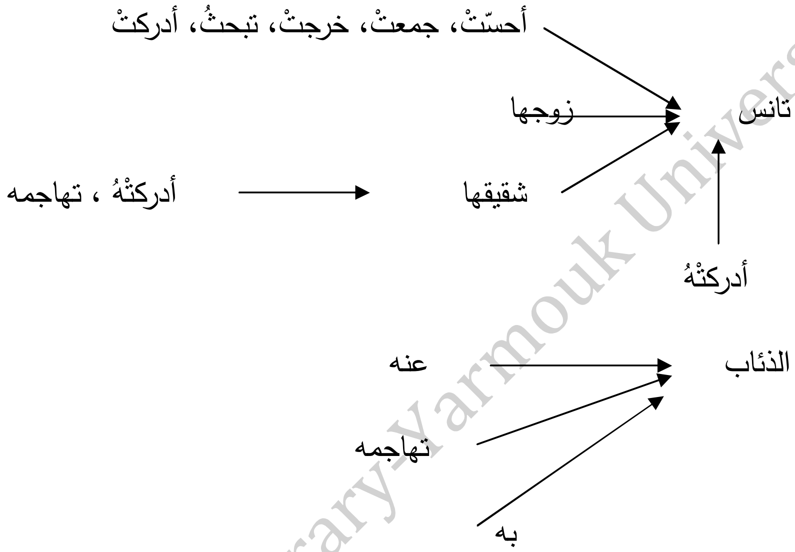
(2) استفدتُ من الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص121.

(3) ينظر: بني ياسين، ياسين، 2006، الإحالة في النص القرآني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص186.

(4) إذ إن الجملة في التداولية اللغوية هي تعبير عن مواقف المُلقي. ينظر: الباهي، حسان، اللغة والمنطق، ص120.

(5) يقول الزنّاد: "فأهمّ عنصر إشاري في النص يرتبط به أكبر عدد من العناصر الإحالية". الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص134-135.

إليك **الخطاطـة** تحدثُ، التـي ترسم لنـا تلـك الـشبكة الإحاليـة القبليـة ومركزيّتهـا (الشخـصية المحوريّة) كالآتي:



العطش ← يفتك (هو)

كما أن الكاتب بتوظيفه للأداة اللّسانية المؤسِّسة (الضمير) في السياق النصي أخذ ينقل لنا أشياء لم تحدث؛ لكنها متوقّعة في ذاك التّيهِ المخيف الذي رسمه للمتلقي، أعني تلك الصحراء؛ وذلك من خلال عبارتيْه: "تهاجمه الذئاب" "العطش كاد يفتك به"؛ فقد أسّس كلا التعبيريْن بالضمير، وكأنه أراد أن يضعنا(نحن القرّاء) في الحدث، وأن نعيش رَوْعه، وقد نجح – فيما أعتقد– لأنه جعلنا نعيشه فعلا، على الأقل نعيشه خيالا، وقد حبذ لذلك استثمار آلة إحالة الضمير الغيبي، التي تناسبتْ مع رائحة الغياب والضياع والبحث في النص؛ حتى كان النص كله غيابًا في غياب.

وعبْر المفهوم التداولي للإحالة يلاحَظ أخيرًا أن الراوي باستخدامه العنصر المُحيل قدّم لنا الشخصيات والأحداث Events عبر منظوره هو، الذي يعرف كلّ شيء عنها، في خطاب مباشر؛

فهو يُخبِر عنها(الأحداث والشخصيات)، ويعطيها تأويلا معيَّنا، يَفرضه على القارئ ، ويدعوه إلى الاعتقاد به[1]، دون أن يبدو تدخّله هذا صارخًا.

وهكذا كانت الإحالة الداخلية القبلية وعنصرها ضمير الشخص الغيبي الوسيلة اللِّسنية الأولى للاستيلاء على خيال القارئ، وبالطريقة التي أرادها الراوي[2]؛ حتى أن الشخصيات وصلتْ إلى أن تكون في النص وسائل لإيصال أفكار الراوي وآرائه[3] بسبب هذا التوظيف الإحالي. هذا شيء من الأفق التداولي الإحالي، الذي أراه في هذا النص الروائي.

ولمعرفة المزيد عن الإحالة بعنصرها الضمير المُحيل، ودورها التداولي في هذه الرواية نقتطِف مشهدًا آخر من رباعية الكوني؛ نستكشف نوع إحالته وعناصره المُحيلة، إليكه:

"-***لقد عهدتُ لك بآيس وبتربية آيس***[4]***.***

---

(1) استفدتُ من أحمد، حفيظة، بنية الخطاب، ص41، 44، وينظر: الحمداني، حميد، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص47.

(2) ينظر: المحادين،عبد الحميد، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص34-35.

(3) ينظر: أحمد، حفيظة، بنية الخطاب، ص72-73.

(4) المُلاحظ هنا -تداوليا- أن المتكلّم أعاد ذكر لفظة آيس، وفي هذا اتجاه للإحالة المعتمِدة على عنصر التكرار، أو ما يُعرف بالإحالة التكرارية، ينظر: Hasan Ruqaua ,Grammatical Cohesion in Spoken and Written English,London,1st ed,P1 ، نقلا عن خليل، إبراهيم، من نحو الجملة إلى نحو النص دراسة وتطبيق، مؤتمر مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر، ص90؛ وينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي: 19/2؛ ونظرًا لأن البحث لا يبحث هذه الإحالة المعتمِدة على عنصر التكرار؛ إذ الكُتب المعتمَدة في منهجيّة هذا البحث لا تبحثُها؛ لأن البحث لا يبحث تلك الإحالة فيمكن الاطّلاع على هذه الإحالة من خلال مصادرها خاصة المرجع الذي أشرتُ إليه قبلًا في هذا الهامش. كما أُشير إلى أن هذا لا يصطدم بما أشرتُ إليه مُسبَقًا من أهميّة الضمير في الاختصار وإذهاب الملل بعدم التكرار؛ لأن الفيْصل دائمًا في توظيف مثل هذه العناصر المُحيلة هو القاعدة البلاغية المشهورة: "لكل مقام مقال". وبالمناسبة فإن النصّ المستهدَف فوقُ يحتوي على عناصر مُحيلة أُخرَ لا تدرسها الأطروحة، هي: العَلميّة، والاستفهام، وزمن الفعل، وآخر لا ندرسه في هذا النصّ، وهو: التعريف، والأخير له مَضنٌ آخر في هذا البحث يأتي لاحقًا. أُشير أيضًا إلى أن النصّ يحمل شاهد الإحالة التي يكون عنصرها الإشاري بعيدًا عنها بكَمٍّ من =السطور، ويكشفه القارئ من خلال الاطلاع

قلتُ لك من زمان أنني(1)- لا أملك سواه في الدنيا

فماذا فعلتِ بالأمانة؟" (2).

قصّة النص تحكي عن حضور الشيخ غوما، على وجه السرعة إلى كوخ الزنجيّةِ العجوز مربّية حفيده (آيس)، بعدما سمع من الشيخ آهر وغيره عن هروب حفيده هذا من المدرسة، وقضائه وقت المدرسة في بيت المرأة المستهترِة (باتا)، وقد أخذ في مَدخل الكوخ –واضعًا يديه عند خاصرتيه– يُعنِّف المُربِّية العجوز؛ لشعوره بإهمالها في تربية حفيده؛ حتى قام الأخير بذاك الفعل المشين(3).

ومن خلال الاطّلاع على التوزيع الإحالي للنصّ الروائي، نجد احتواءه على ضمائر شخصية، تعود إلى ثلاث شخصيات هي: الشيخ غوما، والعجوز، وآيِسُ؛ وقد عرَفنا ذلك من خلال تتبّعنا لما ذُكِرَ قبلَ الدوالّ الحاملة للضمائر، أي: كلمات السياق اللّغويّ؛ إذ نجد قبل هذا الجزء من نصّ الحدث الرّوائيّ بتسعة (9) أسطر ذِكرًا صريحًا للشيخ غوما، وقبله بتسعة وخمسين (59) سطرًا نجد ذِكْرًا صريحًا للزنجيّة العجوز. أما (آيس) فصريح الذِّكْر في هذا النص المستهدَف كما هو واضح؛ ولأن العناصر الإشارية المعجمية (الشيخ غوما، والزنجيّة العجوز، وآيس) ذُكِرتْ في النص كما اتّضح، فإن الإحالة داخلية؛ ولأن جميع تلك العناصر الإشارية المعجمية ذُكرتْ قبل العناصر المحيلة، فإن الإحالة داخلية قبلية.

=على السياق اللغوي للحدث القصصي كلّه من أوله إلى آخره. حول هذا ينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 156/1، 203.

1) هكذا في نصّها.

(2) الخسوف: 18/2. بتصرّف في الضبط.

(3) ينظر: نفسه، 15/2–18.

وللتوضيح أكثر إليك الخطاطة الآتية:

الشيخ غوما

عهدتُ ← ت /المتكلم،عنصر مُحيل، يحيل على غوما المذكور قبلًا

قلتُ ← ت /المتكلم،عنصر مُحيل، يحيل على غوما المذكور قبلًا

أنني ← ي /المتكلم،عنصر مُحيل، يحيل على غوما المذكور قبلًا

لا أملك ← أنا/ضمير مستتر، متكلم، عنصر مُحيل، يحيل على غوما المذكور قبلًا

العجوز

لكِ ← ك /المخاطبة،عنصر مُحيل، يحيل على العجوز المذكورة قبلًا

لكِ ← ك/المخاطبة،عنصر مُحيل، يحيل على العجوز المذكورة قبلًا

فعلتِ ← ت /المخاطبة، عنصر مُحيل، يحيل على العجوز المذكورة قبلًا

سواه ← ه/ الغيبة، عنصر مُحيل، يحيل على آيس المذكور قبلًا .

والملاحظ أيضًا من ناحية تداولية أن المتلقّي هنا يتعرّف على الأحداث والشخصيات الروائية من خلال الشخصية المحوريّة(الشيخ غوما)، كما سنعرف بعد قليل، وليس عن طريق راوٍ ينقل له تلك الأحداث والشخصيات[1]؛ ما يزيد في الاتصال المباشر بين القارئ ورسالة الكوني اللّغوية الروائية.

أيضًا من الأبعاد التداولية المؤسَّسة على السياق النصي، التي ينبغي أن نُجلّيَها في هذا النص، هي أن الكوني عندما ترك شخصيّة الشيخ غوما تتحدثُ بنفسها في هذا النص، جعل العناصر المُحيلة مركَّزة على شخصية الشيخ نفسِها (لاحظ: أربعة (4) عناصر مُحيلة للشيخ، مقابل ثلاثة (3) للعجوز، وعنصر واحد لآيس)[2]؛ ما جعلها الشخصيَّة المحْوريّة المركزيّة في

(1) ينظر: أحمد، حفيظة، بنية الخطاب، ص70.

(2) هذا التدرّج الإحالي هو ما يسمّيه الزنّاد بالسُلّمية الإحالية، حيث تقوم بين العناصر الإشارية في النص سُلّمية، تُضْبَط درجاتُها باعتماد عدد العناصر المُحيلة، التي تعود على كل عنصر منها، ويكون أهم عنصر =إشاري

النصّ، التي تدور حولها الشخصيّتين الأُخرييْن في النص؛ فتُوَجِّهُهُمَا إلى تنفيذ الأفعال المنوطة منهما[1]، كما تُسَخَّر لها العلامات الزمكانية، بدليل قول الراوي –قبل نصّنا هذا مباشرة –:"وقال [الشيخ] لها [العجوز] وهو يقف في مدخل الكوخ: ... "، وقوْل الشيخ في هذا النص: "قلت لك من زمان..."، وهكذا نجد التحام البيئة الزمكانية مع شخصية الشيخ/ المتحدِّث، وجعْلها خَدَمًا له وتابعة لعالمه[2].

ملحظ تداولي آخر يُسجَّل للكوني هنا، وهو: التنوَّع في الضمائر المستخدَمة (بين ضمير الشخص الأول/ المتكلِّم، والشخص الثاني/ المخاطَب، والشخص الثالث/ الغائب)؛ إذ سيقت هذه الرسالة النصيّة الروائية ملأى بالانتقالات الجميلة إلى العنصر المُحيل التكلّمي (ضمير المتكلِّم) والعنصر المُحيل التخاطبي (ضمير المخاطَب)، حين احتاج الحدث إلى بوْحٍ ونفاذٍ إلى أعماق شخصيّة الشيخ غوما وشخصية العجوز[3].

وأما سَوْقُ الكوني للعنصر المُحيل الغيبي (ضمير الغيبة) وإحالته على آيس، فيبدو لي أنه قد جاء لمقصَد تداوليّ هو: إيصال رسالةٍ كان المتحدِّث والقارئ غير ضالعيْن بها[4]، وهي أن الكوني يُخبرنا عن الشيخ غوما بأن ليس له قطعة كبد –بالتعبير الشعبي– سوى آيس...، كما أننا يمكن أن نستشفّ في توْظيف هذا الضمير الغيبي معنى تداوليًّا هو أن الكوني أراد أن يوضّح لنا

في النص هو ما يرتبط به أكبر عدد من العناصر المحيلة، ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص134-135.

(1) ينظر: بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص118.

(2) ينظر: لطيف، زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص91.

(3) استفدتُ من أحمد، حفيظة، بنية الخطاب، ص73.

(4) استفدتُ من إمبرت، إنريكي أندرسون، القصة القصيرة.النظرية والتقنية، تر: علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، برشلونة، إسبانيا، ط3، 2000، ص74.

أن الشيخ والعجوز يَعرِفان آيس، ويعرفان ما يمثِّله لهما من قيمة حياتيّة/ حيويّة اجتماعيّة. يقول سيبويه –عن هذا الاستعمال التداولي–: "وإنَّما يُضمِر إذا عَلم أنَّك قد عرفت مَن يَعني"[1].

كما أن هذا التلاعب بالإحالة الضميرية لدى الكوني داخل السياق النصي، هذا التلاعب فيه إشارة تداولية إلى تغيِّر مزاج شخصيّته (الشيخ غوما) ومواقفها[2]، فتارة نجده يريد منها الاصطدام اللّغوي المباشِر؛ فيُوظِّفها في ميدان الشخص الأول والثاني؛ فيجعلها تتكلّم وتتخاطب مع العجوز وجهًا لوجه، وتارة يَحُدّ من هذه المواجهة؛ فيَقصُرها في ميدان الشخص الغائب، ويجعلها تتكلّم عن نفسها التي تتخفّى، أو بالأحرى يُخفيها في الفعل (أملك)، أو يجعلها تتكلّم عن شخص غيبي هو آيس ...، كما أنه من خلال هذا التغيير في الضمائر يستطيع القارئ/ السامع تمييز كل شخصية على حدة، بل حتى تعيين أوضاعها بين الشخصيات الأخرى في الرواية ، وتمييز مستويات الوعي واللّاوعي المختلفة بين شخصية وأخرى[3].

ولاشكّ أن قصْر الكوني للعنصر المُحيل التكلّمي على الشخصية المحورية (الشيخ غوما) نقل صريح لآلامه ومعاناته، بتشنّجاتها وقلقها وتوَتّرها من الأعماق للمتلقّي[4].

لكن الملحظ التداولي الأهم –في نظري– في كل هذا التنوّع، أنه قد سيق عفوًا، من غير إشعارنا بأيّ إرباك كان من الممكن أن ينجُم عنه اضطرابٌ أو قلق في مثل هذه الاستعمالات والتنوّعات[5].

---

(1) سيبويه، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر، عثمان بن قَنبر، الكتاب كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1996: 81/2.

(2)استفدتُ من العموش، خلود، الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2005، ص32.

(3) ينظر: بوتور، ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ص105.

(4) ينظر: أحمد، حفيظة، بنية الخطاب، ص73.

(5) ينظر: نفسه، ص80.

وأخيرًا نستشفّ أن أثر كل مُحيل من تلك العناصر اختلف حسب سياق الاستخدام اللغوي للضمير نفسه، مع ملحَظ أن النصّ في مُجملِه بني على ضمائر الشخص المُحيلة، وإن كان الأصل للمظهر والفرع للمضمر [1]. يقول الأنباري (577هـ) رحمه الله: "الأصل هو المظهر، وإنما المضمر فرعه"[2]، كما يمكننا أن نستنتج أن هذه العملية الإحالية بواسطة الضمائر الشخصية قد تميّزت بتحقّقها بشكل مباشر وفعّال بمجرّد ابتداء الحوار الإحالي[3].

وتواصلًا مع معالم التداولية اللغوية في رباعية الكوني، وتحديدًا مع الإحالة وعنصرها المُحيل (ضمير الشخص)، هذا نصّ آخر:

"بل إن إيمان البعض بأن أمّ النخيل ما هي إلاّ وليّ، جعلهم يَرُشّون الجذع من الوسط بالجير فيبدو الساق المصروع[4] للمشاهد مُطوَّقًا بحزام أبيض يضفي عليه مَهابة الأضرحة المقامة على قبور الأولياء"[5].

يتدخّل الكوني مباشرة في هذا النص من الرباعة؛ فيحدّثنا عن نخلة الشيخ غوما (أم النخيل)، التي اتّخذها فلاحو القرية مكانًا للتبرّك؛ بل وضمّها لقافلة الأولياء؛ حتى أن بعضهم أخذ يرشّها بالجير؛ دلالة على الهيْبة حسب اعتقادهم. هذه هي قصة الحدث باختصار.

أما في المعنى الإحالي التداولي فنلحظ في النصّ وجودَ عنصر مُحيل، نوعه ضمير، يُمثّل الشخص الثالث هو: "هي" (أم النخيل)؛ وإذ إنه ذُكِر صراحة داخل السياق اللّغوي، ويُحيل على عنصر إشاري بعده (وليّ)؛ فالإحالة داخليّة بعديّة (Cataphoric reference).

---

(1) ينظر: أبو زنيد، عثمان، نحو النص، ص113.

(2) الأنباري، كمال الدين أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط4، 1961: 2 /448-449.

(3) ينظر: السيساوي، يوسف، المقاربة التداولية للإحالة، ضِمن: التداوليات، ص485.

(4) في الكلمة استعارة تصريحية. شبّه الجذع بالإنسان، وأتى بشيء من لوازمه وهو المرض، أي: مرض الصرع هنا.

(5) الخسوف: 16/3. بتصرّف في الضبط.

لاحظِ الخطاطة الآتية:

(هي) إحالة داخلية بعديّة (ولي)

ومن هنا فقد جعلَنا الكوني مع هذه الإحالة نلفت أذهاننا إلى بداية الخيْط الكلامي الذي هو العنصر المُحيل (هي) لنجد نهايته في العنصر الإشاري (وليّ) المفسِّر، المزيل لإبهام العنصر المُحيل؛ فنَعْقِدَ في ذاكرتنا بيْن العنصريْن خطًّا متصلًا للإحالة الداخلية البعدية؛ ما جعلنا نتنبّه أكثر، ونركّز أكثر، ونهتمّ أكثر بموضوع أمّ النخيل هذه، وقصّة اعتقادات هؤلاء الفلاحين، ونُوقّع تساؤلات حيرانَ: من هي أمّ النخيل؟ ومن هؤلاء البعض؟ ولمَ هذا الرشّ؟ ولم الجير؟ ولم كان من الوسط؟ لِمهْ؟ تساؤلات تترى؛ لكنّك –حتمًا– تجد فكّ شفراتها بإلمامك بتلابيب النصّ، وسياقه اللغوي، وإحالاته، خاصّة إحالته البعدية، التي سوّقها لنا الكوني بضمير الشخص الغائب؛ ليعطيَ الفرصة لقارئه –فيما يبدو لي– لاكتشاف ماهية هذا الغائب، عن طريق تتّبع المفردات والجمل قَبْلًا وبَعْدًا، أعني: تتبّع السياق اللّغوي. ولا يفوتنا أن نعي ما في هذا العناء (تتبّع السياق اللّغوي) الذي أَوكَله الكوني لقارئه من جمال تداولي؛ إذ في ذلك تشغيل للقارئ، وبحث، واكتشاف، واشتياق لمعرفة المجهول.

ولا تنس البُعد التداولي لأسلوب القصر في تصدير الإحالة المتشكّل بوساطة النفي والاستثناء المفرّغ (ما هي إلا)، الذي يحصُر القارئ، ويجعله لا يفكّر في ماهيّة أم النخيل عدا أنها وليّ، اقتَصَرت في ذلك، وحُصِرت عليه، واختُصَّت به. لا يُعتقد غير ذلك.

وهكذا فإن توظيف الكوني للإحالة بعنصرها المُحيل (ضمير الشخص) في استعماله الروائي النصّي ذاك أدّى إلى تحسين خطابه الروائي سياقيًّا[1]، ونفى التكرار المملّ عنه، كما جنّبه التشتّت[2]؛ وبذا أضفي الكوني على معانيه شيئًا من القوّة داخل نصّه[3]، خاصّة إذا ما عَيينا بيْن أعيننا مُسلَّمة تداولية تقول: إن عناصر ضمائر الشخص المُحيلة ما هي إلا جزء من السياق التشخيصي، على اعتبار أنه تمّ تحديد هذه الضمائر بوساطة العلاقات المتبادَلة بين الشخصيّات[4].

كما أنه من خلال توظيف هذه الأداة اللسانيّة (هي) وإحالتها حَمل الكوني معه مَقصدًا عقديًّا، ولو من غير وعي، وهو أمر يصدر من أُناس، لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم. إذ ينبّهنا الكوني إلى حدث يَحدُث في بيئته اللّيبية خاصّة، والبيئة العالميّة عامّة، وهو موضوع الاعتقادات الباطلة، والتبرّك بالموتى والأولياء الصالحين، وحتى أماكنِهم، والتقديس المادي المُعبَّر عنه بالجير، ولفّ قطع القماش (حزام) على الجذع، واختيار اللون الأبيض، الدّال على الصفاء والنقاء والبراءة حسَب مُعتقدات هؤلاء؛ ظنًّا منهم أنها تُقرّبنا إلى الله زُلفى؛ لأنها أقرب إلى الله منّا، من غير دليل شرعيّ، والاعتماد على شُبهات من هنا وهناك، ما أنزل الله من سلطان، وربُّنا يقول: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"[5]. أي: من دون واسطة.هدانا الله وهداهم!

---

(1) ينظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، كتاب دلائل الإعجاز، تعليق : محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدة، السعودية، ط3، 1992، ص78، 84-87.

(2) ينظر: خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص 228، وينظر: أبو زنيد، عثمان، نحو النص، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط 1، 2010، ص119.

(3) ينظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، كتاب دلائل الإعجاز، تعليق: محمود شاكر، ص80-88، وينظر: خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص228.

(4) ينظر: العموش، خلود، الخطاب القرآني، ص32.

(5) البقرة: 85.

وعليه، يمكن القول: إن العناصر المُحيلة (ضمير الشخص) بنص الكوني أعلاه قد تحكّمت في بناء النصّ[1].

بعد تلك الجولة في تداولية ضمير الشخص هذه دراسة نظرية وتطبيقية للنّوْع الثاني من العنصر المحيل للإحالة القائمة على الضمير، وهو"**ضمير الملكيّة**"، نرى أفقه التداولي في رباعيّة الكوني.

ف2: الإحالة القائمة على ضمير الملكيّة

من المعلوم للقاصي والداني في العربية أن ضمائر الملكية ضمائر بارزة، تتّصل بالأسماء، تحمل دلالة الملكيّة، تضمّ كلًّا من: ياء المتكلّم، مثل: كتابي، ونا الدالة على الفاعلين: كتابنا، وكاف الخطاب، نحو: كتابك ، وهاء الغيبة كـ: كتابه...[2]، وأنّها في حقيقتها تُصنّف ضِمن ضمائر الشخص[3]؛ بدليل دلالة الشخصنة التي تحتويها؛ فإذا قلت: "كتابي" مثلا: فياء المتكلم تدلّ على الشخص الأول، وإذا قلت: "كتابه" دلّت الهاء على الشخص الثالث، وهكذا دواليْك...

كما أن المفهوم التداولي لضمائر الملكية يثبت هذه التبعيّة؛ إذ لا تملك ضمائر الملكية تلك الخصوصيّة التداولية الواسعة التي تميِّزها عن ضمائر الشخص الصريحة (المنفصلة: أنا، أنت، هو، ...)، بل إن كل مايقال ويطُبَّق على الوظيفة الإحالية لضمائر الشخص يُقال ويطبَّق على ضمائر الملكية إلّا ما تتماز به هذه الأخيرة من حيث كونُها إحالةٌ مُزدوجة، أيّ أنّها تتطلّب مُحاليْن

---

(1) ينظر: أبو زنيد، عثمان، نحو النص، ص113.

(2) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص146.

(3) ينظر: حسان، تمام، الهيئة المصرية للكتاب، ص110، وينظر: مطهري، صفية الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2003، ص207.

اثنيْن، هما: مالك ومملوك[1]، وهذا ما سيتّضح أكثر من خلال التطبيق على رباعية الكوني في النصّ الآتي بعون الله! الذي من خلاله أيضًا سنتعرّض لتداولية هذه الضمائر.

"[...] جاء عقب المغيب يحمل رغيفًا نحيلًا طويلًا من الخبز الأبيض ملفوفًا في قطعة من القماش. شطره نصفيْن وقدّم له النصف. مازال ساخنًا. رائحة الرغيف الساخن فاحت في كل الغابة. سأله الدّوس وهو يَنهش من نصيبه:

-من أين لك بالفلوس؟ هل استوليتَ على الخبز من مطبخ القسم الداخلي؟ ضحك كركوبة دون أن يتوقف عن المضغ. قال بصعوبة:

-وهل ستتخلى عن نصيبك إذا أخبرتك أنها مسروقة؟

- لو أخبرتني منذ البداية فسأتخلى، أما الآن فيفتح الله! -الجوع كافر!- أكفر مخلوق! لم أر أكفر منه!"[2].

في النصّ توًّا يُجري الكوني حوارًا بين شخصيّتيْن من شخصياته الروائيّة هما:"عياش الدوس" و"كركوبة"، وقد وظّف في حواره هذا ضمائر تدلّ على الملكيّة، هي:

- "نصيبه"، أي: النصيب الذي يملكه الدوس أو كركوبة[3]؛ ولأن الهاء في "نصيبه" ضمير ملكيّة، فهي عنصر مُحيل يُؤسِّس إحالة مُزدوجة، ذات بنية إحاليّة واحدة، تتطلّب مُحاليْن اثنيْن[4]، هما: مالك ومملوك، بمعنى أنها تُحيل على مالك وهو أحد الشخصيْن، ومملوك

---

(1) ينظر: Halliday, M. A. K. And R. Hasan Cohesion In English p43-45، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص18، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص146.

(2) الخسوف: 195/4. بتصرّف في الضبط.

(3) ذلك أن في عوْد الضمير لَبسًا؛ إذ يُحتمل عودُه على الدوس أو كركوبة؛ ومع أن سياق النص يرجّح أن الضمير يُحيل على الدوس؛ لأن لكلٍّ منهما نصيبه؛ إلّا أن ذلك في رأيي لا يمنع الاحتمال الثاني وهو عوْد الضمير على كركوبة، بأن سؤال الدوس لكركوبة تَمّ عند نهشِ الدوس من نصيب كركوبة أوعندما يتناول كركوبة نصيبه.

(4) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص146.

وهو النصيب؛ ولأن عوْد العنصر المُحيل على ما هو في داخل النص سَلفًا، لا نحتاج معه "إلى مُغادرة المنظومة اللغوية للبحث عما تُشير إليه"(1)؛ فالإحالة داخلية سابقة.

- "نصيبك"، أي: النصيب الذي تملكه أنت يا عياش الدوس؛ ولأن الهاء في "نصيبك" ضمير ملكيّة؛ فهي عنصر مُحيل، إحالتُه مُزدوجة، تتطلّب مُحاليْن اثنيْن هما: مالك ومملوك، بمعنى أنها تُحيل على مالك وهو عياش، ومملوك وهو النصيب؛ ولأن الهاء في "نصيبك" عنصر مُحيل يعود على عياش المذكور سابقًا في النصّ؛ فالإحالة لغويّة قبليّة.

أما عن تداوليّة هذه الضمائر عند الكوني؛ فتكمن في أنه بتوظيفه لها يُحدِّد علاقة المالك بالمملوك(2)، ومن ثَمّ فهو يصنع "علاقة تجاوريّة تأتي لتحديد امتداد الأول بالثاني"(3)، وينعقد تحديد المجال الإحالي للمرجع الثاني (المملوك/ النصيب) بتحديد المجال الإحالي للمرجع الأوّل (المالك)؛ لأن مفهوم النصيب واسع، غير محدَّد، شامل(4)؛ ومن ثَمّ يمكننا القول: إن ضمير الملكية –ومثله ضمير الشخصيّة إن فصلْنا– لا يخرج عن حال المتخابرين؛ لأن كلّ واحد منهم يفرض عليها دلالة مرجعية اجتماعية كما رأينا مع الكوني عندما أسند الكاف والهاء لعياش الدوس وكركوبة، بمعنى حالُ المالك والمعطي، والأخذ والتساؤل حول الأخذ والتردّد والرفض؛ ونتيجة لذلك يكون الكوني قد فرض على نفسه وعلى شخصياته مرتبة تداولية في الخطاب، بمعنى تحديد ضمير معيّن في الاستخدام أو تبادل تلك الضمائر وَفقًا للحال(5).

---

(1) نفسه، ص148.

(2) ينظر: نفسه، ص146.

(3) نفسه، ص146.

(4) ينظر: نفسه، ص147.

(5) ينظر، بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص72.

كما أن من تداولية استخدام هذه الضمائر تعريف تيْنك الكلمتيْن النكرتيْن؛ حتى صارتا مخصوصتيْن ومقصورتيْن على شخص معيَّن؛ وعليه فيمكن أن نقول بكل ارتياحيّة واطمئنان: إن استعمال الراوي لضمائر الملكيّة حدَّد علاقة الأشياء بالأشخاص(1).

وأخيرًا لا بدّ من أن نعي بأن استعمال هذه الضمائر الخاصّة لا يعني إلغاء أهميّة العناصر المُحيلة الأخرى؛ فالجميع يتداخل، ويتقاطع، وينشطر، ويتحوّل، وينصهر(2)، مُبدِعًا جهازًا خدميًّا، يُقدّم لنا مقاصدَ الكوني وراء جلبِ النص، وتقديمِ نماذجَ فيها شيء من من حياة اللّيبيّين في صحرائهم، بواحاتها، ونجوعها، وقبائلها، وبدوِها،...

ولابدّ من أن نعي أيضًا أن توظيف الكوني للضمائر بشكل عام مكّنته من إرجاع اللّغة لصالحه، وجعْله يُنصِّب نفسه على رأس العمليّة الخطابية(3).

بعد الاطّلاع على الأُفق التداولي للإحالة بعنصرها المُحيل الضمير بنوْعيْه: الشخص والملكيّة، أتطرّق الآن إلى العنصر المحيل الثاني عند هاليدي ورقية حسن وبراون ويول وخطّابي والشاوش، وهو الإحالة الإشارية، أو بشكل دقيق:" الإحالة القائمة على الإشارة"(4)، أُوضح ماهيتّها، وعناصرها المُحيلة، ودورها التداولي، داخل السياق اللغوي أو الخارجي بالرباعية الروائية.

المطلب الثاني: الإحالة القائمة على الإشارة Demonstrative reference:

(1) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص146.

(2) ينظر: نفسه، ص149.

(3) ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص69.

(4) وضّحتُ في مُستهلّ مبحث العناصر المحيلة رؤية الباحث حول هذه الدقّة.

يمكن أن نعرّف "الإحالة القائمة على الإشارة" بأنها: شكل إحالي، ذو إشارة لفظية Verbal pointing، ومعنوية، يشتمل على عناصر مُحيلة، إشاريّة، وزمكانيّة، وتعريفيّة، مرتبطة بعناصر إشارية تفسّرها في سياقها الداخلي أو الخارجي[1].

بمعنى أنها دوالٌ جهوية (مِن الجهة) تدلّ على مسافة قريبة (هذا، هذه، هذي، هاته،...) مِن مركز الإشارة المكانيّة (المُلقي) أو على مؤقع وسطٍ منه (ذاك، تاك، هذاك، هذيك، هتيك، ذانك، تانك،...)، أو على بُعدٍ منه (ذلك، تلك، هنالك، هؤلاء، أولئك، أولالك، أولاك،...)؛ وذلك وقت التلفّظ[2]، ودوالٌ زمانيّة هي: الآن، غدًا، ساعة، بين، أمسِ، ...، يكون زمن التلفّظ معها هو مركز الإشارة، ودوالٌ مكانية (هنا، هناك، ثَمّ[3]، بيْن، ...، ودوالٌ الاتّجاهات: وراء، خلف، قُدّام،...)[4]، يعتمد استعمالها على معرفة مكان التلفّظ[5].

ولنا أن نرسمها في الخطاطة الآتية:

---

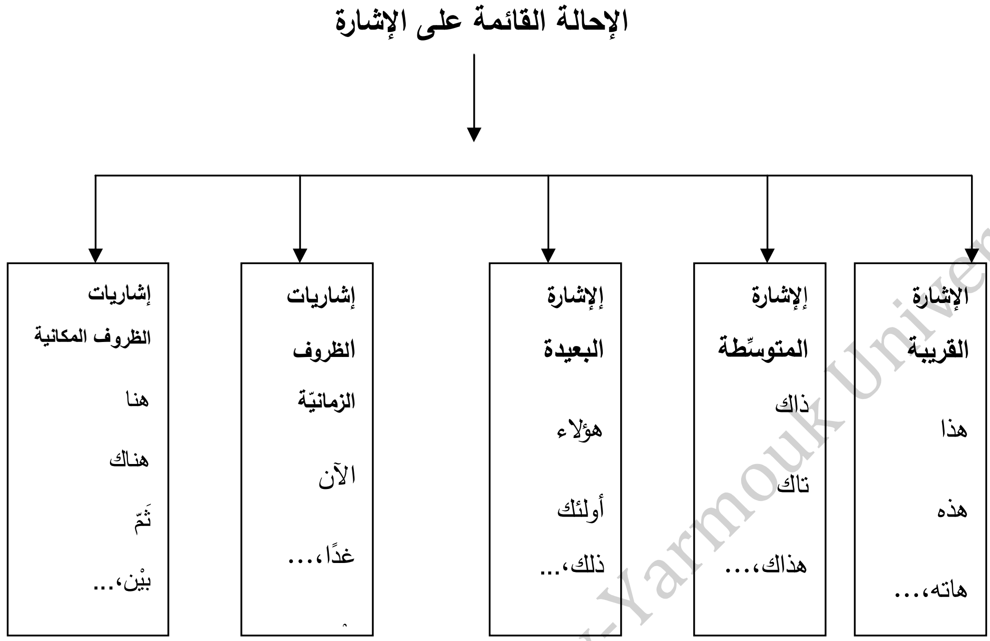
(1) ينظر: Cohesion In English p57:59 Halliday, M. A. K .And R. Hasan، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص 19، وينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118، وينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:116/1، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 128/1، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19−21، وyule pragmatics p9، نقلا عن الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص81.

(2) ينظر: نحلة ، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص22. بتصرّف في المعنى؛ لأنه لم يَذكر الإشارة إلى متوسّط.

(3) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118، ومعلوم أن الظرف (ثَمَّ) يساوي الظرف (هناك) معنًى ووظيفة، ينظر: الساقي، فاضل، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ر، 1977، ص319.

(4) في كلّ أسماء الإشارة والظروف، ينظر: الثمانيني، عمر بن ثابت، الفوائد والقواعد، ص289−295، 429−433، وينظر: مطهري، صفية الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص209−211.

(5) ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 1029/2، 1216−1217، وينظر: الحسن، شاهر: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة، عمّان، الأردن، ط1، 2001، ص168.



وأُشير بادئ بدْء إلى أن العناصر المُحيلة للإحالة الإشارية كالعناصر المُحيلة في الإحالة الضميرية سواء بسواء من حيث اعتمادُها على الجانب السياقي من معنى الوَحدة الكلامية/ النص/ الخطاب ككلّ؛ لأنها تُمثِّل العلاقة القائمة بين المتخاطبين وبين ما يتحدّثون عنه في مناسبات مُعيَّنة[1].

كما أن العناصر المُحيلة جميعَها لا تُفْهَمُ إلا إذا ربطها المتلقّي بما تشير إليه[2]، ومن ثَمّ فإنه إذا ما أردنا فَهْم مدلول هذه العناصر فيجب علينا على الأقلّ أن نعرف هويّة المشار إليه، وهويّة المُلقي (اسمه مثلا)، والمتلقّي، والإطار الزمكاني للحدث اللغوي[3].

(1) ينظر: لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس الوهاب، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص 243-244.
(2) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118.
(3) ينظر: براون، جوليان، ومن معه ، تحليل الخطاب، ص49، 88-89.

وعليه، يكون التعبير إشاريًّا في سياق ما إذا كان مرجعُه مُحدَّدًا مع الهويّة، أو مع وضع المُتخاطبين لحظةَ التكلم(1).

إليك شواهد تمثِّل الإحالة الإشارية بعناصرها المُحيلة في نصّها بالخسوف، نقرأ جانبها الإحالي، ونستكشف قيمتها التداولية، ومقاصد الكوني في توظيفه لها.

ف1: الإحالة القائمة على اسم الإشارة القريب

"ولكن الشيخ غوما قال فجأة قافزًا إلى موضوع آخر:

-أريد شايًا حقيقيًا. منذ دخلنا غات وهؤلاء الشباب الطائشون يسقوننا الماء الملوّن مدعين أن هذا شايًا(2).

-إنهم قليلو الخبرة يا شيخ غوما.

-إنه غسيل جلود مدبوغة، إنه غسيل جذوع شجرة الطلح ولا يشبه الشاي إلا بالاسم. لا تنقصهم الخبرة ولكنهم طائشون. صدقني صناعة الشاي الأخضر مثل طقوس العشق تحتاج إلى الصبر والإتقان. تحتاج إلى أن تضع فيها قطعة من قلبك تصب فيها جزءًا من روحك. وإذا كان هؤلاء الصبية يعشقون زوجاتهم كما يحضرون الشاي فإن تطليقهن منهم حلال. لن ألومهن إذا طالبن بالطلاق. إن إعداد الشاي شيء يشبه صيد الغزلان. لن يكون لحم الغزال شهيًا حقًا إلّا إذا كان الصياد يعشق الغزلان!

قال آهر مبتسما:

---

(1) وينظر: أوزالد، ديكرو، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص333.

(2) هكذا في نصّها، والصواب: "مدعين أن هذا شاي"؛ لأن لفظة "شاي" خبر"أن" كما هو معلوم في سياقها اللّغوي.

هذه فتوى قاسية يا شيخنا"[(1)].

يروي الكوني في هذا النص حوارًا يدور بين شخصيّتيْن من شخصيّاته هما: الشيخ غوما والشيخ آهر، ومن خلال فهم حدث النصّ نفهم أن الشيخ غوما منزعِجٌ من الشاي ذي المذاق السيِّئ، الذي يشربه من الشباب فور ملاقاتهم؛ ولشدّة إلحاح الشيخ، وتقديره للشاي الجيِّد، وانزعاجه من السيِّئ، حلَّل تطليق زوجات هؤلاء منهم؛ لأن شايهم بهذا السوء!

ومن خلال فَهْم مُجرياتِ حدث النصّ أيضًا، وأُفقِه التداولي، إخالُ أولًا: أن المتقبِّل فوْر قراءته للنص سيحاول فكّ شفرة المعنى فيه؛ فيسأل نفسه، أو غيره عن أيّ فتوى يتحدَّث آهر؟ ما هويَّة هذا الشيء (الفتوى)؟ ما زمانها ؟ وما مكانها؟ ومن هو متلقِّيها؟

وإخال ثانيًا: أن المستقبِل للنصّ سيَفهم معنى النصّ، ويعيش حدثه، ويستطيع تأويله، وفهمه، إذا تَمكّن من إزالة الإبهام[(2)] عن العنصر المُحيل (هذه)؛ ولكي يَفهم الأخيرُ لا بدّ له من البحث داخل السياق اللّغوي، أو خارجه عن عنصر إشاريّ يفسِّر هذا العنصر المُحيل؛ ذلك أن ما يُفهم من المعنى الدلالي لـ (هذه) –وهو أن هناك شيًّا قريبًا يُحيل عليه– سنستأنس به في فهم

(1) الخسوف: 107/1.

(2) مفهوم المبهَمات في الأساس هو كوْنها: لا حدود محصورة لها، ولا نهايات مضبوطة من جوانبها، وتختلف باختلاف الكائن في المكان والزمان، بمعنى أنها غير مختصّة، ولا محدودة. ينظر: الخضري، محمد الدمياطي، حاشية الخضري على شرح الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل لألفية الإمام ابن مالك، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، د. ط، 1940: 198/1، وينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط3، 2008: 164/2، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص102؛ وعليه يمكن أن نعرّف الاسم المبهَم بأنه: "اسم لا نفهم معناه إلا بمعرفة مفسِّره"، يقول الشاوش:"فالمبهم يوضّح ويبيّن ويرفع عنه الإبهام بما يفسّره". الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب، 1049/2؛ ومن ثَمّ فالعنصر المحيل الـ التعريف لا يدخل ضمنها. يقول الشاوش: "فكيف يستقيم الجمع بين التّعريف والإبهام". ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 1046/2.

المعنى؛ لكنه لا يكفي لفهم معنى النص ككلّ[1]؛ لذا علينا أن نربط بين خيوط الإحالة الإشارية؛ فنتتبّع الدوالَّ القبلية والبعدية في سياقها أو مقامها؛ لنعرف إلامَ يشير العنصر المُحيل (هذه)؟

من خلال تتّبع السياق التداولي[2] للنص (السياق اللّغوي والمعنى الإحالي خاصّة) نفهم من النصّ المستهدَف أن العنصر المُحيل (هذه) يشير إلى القول الحكائي: "وإذا كان هؤلاء الصبية يعشقون زوجاتهم كما يحضّرون الشاي فإن تطليقهن منهم حلال"؛ ولأنها إحالة عنصر مُحيل على عناصر إشارية نصيّة (مقطع من النص) سابقة، داخل النص؛ فإن الإحالة داخلية قبليّة[3].

أما في إطار الفائدة التداولية فنرى استفادة الكوني من استخدام هذا النوع من الإحالة وعنصرها المُحيل؛ إذ وظّفه في التواصل الحواريّ بيْن شخصيّتيْه (أهر، والشيخ غوما)؛ إذ كان التعاون، والتفاعل[4] (Interaction)؛ إذ كانت(هذه) الدالة اللّسانية الرئيسة التي وظّفها الكوني، وأعطاها لـ "آهر"؛ ليتواصل مع الشيخ غوما، ويتعاون معه، ويتفاعل، كما تجلّتْ هذه التداولية عند الكوني في ترابط دوالِّ رسالته اللّغويّة، بدوران ملفوظها على نفسه، واختصارها، بدلًا من تكرار

(1) ينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص168.

(2) ينظر: مقبول، إدريس، الأفق التداولي، ص92–93، ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص42–45، وينظر: بلوحي، محمد، اللسانيات التداولية: نظرية أفعال الكلام الأسس والمفاهيم (أوستين وفان دايك)، كتابات معاصرة، د ب ع، 2005، ص116، حيث يُعرَّف السياق التداولي بالمرجع الأخير في الصفحة السالفة بأنه: "ذلك الإطار الذي يحصل في صُلب التفاعل، وفيه كذلك تُنتج الأقوال وتُنجز المقاصد بواسطة أفعال الكلام". مع تصرّف في الضبْط، ويعقد الحباشة مقارنة بين السياق التداولي والبلاغي، ينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، دار صفحات، دمشق، سورية، ط1، 2011، ص149.

(3) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص128، ويَعتبر الزناد هذا النّمط من الإحالة إحالة مُستقلّة يُسمّيها "إحالة نصيّة"، وقد خالفه كثيرون في تلك الاستقلالية، واعتبروها نمطًا من الإحالة الداخلية، وقد حذا الباحث حذوَهم فخالف الزناد، وسجّل حُجَجًا في ذلك، يمكن العوْدة إليها في هذا الفصل عند الحديث عن نوعي الإحالة.

(4) التفاعل هو:"استخدام اللّغة من أجل تعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها". أبو خرمة، عمر، نحو النص، ص90.

المُحال عليه (النصّ القوليّ الحكائيّ)؛ حتى تجلّتْ عندنا – نحن المتلقّين– بصِفْرِيَّة الملل، وانعدامه في الحوار[1].

وفي إطار الرؤية التداولية للنص والفائدة التداولية للنصّ أيضًا، نجد أن العنصر المُحيل (هذه) داخل سياقه اللّغوي أسهم في إيصال اعتراض آهر على فتوى الشيخ غوما؛ إذ كانت (هذه) الدالة اللّسانية الرئيسة التي وظّفها الكوني لإيصال ذاك الاعتراض المؤدَّب، بقوْل آهر: "هذه فتوى قاسية يا شيخنا".

وواضحٌ أن العنصر المُحيل (الإشارة) ساعدنا على إدراك الصلة بين المشار إليه في النص (إذا كان هؤلاء الصبية يعشقون زوجاتهم كما يُحضّرون الشاي فإن تطليقهن منهم حلال) وما كان قد سلف الحديث عنه والتنبيه إليه في جمل سوابق من ذم ّشاي هؤلاء الشباب، وحاجتهم للخبرة فيه، وتشبيه شايهم بغسيل الجلود المدبوغة، ورغبة الشيخ غوما في الحصول على شاي حقيقيّ شهيّ[2].

إشارة تداولية أخرى تُسجَّل في استعمال العنصر المحيل (هذه)؛ إذ فيها إشارة إلى هويّة "الفتوى"، حيث العلاقة التلازميّة بالمسمّى، كما أن في هذا الاستعمال توجيهًا للفكر إلى فتوى مُعيَّنة، يَحضُر مع ذِكرها جميعُ صفاتها المُرتبطة بها في ذهن الكوني والمتلقّي، خاصّة إذا كان المفهوم (مفهوم الفتوى) معروفًا بيْن عامّة الناس، متى أُطلِق دعا معه في ذهن القرّاء/ السامعين تلك المجموعة من الصفات، مثل: صدورها من جهة دينيّة، ومن جهة مُعتمَدة من الناس على الأقلّ، إن لم تكن من الدولة[3].

وهكذا من خلال تفسير المقطع النصيّ للعنصر المُحيل أُزيل إبهام الإشارة (هذه)، ومن خلال هذا المعنى الإحالي –بواسطة السياق اللغوي– أُزيل إبهام النصّ ككلّ.

(1) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص129–130.
(2) ينظر: خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص 194.
(3) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص141.

ف2: الإحالة الإشارية القائمة على اسم الإشارة المتوسط

هذا النّمط من العناصر المُحيلة الإشاريّة غير متوفّر في نصوص رباعيّة الكوني؛ ولم أعرف عدم استعمال الكوني لها مع أن اللّهجة اللّيبيّة معروفة باستخدام اسمي الإشارة "هذاك"، و"هذيك" على الأقلّ؛ لذا فلا نستطيع أن نبثّ فيها؛ لأن ما يخصّها نحويًّا ودلاليًّا سبقت الإشارة إليه في مُستهلّ هذا المطلب عند الحديث عن الإحالة القائمة على الإشارة.

أما خصوصيّتها التداولية فلا تظهر إلّا من خلال سياق نصّ معيَّن، يُحدِّد معالمها التداوليّة فيما أرى.

واستمرارًا مع الإحالة الإشارية، هذا عنصر مُحيلٌ آخر في الأسطر اللّاحقة، نرى بُعده التداولي في شاهد تطبيقيّ على الرباعية الروائية، ونستكشف مقاصد الكوني من خلال توظيفه له.

ف3: الإحالة الإشارية القائمة على اسم الإشارة البعيد

"استلقى [أخواد] على ظهره ونظر نحو قرص الشمس الملتهب وهو يلهب الأرض بحمم الجحيم. نظر إلى أعلى ولكنه لم يعد يرى الشمس نفسها.

فكر كيف استطاعت الزويعة الشيطانية أن تقذف به إلى الجنوب في الوقت الذي كان يعتقد فيه أنه مشى طوال الوقت في مواجهتها. في تلك اللحظة ارتسمت على شفتيه

الملوثتين بالتراب ابتسامة خفيفة غامضة"(1).

من خلال السياق اللّغوي لنصّ الكوني أعلاه يعرِف القارئ أو السامع بأن الطرف المفكِّر ومَنْ ارتسمتْ على شفتيْه الابتسامة هو أخواد، وبأن المكان هو الجنوب(2)، وبأن الزمن هو وَضُح

---

(1) الخسوف: 159/1.

(2) أي: جنوب ليبيا؛ بناءً على سياق النصوص السابقة واللّاحقة لهذا النص في الرواية.

النهار والشمس حارقة. يَفهم السامع أو القارئ أيضًا من السياق نفسه معنى الظرف الزمني (تلك) بأنه حَمْلٌ للحظةِ زمنِ تفكير أخواد، وأن ذاك الزمن استغراقٌ زمنيٌّ بعيد بما يحمله "تلك" من معنى دلالي نحوي(1).

إذا ما نظرنا إلى المعنى الإحالي الدلالي، نستعين به للوصول إلى المعنى الإحالي التداولي فإنّنا من خلال السياق النصي نَستطيع إجراء إحالة (تلك) على أنها إحالة داخلية بعدية؛ لأن مرجعَ "تلك" مُفردَةُ "اللحظة"، في داخل نصّها وتلحقها. وهكذا نقرأ تداوليًّا أن هذه الدالّة الصرفية/ العنصر المُحيل (تلك) الذي وظّفه الكوني بأسلوبه المباشِر، ما هو إلّا تلخيصٌ شكليّ لمؤشِّرات تداولية لِسانية، تمثّلتْ في ما يحمله العنصر المُحيل الموظَّف من معانٍ تداولية، ولا بدّ من أن يعرفها المتكلّمون والمستمعون، حتى يُشبِعوا تواصلهم(2)، وبهذا المعنى يكون الكوني قد حدّد مرجعيّة اسم الإشارة (تلك)(3)، وكان العنصر المُحيل(تلك) عنصرًا واصلًا بين الكوني المنتِج للنّص ونصّه(4).

وهذا مشهد آخر من مشاهد رباعيّة الكوني وعنصره المُحيل داخل الإحالة الإشارية.

ف4: الإحالة الإشارية القائمة على ظرف الزمان

"أيقن الآن بجسامة هذا الخطأ، بعد أن عطلته كل هذه السنين ومنعته من تنفيذ مشروعه"(5).

---

(1) ينظر: مطهري، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص211.

(2) ينظر: ساسي، عمار، منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب. دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص228.

(3) ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص94.

(4) ينظر: صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص204.

(5) الخسوف: 236/4.

شاهدنا التداولي في هذا النص هو استخدام الكوني لـ "الآن"، وهو من الإشاريات الزمانية Temporal Deictics، أي: الكلمات الدالّة على زمن يحدِّدُه السياق بالقياس إلى زمن التكلم، أي: مركز الإشارة Deictic Center الزمانية في الكلام(1).

وهو أيضًا من الألفاظ التي تحدِّد زمن الملفوظيَّة(2) (الزمن الذي يتحدَّد فيه الحدث الذي هو إنتاج الملفوظ)(3).

في النص من فوقُ يقصد الكوني شخصيّته الروائية "الشيخ خليل"، وخطأ الشيخ هو: إخبار زوجته بالاستعداد للقاء الآخرة"؛ إذ صارتْ معطِّلة لمشروعه ذاك.

العنصر المُحيل (الآن) له معنى الإشارة: (هذه اللحظة) أو (هذا العام)(4)؛ "لأن معنى "الآنَ": هذا الوقتُ الحاضرُ"(5)، والمفهوم من سياق النصوص السابقة واللّاحقة لهذا النص أن العنصر المُحيل "الآن" يُحيل على اللّحظة؛ لأنها لحظة المرور على الشيوخ في صفّ الدكاكين المواجِهة للجامع؛ إذ كان معهم آهر، الذي طلب إلى الشيخ خليل محاولة إيقاف صديقه (الشيخ غوما) عن فتح معركة مع المُحافظ؛ ولأن تلك الإحالة يستخدمها الكوني داخل النص، وتُحيل على ما هو داخل النصّ، فهي إحالة داخلية؛ ولأن عوْد "الآن" على ما قبله من لحظات؛ فهي إحالة داخلية سابقة.

---

(1) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19-20.

(2) الملفوظية تقابل الملفوظ بالمعنى الأكثر شيوعًا، وهي تتكوّن من جملة العوامل المسبِّبة في إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل. ينظر: سيرفوني، جان، الملفوظية. دراسة، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د. ط، 1998، ص7.

(3) ينظر: سيرفوني، جان، الملفوظية. دراسة، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د. ط، 1998، ص 37.

(4) ينظر: لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ص259، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص84.

(5) الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، ص117.

أما فهْم العنصر المُحيل "الآن" على أنه مرتبِط بالحدث الكلامي، إما بالتزامن معه أو بالحدث بعده، فذاك يُحيلنا على محتوى القول[1]، الذي يوضح لنا أنه مرتبط بالحدوث بعده.

ويتّضح من كل ما سبق أن الإشارة (الآن) -كغيرها من الإشاريات- وفّرت وسيلة التخاطب للكوني[2]؛ وبذا استفاد المتلقي الفهم والتواصل مع الكوني وتحقّقت المنفعة التداولية للطّرفيْن[3].

وإلحاقًا لما سُرد عن تداولية الإحالة الإشارية وعناصرها المُحيلة نقتطف مشهدًا آخر من مشاهد رباعيّة الكوني إليكه لُطفًا.

ف5: الإحالة الإشارية القائمة على ظرف المكان

"هتف آيس وهو يقترب نحوه خطوات: اخنوخن! ماذا تفعل هنا؟[4].

"هنا" من الإشاريات المكانية Spatial Deictics، وهي أحد العناصر الإشارية التي يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان البثّ أو مكان آخر معروف للمستقبِل والمرسِل[5].

ومعروف عن الإشاريّات المكانيّة -وكذلك الزمانية- أنّها تكتسب قيمتها الدلاليّة، التي نستعين بها في استكشاف عُمقها التداولي، تكتسب قيمتها الدلالية تلك من خلال ما يُحيط بها من

---

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص86-87.

(2) ينظر: حنون، مبارك، دروس في السيميائيات، ص95.

(3) ينظر: نفسه.

(4) الخسوف: 202/1.

(5) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21-23، وينظر: بطاينة، فريال، 2010، أنظار تداولية في تحليلات الرضي في شرحه لتحليلات ابن الحاجب، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص33.

عناصرَ سياقيّة، قادرة على تحديد وظيفتها؛ بإشارتها إلى مكان محدَّد؛ ذلك أن ما يناسب مكانًا ما قد لا يناسب مكانًا آخر[1].

– الدالة (هنا) ← معناها النحوي: الظرفية المكانية القريبة[2]، وهي ترد في سياق قصصي (مثل: نصّ الكوني هذا)، أو وصف لمشهدٍ من مشاهد يوم البعث وغير ذلك، ويمكن لنا أن نعمّم الحُكم على النصوص السرديّة[3].

المركز الإشاري المكاني في النص هو الكوني على لسان شخصيّته "آيس"؛ وذلك انطلاقًا من القاعدة التداولية القائلة: إن أدوات الإشارة تحتفظ بمركز إشاري متعارف عليه هو (المُلقي)؛ لكنّها يجب أن تُفهَم في ضوء مضمون القول الذي استُخدمتْ فيه[4].

أما بخصوص تصنيف الإحالة في النص فهي داخلية سابقة. والجدير بالملاحظة أنه لم يُعلن المكان في النص نفسه؛ لكن ذكر قبله بثلاثة أسطر وهو (وسط المقبرة)[5].

من كل ما سبق يُفهم أن اختيار مكان حدث النصّ أجبر الكوني على اختيار الإشاريّات المكانيّة، ذات الدلالة اللّفظية المحدَّدة، التي يكون لها خصوصيّاتها النابعة من ارتباطها بسياقها،

(1) ينظر: بركلي، هربيرت، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، تر: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص43، وينظر: شاهين، أحمد فهد،2009، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن، ص20.

(2) ينظر: الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: عبد الرحمن العُثيمين، معهد البحوث العلمية، مكة، السعودية، ط1، 2007: 418/1، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص85،

(3) ينظر: بني ياسين، ياسين، الإحالة في النص القرآني، رسالة ماجستير، ص57.

(4) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص86–88، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19.

(5) للتدليل على أن الإحالة الداخلية السابقة يمكن أن تُستفاد من كلمات النص ككل (القصيدة كلها أو الرواية كلها). ينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة بين النظرية والتطبيق: 156/1.

كما أجبره على تحديد استعمال بعض الأشكال اللغوية في الخطاب، إن لم يكن كلها[1] كما رأيْنا.

بعد هذه الدراسة النظرية والتطبيقية على الإحالة القائمة على الإشارة ننتقل الآن إلى "الإحالة القائمة على تعريف "الـ" العهدية"، نرى منحاها التداولي، ونستكشف مقاصد الكوني من توظيفه لها؛ وذلك من خلال رباعيّته عبْر شواهدَ في نصوصها.

المطلب الثالث: الإحالة القائمة على تعريف "الـ" العهدية

قبل أن أبدأ بالتحليل التداولي **للإحالة القائمة على تعريف "الـ" العهدية** أرى التنويه إلى نقطتيْن مهمّتيْن هما:

* مع اقتناع الباحث بالمفهوم المعنوي للإشارة الذي تحمله "الـ" التعريف[2]، والذي تبنّاه براجستراسر، وهو يقول:"ومن العناصر الإشارية: الألف واللام للتعريف، ومما يدل على أنها في الأصل لم تكن للتعريف فقط، بل كانت أداة للإشارة، أنها حافظت على معنى الإشارة في بعض الحالات، نحو: "اليوم" أي: في هذا اليوم، والليلةَ: أي: في هذه الليلة"[3]، وما أشار إليه نحلة بقوْله: "ويرى بعض الباحثين أن الـ التي للتعريف تدخل في العناصر الإشارية [العناصر المُحيلة] لأنها

---

(1) ينظر: استيتية، سمير، منازل الرؤية، ص108-113، وينظر: شاهين، أحمد فهد، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، رسالة ماجستير، ص20-24.

(2) احترازًا من "الـ" التي ليستْ للتعريف، وهي: الموصولة الداخلة على الفعل المضارِع واسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المشبَّهة، مثل: الترضى، القائم، المباع،...، و"الـ" الزائدة اللّازمةً "لا تُفارق مصحوبها"، كالتي في الأسماء الموصولة، والأعلام المقرونة بـ "الـ" من أول وضعها، مثل: "السموْأل"، و"الـ" الزائدة غير اللّازمة، التي يمكن حذفها، الداخلة على الأعلام المنقولة لِلَمْح الأصل، مثل: "الحارث"، ينظر: الأشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد السيد محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ط، 1993: 1/195-199، 240-245، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 1021/2، وينظر: الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، ص116-118.

(3) برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، تصحيح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص86، وللاطّلاع أكثر، ينظر: الساقي، فاضل، أقسام الكلام العربي، ص244.

تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، والفارق بينهما [بين الـ للتعريف واسم الإشارة] أن اسم الإشارة يزيد عليها بالدلالة على القرب أو البعد [...] أما الـ التي للتعريف فهي غير موسومة Unmarked بقرب ولا بعد، ويرى هؤلاء أن التعريف في أساسه مفهوم إشاري"[1]، والذي يوضّحه الباحث قائلًا: إنّنا عندما نقول: "ما أكفَر الإنسان!" باستخدام "الـ" التعريف الجنسية[2]؛ فإنّ ذلك يعني: أنني أقصد هذا الجنس لا غيْره من المخلوقات[3]، ويتّضح أكثر مع "الـ" العهدية؛ ذلك أننا عندما نقول: "جاء الرجل" باستخدام "الـ" التعريف العهديّة؛ فإنّ ذلك يعني: هذا الرجل لا غيْره، أو بمعنى: أننا نُشير إلى قُربِ الرجل منّا، أي: قرب الرجل المتحدَّث عنه مُسبَقًا، أو مَن تعرفه أنا وأنت في ذاكرتيْنا، قُربَه مسافةً مكانيّة، أعني أننا بذلك نُوسِّع مفهوم الإشارة؛ فبدلَ أن تحدِّد الإشارةُ هوِيّةَ المكان والزمان والجهة كما هو معروف في مفهوم إشاريّتها مع أسماء الإشارة والظروف، بدل ذلك تَصير الإشارة مع "الـ" التعريف العهديّة محدِّدة لهويّة الذات والشيء والقضيّة والمفهوم والحدث المقصود، وهذا مفهومٌ من عبارة لبراون ويول يقولان فيها: "أما الصيغ الإسمية[4] المعرّفة البسيطة "أداة التعريف + اسم" فهي تُستعمل في الغالب لتحديد المعلومات المحوَّلة [الجديدة[5]] ولكنها

---

(1) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص22-23.

(2) يقسّم النحاة "ال" التعريف إلى قسميْن، هما: الجنسية، وتكون استغراقية "وَخُلِقَ الإنسَانُ ضَعِيفًا" النساء: 28، وتكون لبيان الحقيقة "الرجل أصبر من المرأة"، والعهديّة، وهي: ذِكْرية: "زارني أستاذ فأكرمتُ الأستاذ"، وحضورية: "جئتُ اليوم"، وذهنيّة: "حضر الرجُل"، ينظر: الأشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد السيد محمد: 235/1-240، وينظر: الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، ص114-115.

(3) قياسًا على قوْل الغلاييني:" وأما الآن [...] فأرجح الأقوال أن "ألْ" فيه ليست زائدة [...] لتضمُّنه معنى اسم الإشارة، لأن معنى "الآنَ": هذا الوقتُ الحاضرُ". الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، المنصورة، مصر، ط1، 2007، ص117.

(4) في النص هكذا.

(5) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص270-271.

تُستعمل كذلك لتحديد معلومات قائمة [مُسبَقة(1)]"(2). مع كلّ ذلك المعنى الإشاري لـ (الـ) التعريف، ومع اقتناع الباحث بما سلَف إلّا أنني أجدُني مُقتنِعًا أكثر بما أثاره الشاوش من نقاطٍ، تجعل اعتماد "الـ" من الإشاريات نُقطة مُلبِسة في العربية. يقول الشاوش:"اعتبار أداة التعريف من أدوات الإشارة يقوم على توسيع مفهوم الإشارة على نحو يصبح فيه مشتملا على ما يمكن أن نطلق عليه اسم إجراء التسمية أي ذكر اسم الشيء قصد الحديث عنه، وفي هذه الحالة ينعدم مقياس الفصل بين التسمية بالنكرة والتسمية بالمعرفة؛ إذ يمكن اعتبار النكرة أي ما لم يقترن بأداة التعريف ضربا من الإشارة أيضا تحصل بإطلاق الاسم على الشّيء المسمّى"؛ وإذ إن مسألة عدّ "الـ" التعريف ضمن الإحالة الإشارية غير محسومة بيْن التداوليين كما أبنتُ أعلاه؛ وإذ إن براون ويول أفردا "الـ" التعريف بمصطلح مُستقلّ، هو:" الإحالة المُعرَّفة"(3)؛ عليه، اعتبرتُ رأي الشاوش الخاصّ بهذه القضيّة جديرًا بالأخذ والاهتمام؛ فعدَّلتُ في جدول تقسيم الإشارة الذي استهللتُ به الإحالة القائمة على الإشارة في هذا الفصل؛ فأخرجتُ "الـ" التعريف من الإشارة.

* من خلال استقرائي لشروح اللّسانيين وأمثلتهم لاحظتُ إجماعهم على اعتبار "الـ" العهدية، لا الجنسية عنصرًا مُحيلًا(4)؛ ولا أدري ما علّة استحيائهم في عدم التصريح بأن"الـ" العهدية هي العنصر التعريفي المُحيل المقصود؛ الحظ مثلًا أحد أمثلة هاليدي ورقية حسن، وهو: Don't go the train's coming"(5) سنجد في مثالهما توًّا أن المتكلِّم استخدم "الـ" العهدية الذهنية؛ إذ

(1) ينظر: نفسه، ص270-271.

(2)نفسه، ص272. بتصرّف في الضبْط.

(3) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص332.

(4) ينظر: Halliday, M. A. K. and R. Hasan . cohesion in English p32,70-74.

(5) ينظر: Halliday, M. A. K. and R. Hasan . cohesion in English p71.

أحال على قطار معيّن[1]، هو معهودٌ ذِهنًا بيْن الملقي وبين مَن يُخاطبه؛ ومن ثَمّ ينصرف الفكر إلى ذاك القطار المعيّن بمجرّد النطق به[2]، وهكذا بقية الأمثلة إذا تتبّعتها. واسمع تودوروف، وهو ينقل ملاحظة عن رجال بور رويال: "يلاحظ رجال بور رويال... بأن اسم الجنس لا يشير بذاته إلى شيء معين، وإنما يرجع فقط إلى تصور أو فكرة (ونقول: يوجد لاسم الجنس معنى، ولا يوجد له مسمى، ومرجع مشار اليه([3]) في الخارج) ولذلك فهم يطلقون مصطلح "المعرفات" على بعض العناصر التي تضاف إلى اسم الجنس فيتحدد ويمكن أن نجد له مسمى يصدق عليه في الواقع (وإذن تنقل هذه المعرفات المعنى إلى[4] المسمى المرجعي)"[5]. ويقول دي بوجراند: "ولاستعمال الأدوات دلالة في هذا المجال [التعريف] كما يفهم من المصطلحين: "أداة التعريف" و"أداة التنكير". فمما ينسب إلى أداة التعريف أنها تتقدم العبارات الدالة على ما سبق ذكره"[6]، ويُعلّق حسان على القول السالف لدى بوجراند قائلًا: "ولكن المؤلف يتناول هذا التفريق بشيء من التفصيل بعد ذلك إذ يعدد ما يراه صالحا للوصول إلى الفهم بالمعرفة مثل: (1) ما ذكر من قبل (العهد الذكري) (2) ما عهد من المعلومات المشتركة بين طرفي الاتصال (العهد الذهني) (3) العناصر المتفردة كالشمس والقمر (العهد الحضوري) (4) ما ينتمي إلى النظام العام كالرئيس والشرطة الخ"[7]. ويقول مارتان:

---

(1) ينظر: خليل، إبراهيم، في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010، ص237.

(2) ينظر: الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، ص114.

3) هكذا كُتبتْ.

(4) من دون همزة قطع في نصّها.

(5) تودوروف، ازوولد تزيفان، وشاف، ادام، وستروسن، وفريجة، جوتلوب، وبيث، E.W، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1988، ص32.

(6) دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص307.

(7) ينظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص31.

"وإننا لنجد دورًا شبيهًا لأداة التّعريف التي تحيل على شيء من العالم (المفروض أنه قابل للتّحديد [...])"[1].

واقرأ قول عفيفي، وهو يحلّل بيْت الشعر:

وتلفّتتْ عيني فمذ غرُبتْ/// عني الديار تلفّت القلبُ

يقول: "فالقلب ذو صلة نموذجية بمركز الضبط وهو المتكلم لأن كل إنسان له قلب [...]، وتعريف القلب أدى إلى هذا الترابط فالمتكلم (الشاعر) ذكر في البيت(عيني، عني) فلابد أن[2] تكون القلب مساوية لكلمة (قلبي) فتم الترابط بين آخر البيت وأوله، لأن دلالاته تعود على شخص واحد (المتكلم) ولو أنه قال (تلفت قلب) لظهر التفكك بين أجزاء البيت إذ يحتمل ألا يكون قلبه، ويمكن أن يدخل ضمن هذا المفهوم الترابطي ما يتصل بما ذكر من معلومات مشتركة بين طرفي الاتصال (العهد الذكري) وما عهد بينهما و(العهد الذهني) [...] مما يدل على أهمية الترابط المفهومي [...] من خلال الإطار المعرفي المشترك أو المذكور من قبل"[3]. كما أن داليا موسى- وهي صاحبةُ أوسعِ دراسة عن الإحالة فيما عرفتُ، وقد أفردتْ عنوانًا أسمتْه "أل التعريف" (بشكل عامّ) داخلَ مبحثٍ أوسمتْه بـ: "الشفرات اللغوية الإحالية"- تقول: "تُعد أل التعريف من الوحدات الصرفية [...] فقولنا مثلًا "قابلت اليوم فتاةً" فإن كلمة فتاة تُحتمل فيها أن تكون دالة على فتاة واحدة لكن غير محددة الهوية وتُحتمل أن تكون دالة على جنس الفتاة، ما معناه أننا قابلنا فتاة وليس فتىً، أما قولنا"قابلتُ اليوم الفتاة" فهذا يعني أن تلك الفتاة هي المقصودة الوحيدة من بين الكثيرات من الفتيات، وهي الفتاة التي يعرفها المتكلم والسامع قبل الحديث عنها بصفة معينة أو ذكر معين قبل

---

(1) مارتان، روبير، في سبيل منطق للمعنى، تر: الطيب البكوش، وصالح الماجري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص313.

(2) من دون "من" مع "لابد" في نصّها هكذا.

(3) عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص115.

زمن التكلم، فيزيل المتكلم الإبهام من خلال تعريف تلك الفتاة بـ "ال" فالغرض الرئيس منه هو التعريف والتحديد والتعيين"[1]. وهذا بعيطش يُدلي بدلْوِه، أثناء تحليله لمثال:"ضُرب به عُرض الحائط"، يقول:"فكلمة الحائط [ال جنسية] هنا لا إحالة لها؛ لأنها لا تدلّ أو تُخصّص حائطًا مُعيَّنا، رغم أنها مُحلّاة بأداة التعريف"[2]. بلهَ ما يقوله النحاة العرب حوْل إنكار التعريف المعنوي لـ: "ال"الجنسية. اسمع الغلاييني، وهو يقول:"واعلم أنَّ ما تصحبُهُ "أل" الجنسيةُ هو في حُكم النكرة من حيثُ معناه، وإن سبقتهُ "أل"، لأن تعريفهُ بها لفظيٌّ لا معنويٌّ: فهو في حُكم عَلم الجنس"[3]؛ لذلك كلّه عدَّل الباحث أكثرَ في جدول تقسيم الإشارة الخاصّ بالإحالة القائمة على الإشارة؛ فأَخرج منه "الـ التعريف"، كما نوّهتُ في النقطة السابقة، وأُعدِّل الآن أكثر فلا أتعرّض لغير "الـ" العهديّة عند التحليل التداولي لـ الـ التعريف؛ ومن ثَمّ أُفرد مبحثًا خاصًّا بـ "ال" العهدية عُنصرًا مُحيلًا، أُوسِمه بـ:" **الإحالة القائمة على تعريف "الـ" العهدية**".

وَفقًا لما سَلف، نصل إلى حقيقة هي أن: إحالة تعريف الـ العهدية هي الإحالة المقصودة، وأن وظيفتها تتعدّى تحويل غير المعروف إلى معروف إلى الربط بين دوالِّ الرسالة/ النصّ ربْطًا يُشبه ربط الإحالة بالضمير، من حيث إنها تذّكر المتلقّي بشيء سبق ذكره، أو شيٍّ معروف في الذهن تُكُلِّم عنه، أو أُشيرَ إليه سياقًا[4].

لاحظِ الشاهد الآتي في نصه:

(1) موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص150-151.

(2) بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص104. مع تصرّف في الضبْط.

(3) الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، ص115.

(4) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979، ص113، 158، وينظر: خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص229، 248-249، وينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية. بنية المكونات أو التمثيل الدلالي – التركيبي، دار الأمان، الرباط، المغرب، د. ط، ص158.

"**عاد الوفد من رحلته من "عوينة ونين"، حيث تقيم قبيلة الفتاة، وأبشرني بموافقة الأب**"[1].

من خلال قراءة النص يتضح تعذّر فهمه، بسب غموض فيه، سببُه جهل المتلقي معرفة المقصود بدوالّ هي: الوفد والفتاة والأب.

ومباشرة يتولّد سؤال في ذهن المتلقي يَفرِض نفسه، هو: كيف يزيل القارئ هذا الغموض؟ يُشفِي التداوليون غليلنا، فيُرشدوننا إلى ضرورةِ البحث عن جواب سؤال داخل السياق اللغوي(النظم) أو السياق الخارجي (المقام)، هو: إلام يُحيل العنصر الإحالي (الـ) في الدوالِّ المذكورةِ مِن علُ؟ بصريح العبارة: هاتِ المعنى الإحالي.

وعليه، فلمعرفة ماهيّة هذه العناصر ينبغي لنا تتبّع السياق اللّغوي للنص أولًا، فإذا ما أخفقنا في العثور على ضالتّنا اتّجهنا صوْب المقام ثانيًا؛ فنعرِفَ عن أيِّ وفد، وعن أيِّ فتاة، وعن أيِّ أبٍ يتحدّث القائل؟ ومَن القائل أصلًا؟ ومن المستمع وأطراف الحوار الأخرى؟ وما الحدث؟ وما زمانه؟ وما مكانه؟

من خلال السياق اللغوي، وتتّبع الدّوال السابقة واللّاحقة فيه؛ للكشف عن العناصر المُحيلة لجمل النص، يتّضح لنا أن القائل هو الكوني يستنطق الشيخ غوما، وموضوع الحدث هو: طلب الشيخ غوما من مهمّدو أن يحدّثه عن قصّته المريرة مع الكلاب –حاش القرّاء– في جِلسة شاي؛ أخذ مهمّدو يستطرد، يحدِّثه عن قصة زواجه[2].

كما يتَّضح –من خلال السياق اللغوي والمعنى الإحالي فيه– أن المقصود بالوفد هو وفد الشيخ غوما، الذي أرسله من قبيلته زمن شبابه، من أجل خِطبة فتاة من قبيلة أوراغن، تَعرّف عليها

(1) الخسوف: 82/2.

(2) ينظر: نفسه 79/2–82.

وعاهدها على الزواج، عندما زار منطقتها (عوينة ونين)؛ هروبا من حرِّ الحمادة الحمراء، أما المقصود بالفتاة فهي خطيبته، وأما الأب فهو والد خطيبته[1].

إذن العنصر المُحيل (الـ) في دالّة الوفد يحيل إلى قول الشيخ غوما: "وفدا من قبيلتنا لتنفيذ الخطبة"، وأما الـ في دالة الفتاة، فهي تعود على قول الشيخ غوما: "فتاة فاتنة ونبيلة من قبيلة أوراغن"، وأما الـ في دالّة الأب فهي ترجع إلى قول الشيخ:"أبو الفتاة".

وهكذا عَلِمْنا أن العنصرين المحيليْن (الـ والـ) الخاصّين بالوفد وبالفتاة أحالا على عناصر إشارية نصية (مقطعيْن من الملفوظ) فصنّفنا نوع الإحالة فيهما بأنها نصية؛ ولأن العنصر المحيل (الـ) في كلمة الأب تُحيل على عنصر إشاري (وهو مركّب إضافي) داخل النص سابق للعنصر الإحالي نُصنِّف الإحالة بأنها داخليّة سابقة.

ومن خلال هذا المعنى السياقي نتأكّد من دور المعنى الإحالي الذي تكشفه الـ العهدية في الكشف عن غموض الرسالة اللّغوية.

إيضاحًا أكثر هذا نصّ آخر من رباعية الكوني ترد فيه شواهد للإحالة القائمة على تعريف الـ العهدية.

"طنّت شَظيّة عابرة فوق رأسه وانهمرت دُفعة جديدة من الطلقات على الجزء العلوي من الربوة أمام عينيه. تدحرج إلى اليمين بضعة أشبار وسدّد طويلًا قبل أن يضغط على الزناد ويفقد الرصاصة النفيسة. طارت هباء. الجسم ينز بالعرق ويفقد الاحتياطي من السوائل فينشر العطش الغيم أمام العيون ويحجب رؤية الأهداف"[2].

---

(1) ينظر: نفسه 82/2.

(2) الخسوف: 87/3. مع تصرّف في الضبط.

حتى نصل إلى قراءتنا التداولية لدوالِّ ال العهدية وإحالتها في النصّ فوقُ ... هذه قراءة دلاليّة لتلك الدوالّ:

في النصّ مفردات ثلاثة(3)، تمثِّل حَمْل الـ العهد الذهني الصريح هي: الطلقات، الزناد، الأهداف؛ فهي تُحيل تراتبيًّا على: طلقات الرصاص، وزناد البندقيّة، وأهداف المُجاهدين(العدو). وقد عرفنا ذلك من خلال المعهود والمعروف في المعرفة المشتركة بيننا (نحن المتلقّين) وبين الكوني (المنتِج للنص)، وقد صدّق ذلك السياق والمقام.

وحيث إن هذه العناصر المُحيلة- أعني الـ العهدية الذهنيّة في دوالّها- أحالتْ على عناصر إشارية غير لغوية، أي: غير موجودة في السياق الداخلي للنصّ (بما فيه القسم المُخصّص لها في الرواية، الذي يسمّيه الكوني "الغزو")، بمعنى أنها أحالت على عناصر في السياق الخارجي، حيْث ذلك؛ فإن الإحالة تُصنَّف هنا مع ال العهديّة في هذا النص، تصنَّف إحالة خارجية.

في النص أيضًا، ومن خلال السياق اللّغوي نجد مفرداتٍ أُخرَ حاملةً للعنصر المُحيل/ الـ العهد الذهني؛ لكن بقرينة لفظيّة[1]، هذه المفردات هي: "الجسم"، "بالعرق"، "السوائل"، "العطش"،"العيون"؛ إذ تُحيل ترتيبًا على: جسم غوما، وعرق جسم غوما، وسوائل جسم غوما، وعطش غوما، وعينيّ غوما[2]، والقرينة هي: استخدام الضمائر المُحيلة: الهاء في "رأسه"، الهاء

---

(1) القرينة هي: الأمارة على مُراد المُلقي، وتُقسّم إلى لفظية وعقلية وحالية.تُعرف اللّفظية بالنُّطقية والمقالية أيضًا، وهي: أيُّ عنصر منطوق يُساعدنا في فهْم قصْد المُلقي. العقلية: أيُّ حقيقة إدراكية تُوصلنا إلى القصد. الحالية: مقام المقول، وحال المُلقي، وشؤونه، وتاريخه، وأيُّ فِعل؛ يُسهم في معرفة القصد. ينظر: علي، محمد محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006. ص65-66، 87-93، وينظر: العبود، جاسم محمد، مصطلحات الدلالة العربية. دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص135-136، 151-152.

(2) مع هذه القرينة اللّفظية لـ (الـ) العهدية وهذا التأويل يقع شَبَهُ (الـ) العهدية بـ "ال" النائبة عن الضمير، التي يتحدث عنها النحويون والنصّيّون، ويمثّلون لها بالمثال المشهور: "زوجي المسُّ مسُّ أرنب". ينظر: حميدة،

فـي"عينيْـه"، "تـدحرج (هـو)"، "يـضغط (هـو)" ،"يفقـد (هـو)"؛ إذ تُحيـل علـى الـشخص نفـسه وهـو غوما[1]، وعلى اعتبار أن الـ العهدية/ العنصر المُحيل (المُستهدَف) في النص يعود على عناصر إشـارية لغويـة مُعجميّـة سـابقة لعناصـرها المحيلـة، ومفهومـة مـن داخـل الـنص، علـى اعتبـار ذلـك فالإحالة داخلية سابقة.

وإذا مـا حاولنـا قـراءة تلـك الإحالـة ذات العنـصر المُحيـل التعريفـي قـراءة تداوليـة نجـد أن هـذه الإحالـة تحمـل الاختـصار والإيجـاز[2]؛ إذ بـدلًا مـن قـول الكاتـب: "طلقـات البندقيـة" مـثلًا: بكلمتيْن، يكتفي الكوني بكلمة واحدة هي "الرصاصات" بتوْظيفه لهذه الإحالـة وعنصرها المُحيل؛ ولا جدالٌ في أن هذا تيسيرٌ وحملٌ للمتلقي على التصديق بما يسبق إلى فهمه من مضمون النصّ[3]، يقول طـه عبد الرحمن:"يفيد الاختصار المخاطَب بوصفيْن هما:"التيسير" و"الاستيقان" [من اليقين]"[4]. كما

مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجمل العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1997، والمعنى: مسُّه مسّ أرنب ،على تقدير ضمير مُحيل.

(1) مُقاس على تحليل العفيفي، قراءِ قول عفيفي، وهو يحلِّل بيْت الشعر: وتلفّتتْ عيني فمذ غرُبتْ/// عني الديار تلفّت القلبُ، يقول: "فالقلب ذو صلة نموذجية بمركز الضبط وهو المتكلم لأن كل إنسان له قلب [...]، وتعريف القلب أدى إلى هذا الترابط فالمتكلم (الشاعر) ذكر في البيت (عيني، عني) فلا بد أن تكون القلب مساوية لكلمة (قلبي) فتم الترابط بين آخر البيت وأوله، لأن دلالاته تعود على شخص واحد (المتكلم) ولو أنه قال (تلفت قلب) لظهر التفكك بين أجزاء البيت إذ يحتمل ألا يكون قلبه، ويمكن أن يدخل ضمن هذا المفهوم الترابطي ما يتصل بما ذكر من معلومات مشتركة بين طرفي الاتصال (العهد الذكري) وما عهد بينهما و(العهد الذهني) [...] مما يدل على أهمية الترابط المفهومي [...] من خلال الإطار المعرفي المشترك أو المذكور من قبل". عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص115.

(2) يقول طه عبد الرحمن: "الاختصار يتخذ التداول اللغوي الأصلي [المصحّح للانحراف العقَدي] مرجعًا له". عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، د. ط، 1994، ص289، وقد عنْوَن الأوراغي في أحد كتبه :" التداول مناط الاختصار والاختزال". الأوراغي، محمد، الوسائط اللغوية. اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2001: 526/2.

(3) ينظر: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص284–285.

(4) عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص284.

أنّني أزعم أن في هذا الاختصار ثقةً بالقارئ، وإذهابًا لنوْع من الرتابة قد يتسلّل إلى النص ومتقبِّله، كما أن فيه تشغيلًا للمتلقّي، ودعوةً إليْه للمشاركة في إنجاز النصّ؛ بربْط أحداثه في مُخيّلته.

نفهم من ذلك كلّه بشكل خاصّ، ومن خلال هذا التوظيف للإحالة القائمة على تعريف الـ العهديّة بشكل عام أن الكوني يُمارس لُعبة تداولية من ألعاب الكلام، ألا وهي لُعبة الغياب والحضور[1]؛ إذ يتضح أنه يقوم بإخفاء بعض الدوالّ على المستوى الظاهري للنصّ بواسطة جلْب الـ العهديّة[2]؛ ليُحضرها المتلقّي بدوْره في ذهنه؛ فيتشارك الأخير معه، بالحضور الذهني، أو بمحاولة جعْله متقبِّلًا لنصّه بشكل إيجابيّ، أوفي أعلى درجة من الشراكة، أي: مُحاولة جعْل الكوني قارئَه شريكًا له في لذة النصّ. ومن خلال تلك الشراكة يتمكّن الكوني من تهيئة سياق مُشترَك بينهُ وبين قارئه؛ فلا يشعر القارئ بالغربة والتيه وسط هذه المفردات وتداوليّتها[3].

كما أن في توظيف الكوني للإحالة القائمة على الـ العهديّة شحذًا لأذهاننا؛ بالتفكير في المسافة الفاصلة بين المفردة الحاملة ل الـ العهديّة والمفردة التي تُحيل عليها، بل وبالتفكير فيما أُسند إلى الأولى (الجسم مثلًا) وما أُضيف إلى الثانية (جسم غوما مثلًا)[4].

إذن بشكل عام يمكن القول: إن الكوني وظّف الإحالة القائمة على الـ العهدية لعدّة مقاصدَ أهمُّها: جَمْعُ رسالته اللّغوية/ نصّه في دائرة واحدة هي شراكته مع المتلقّي في جوّ النص، بصوتيْه المُتخفّي والمُعلَن[5]، وبكلّ أبعاده التداولية، المتّكئة على المعرفة المشتركة في سياقاتها اللّغويّة الداخلية والخارجية.

---

(1) ينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص180-183، وينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص152.

(2) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص152.

(3) ينظر: نفسه، ص155. بتصرّف.

(4) ينظر: نفسه، ص152.

(5) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص156.

وهكذا رأيْنا داخل النّظم والمقام كيف انماز الحوار الإحالي؛ باستناده على كل تلك الإحالات (الضميرية والإشارية والتعريفيّة)، وكيف حقّق حوارا تفاعليًّا فعّالًا، تفاعلَ من خلاله المتحاورون مع أنفسهم ومع الآخرين؛ ما كشف عن خصوبة الخطاب وثرائه داخل المحادثة[1].

وعمومًا ممّا ينبغي إدراجه في ختام هذا الفصل هو استفادة الكوني من توظيف الإحالة تداوليًّا في توصيل مقاصده إلى المتلقي؛ إذ وظّفها في التقوية اللّغوية لخطابه إلينا، واستغلّ عناصرها المُحيلة في جعْلها دوالّ لسانية تؤسِّس لما ينقله عن البيئة اللّيبية عامّة، ومجتمع الصحراء خاصّة، ناقلًا لنا شعوره وانفعالاته ونقده بالسلب أو بالإيجاب لما يحدث هنا وهناك من خلالها أيضًا، من وعي أو من غير وعي؛ وذلك بأسلوبه المباشر أحايينَ، وبتقمّص شخصياته أحايينَ أخرى.

(1) ينظر: السيساوي، يوسف، المقاربة التداولية للإحالة، ضِمن: التداوليات، ص485.

الفصل الثاني

تداولية الاستدلال والتأويل في رباعية الكوني

المبحث الأول: ***مبادئ/أدوات الاستدلال والتأويل التداوليّيْن***

المطلب الأول: التأويل/الفهم المحلي

المطلب الثاني: التشابه (القياس التداولي)

المطلب الثالث: التغريض

المبحث الأول: أنواع (وظائف) ***الاستدلال التداولي Pragmatic Inference***

المطلب الأول: استدلال الجسر الافتراضي (الافتراض التجسيري)

المطلب الثاني: استدلال المقارَنة

المطلب الثالث: الاستدلال المغلِق لفراغات الفهم

المبحث الثالث: الأنماط الإجرائية للاستدلال والتأويل التداوليْين (مُتضمَّنات القول التداولية)

المطلب الأول: الافتراض التداولي المسبق

المطلب الثاني: الأقوال المضمرة

المطلب الثالث: الاقتضاء التداولي

المطلب الرابع : الاستلزام الحواري

الفصل الثاني

تداولية الاستدلال والتأويل في رباعية الكوني

"ومن المركوز في الطّبع أن الشيء إذا نِيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه،

ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالميزة أولى، فكان موقعه من النّفس أجلّ

وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف، ولذلك ضُرب المثل لكل ما لطُف موقعُه ببرَد الماء"

على الظمأ". (الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد الإسكندراني، ود.م مسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1996، ص114. بتصرّف في الضبط)

توطئة

في الفصل الأول بيَّنتُ شيئًا من **تداولية** الدرجة الأولى المتعلِّقة بدراسة الرموز الإشارية، فحاولتُ توضيح ماهيّتها، بتناول علاقة الإحالة، تنظيرًا وتطبيقًا، وخرجنا بنتائج أهمّها: أن الإحالة علاقة تداولية –مع عدم إنكارنا بأنها قد تكون دلالية أونصية– تحتوي على دوالّ مُبَهمة، يلفّها الغموض، ولا يمكننا فكّ شفرتها، واستخلاص تداوليّتها إلا بالنظر إلى سياقها العام.

وهكذا حاولت في الفصل الأول الاطّلاع على نطاق الدرجة الأولى للتداولية اللغوية، وطرْحَها طرحًا نظريًّا عامًّا، وعمليًّا خاصًّا، من خلال رباعية الكوني، فرأينا كيف تدخّل السياق عبر الآلة الرئيسة للجهاز المفاهيمي التداولي (الإحالة)؛ فنظر في كل لحظة من لحظات الشكل القضوي، من أجل إزالة الغموض، وإسناد المراجع، وإلغاء الإبهام(1)؛ حتى حصلت الإفادة، واستمر التواصل، وحدث التفاعل، وتحقّقت الممارسة المُثلى للتداولية اللّغوية.

(1) ينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص 25.

بعد أن اطّلعنا على كل ذلك، في هذا الفصل سأحاول –وما توفيقيَ إلا بالله!– الإجابة عن سؤال تداولي فحواه: ما الطريقة التي تتّصل فيها القضية المعبَّر عنها بالمتلفَّظ بها؟ إذ ينبغي أن تتميّز القضية المعبَّر عنها عن الدلالة الحرفية للملفوظ[1].

إنها تداوليةٌ تعالجُ كيفية تكوّن المعنى التداولي؛ وذلك بالقيام ببعض العمليات الاستدلالية كالافتراض التداولي المسبَق، والاستلزام الحواري، والاقتضاء التداولي، والأقوال المضمرة، وبمساءلة التأويلات المتولَّدة من المعنى، التي لم يصرَّح بها حرفيًّا في الجملة/ العبارة/ النص[2]؛ ولأن التداولية اللغوية هي فهم اللّغة من خلال استعمالها في السياق فلا مفرّ من الانتباه إلى السياق الموسَّع هنا؛ ذلك السياق الذي لايهتمّ بالشخوص، وحديثها، ومظاهر الزمكان فقط، بل يتعدّاها إلى المعتقدات المتقاسَمة بين المتحاورين، إنه سياق "ألفاظ العوالم الممكِنة"[3]Possible Worlds.

إذن، ووَفقًا للترتيب المنطقي إننا هنا في نطاق الدرجة الثانية للتداولية اللغوية. وعلى اعتبار المعنى التداولي الذي تحدّثنا عنه قبل قليل(حرْفي ومضمَر)، إخال أننا نستخدم آلتيْن رئيستيْن للكشف عن هذا المعنى هما: الاستدلال التداولي، والتأويل التداولي؛ وحيث إن عملية "الاستدلال" تأتي بدءًا، تليها عملية "الاستدلال"، فإن الاستهلال سيكون في الأسطر الّلاحقة من

(1) ينظر: أرمينكو، فرنسواز، المقاربة التداولية، ص38، وينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص36.

(2) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص164، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص38، وينظر: عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص7، وينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي:119/1.

(3) ينظر: أرمينكو، فرنسواز، المقاربة التداولية، ص38، ينظر: صبحي، كاميليا، 2002، تداولية Pragmatique مجلة الألسن للترجمة، د م، ع3: 381–382، وينظر: لحمادي، فطومة، تداولية الخطاب المسرحي، ص587، وينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص36، وسياق "ألفاظ العوالم الممكِنة" يعني باختصار: الأحوال التي يمكن أن يقع فيها الحدث، متخيَّلة أو متصوَّرة؛ لكنّها لم تتحقّق حتى هذه اللّحظة، أعني لحظة إنجاز الحدث. (الأحوال التي يمكن أن تكون). ينظر: "إيلام، كير، سيمياء المسرح والدراما، تر: رئيف كرم، المركز الثقافي العربي، د ب ر، 1992، ص153–154.

هذه التوطئة بتَجْلية مفهوم الاستدلال التداولي، يليه التأويل التداولي، ومن ثَمّ سأبدأ بالدراسة التطبيقية على رباعية الكوني، في صورة مباحث خاصّة بمبادئ الآلتيْن، ووظائف الاستدلال التداولي، والأنماط الإجرائية للآلتيْن (متضمَّنات القول التداولية).

الاستدلال التداولي(1) Pragmatic Inference

تتعدّد اتجاهات اللسانيين في دراسة الاستدلال التداولي إلاّ أن ما يعتمده الباحث في هذا البحث هو الاتجاه الذي ينطلق من الوصف الدلالي، حيث نتلقّف من الأخير المعطيات الإخبارية للملفوظ، التي تعمل على إيصال معلومات إخبارية إلى المتلقّي... وبعد تلك الانطلاقة من الوصف الدلالي نربط بين ذاك الوصف الدلالي اللّساني بظروف الخطاب وأغراضه الاستدلالية (2). والحال

---

(1)علّة تقييد الاستدلال بـ"التداولي" هنا هي تمييزه عن غيره من الاستدلالات الأخرى المتداخلة معه، كالمنطقي"التمكيني" والدلالي. ينماز الدلالي بأنه آلي مباشر، واستنتاجاته تلقائية؛ وإيضاحًا نُمثِّل له بقولنا: "ربط محمد خيوط نعليْ حذاء عليٍّ مع بعضها بعضًا"، الذي يكون استدلاله المنطقي: "تعثَّر عليٌّ ووقع على الأرض". ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص414.412؛ وعلى ذلك فالاستدلال المنطقي قائمٌ على وُضوح نِسبيّ لعناصرِ مجموعة الانطلاق [المقدِّمات] ولإجراءات توليد المدلولات، في حين يكون الاستدلال التّداولي رهينَ العناصر المستمدَّة من السّياقيْن المقاميّ والمقاليّ عند التّخاطب. ينظر: المبخوت، شكري، الاستدلال البلاغي، ص16.15 . أما الاستدلال الدلالي فلا يعتمد على تلقّظ سياق بعينه، أي: ينظر فيه مباشرة إلى المعنى الدلالي دون الحاجة إلى اعتبار السياق و ظروفه والمقصدية والترابط غير الآلي والعلاقات غير التلقائية والتأويل الإضافي الكبير والمعرفة المسبقة، وأي شروط أخرى يعتمد عليها الاستدلال التداولي. ينظر: براون، جوليان، ومن معه،تحليل الخطاب، ص421.418، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص29. وينظر: مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص73، وعطفًا على ماسبق فإن الاستدلال متعدِّد بتعدُّد التخصّصات؛ لكن فضّ هذا التعدّد لأنواع الاستدلال سهل؛ وذلك بالنّظر في كلّ استدلال من نظرية تخصّصه؛ فمثلًا الاستدلال البلاغي يُجرى بالنَّظر إلى نظريات البلاغيين وتحليلاتهم وافتراضاتهم وتصوراتهم عند طلب الدّليل والإجابة عن الأسئلة البلاغية، وهكذا دواليْك مع كل استدلال. ينظر: المبخوت، شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص13.

(2) ينظر: كروم، أحمد، الاستدلال في معاني الحروف، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص65-66؛ لأنه من المستحيل الفصل بين مقتضيات الملفوظات دلاليًا وما يفعله الناس اللاّفظون بها تداوليًّا. ينظر: طرق الكلام، ص208-209، نقلًا عن بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص153. والجدير

هذه يُمثّل معها الاستدلال أداة تواصلية رئيسة في المقاربة التداولية، ويكون واقعًا في تمفصل مفاهيم أساسية، كالدلالة، والتأويل، والقواعد المحادثية[1].

ومن هنا يمكن لنا أن نقول: إن التواصل اللغوي كله مسألة استدلال[2]، خاصة أنه من دون هذه القدرة الاستدلالية –وما تنتجه من معان استدلالية– التي يعوّل عليها الباثّ، ضمن غيرها من المواضعات الخطابية، يصبح أي تواصل صعبًا، في أحايينَ كثيرة، إن لم نقل مستحيلًا[3].

عن الاستدلال التداولي ماهيّةً نجد أن **براون ويول**[4] لم يعرّفا الاستدلال التداولي بشكل صريح، إلا أننا يمكن أن نستشفّ أن الاستدلال التداولي عندهما هو: علاقات استنتاجية، مرتبطة بالسياق، محدّدة بالنص، ومحصورة في القارئ، أو السامع شخصيًّا، يقيمها الناس، وهم يحاولون التوصّل إلى فهم معيّن لما يقرأون، أو يسمعون، شريطة الجهد التأويلي الكبير، غير المباشر، المحتاج للوقت الأكثر مما نستخدمه في الاستدلال المنطقي[5].

بالذكر اتجاهان آخران للاستدلال عند اللسانيين هما: اتجاه أقوال البرهنة والإقناع، واتجاه العلاقات المنطقية. ينظر: كروم، أحمد، الاستدلال في معاني الحروف، ص65–66.

(1) ينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص151.

(2) ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي –التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص181.

(3) ينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص154، والقواعد المحادثية هي قواعد التخاطب التي سيأتي الحديث عنها في الصفحتيْن الآتيتيْن.

(4) قدّمتُ براون ويول في التعريف؛ لأنّني وجدتهما في كتابهما "تحليل الخطاب" أوسع من تحدّث عن الوظائف التداولية، التي ستأتينا في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(5) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص404، 420–421.

في حين نجد **خطّابي**[1] يعرّفه بناء على استقرائه لما كَتب براون ويول في كتابهما تحليل الخطاب تعريفًا مختصَرًا . يقول: "الاستدلالات هي الترابطات التي يقوم بها الناس حين يحاولون الوصول إلى تأويل لما يقرؤونه أو يسمعونه"[2].

و**تعرّفه أوركيوني** على أساس نتيجته، وإجرائيته. تقول: سنطلق اسم "استدلال" على أيّ جُمَيلةٍ[3] مُضمَرةٍ يمكننا استخلاصها من القول، واستنتاجها من محتواه الحرفيّ، عبر التوفيق بين معلومات ذات وضع متغيِّر (من داخل القول، وخارجه)[4].

ويعرّفه بدوح على أساس وظيفته، يقول: مجموعة من الإواليات المنطقية[5]، التي تمكّننا من استنباط المعاني المسكوت عنها، انطلاقا من المحتوى الحرفي للملفوظ[6].

وعليه، فإن الاستدلال بشكل عام، بما فيه التداولي"وإن كان [...] معناه طلب الدّليل بحيث يكون المطلوب عند الطّلب غير حاصل بالضرورة؛ فإنه لفظ جار في ما وقع به الدّليل"[7]،

---

(1) على اعتبار أن خطابي في كتابه "لسانيات النص" هو أوسع شارح لكلام براون ويول اخترتُه في تعريف الاستدلال التداولي ثانيًا.

(2) خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص73.

(3) مصطلح "الجُميلة" يطلق على العبارة (جُملتان فأكثر)، وعلى الجملة الصغرى، وعلى مجموعة الكلمات تقع في الهرمية النحوية بين التركيبة (شبه الجملة) والجملة (مُسنَدومُسنَد إليه وإن لم يُفيدا معنى). ينظر: البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، ص91، 221، أي: أنه قد يُقصَد بها جميعًا، وقد يقصد بها أحدها، أو ... وكلّ هذه المقصودات يحدّده سياق النص.

(4) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص46.

(5) الإواليات Acronyms يُطلق على الرمز الاختصاري، وعلى الكلمات المنحوتة، وعلى ذلك فاللّفظة الأوائلية هي الكلمة المؤلَّفة من مجموع حروف مقتطعة من عدد من الكلمات، مثل: الحوقلة، البسملة، اليونسكو. يُنظر: البعلبكي، منير، معجم المصطلحات اللغوية، ص28، وينظر: الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، ص3-4، 43.

(6) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص151.

(7) المبخوت، شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص5، والنصّ لمحمد صلاح الدّين الشّريف عند تقديمه للكتاب.

وهو علاقة رابطة بين الدّليل والنّتيجة(1).

وبناء على كلِّ ما سلَف يعرّف **الباحث** الاستدلال التّداولي بأنه: "الاستخلاص الذي يجب على القارئ/ السامع القيام به؛ تأويلًا للمعنى الحرفي لما هو مكتوب، أو ممتكلَّم به؛ بُغية الوصول إلى قصديّة الكاتب/ المتكلم".

والأسئلة التي تتبادر إلى الذهن الآن هي: مَن الذي يقوم بعملية الاستدلال هذه؟ وعلام يعتمد؟ وما الهدف من هذا الاستدلال؟ وما معنى أن نستدل؟ وهل هناك تقسيمات للاستدلال التداولي؟ سواء أكان المرسل هو المستدِلّ(2) أم المستقبِل(3) فإن كليهما يَعتمد في عملية الاستدلال على: كفايته اللسانية(4)، والسياق الخارجي (المقام)، والمبادئ العامة للحوار(5)، التي هي: الكمّ، والكيف، والطريقة، والمناسبة(6)، والمحاكاة العقلية البسيطة(7)، والقواعد الخطابية(8)، التي هي: مبدأ

---

(1) ينظر: المبخوت، شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص14.

(2) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص132.

(3) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص410.

(4) سيأتي التعريف بها في هذه التوطئة.

(5) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص161.

(6) ستجد مطلبًا كاملًا عنها، بعنوان: الاستلزام الحواري في هذا الفصل.

(7) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص151، وينظر: ليش، جيفري، وتوماس، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضمن: الموسوعة اللغوية، جيني كولنج، أ. د. ن. ي، تر: محيي الدين حميدي، وعبد الله حميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، د. ط، 1990: م1/188.

(8) قواعد التخاطب، المُسلَّمات التحاورية، المُسلَّمات الخطّابية، حِكَم الحديث، مُسلَّمات الحديث، قوانين الخطاب، المبادئ التحاورية، مبادئ المحاورة، مُسلَّمات المحاورة، مُسلَّمات التواصل العادي، المبادئ الخطّابية، القواعد/المبادئ التحادثية، مُسلَّمات التحادث، مُسلَّمات التواصل السوي، وغيرها، كلّها مصطلحات بمعنى واحد، تعني: مجموعة القواعد التي يُفترض أن يقف عندها كل متكلم/ كاتب مع غيره، وهي قواعد متغيِّرة بتغير الثقافات، وتدخل ضمن مفهوم أشمل هو الكفاءة التداولية، ينظر: تمهيد هذا البحث، وينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص134، وينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص344-345، وينظر: مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص81-82، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص119-127، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص134.

التعاون بين المتحاورين، وقانون الإخبارية (إخبار المخاطَب)، وقانون الشمول (المعلومات الوافية)، وقانون الصدق (الحقيقة حسَبما يدركها الملقي في الواقع)، وقانون الإفادة (ماذا يستفيد المتلقي؟)، والملاءمة[1] (لكل مقام مقال، ولكل حادث حديث)، وقانون الاقتصاد (الإيجاز)، وقانون التلطيف (الليونة)، وقانون التسلسل (الترتيب)، والوَجاهة/ الحصافة، والتأدّب، والتواجه (المقابلة وجهًا لوجه، وما يلزمها من تقدير الغير)[2].

أما الهدف من عملية الاستدلال فهو التبليغ، والإقناع[3]، و"أن نستدِل" معناها: أن نحسِب وأن نستنتج؛ انطلاقا من المحتوى الحرْفي للملفوظ المستهدَف، عبْر التَّوفيق بين معلومات متغيِّرة، من داخل القول وخارجه؛ وبذلك نؤوّل، ونقف على ما نريد معرفته من دلالة[4].

ونتّجه الآن إلى الحديث عن التأويل التداولي

التأويل التداولي هو الأداة الثانية في عملية الفهم، وهي أداة قد نتّجه إليها مباشَرة بعد عملية الاستدلال للوصول إلى الفهم، وذلك إذا اعتمدنا قاعدة تقول: إن التأويل يتعلّق بالمعنى الظاهر والمضمَّن معًا[5]، اتّفاقًا مع تعريف التداولية القائل: إنها مُعالجة علاقة العلامات

---

(1) ينظر: عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص70-74، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص119-127.

(2) ينظر: مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص81-82، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص119-127.

(3) ينظر: عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص400.

(4) ينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستتين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص153، وينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص46.

(5) ينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضِمن: التداوليات، ص224-226، وقد خصّص الباحث المبحث الثالث من هذا الفصل للحديث عن متضمَّنات القول يمكن الرجوع إليه.

بمؤوِّليها[1]، أونتحوّل إليها(عملية التأويل التداولي) فقط عند فشل عملية الاستدلال، ومعنى التأويل هنا يتعلَّق بالمضمَّن فقط[2]؛ اتفاقًا مع المنهجيّة الخاصّة بمُساءلة التأويلات المنبَثِقة عن الملفوظ، التي لم يصرَّح بها حرفيًّا، أي: ما يَدخل في متضمَّنات القول لا غير[3]. والباحث مع هذين الخيارَيْن عند التداوليين يتجّه الاتّجاهيْن مُجبَرًا؛ وذلك بناء على ما يرد في كلّ قضيّة تداولية يتناولها بالتطبيق، خاصّة أن الهدف الأساسي للباحث هو التطبيق المباشِر، وكشف المقاصد التداولية عند الكوني في رباعيّته، لا التمحيص في المفاهيم، ولا تأصيل النظرية، ولا نقدها إلّا مضطَرًّا.

وقبل أن أبدأ بالحديث عن مبادئ التأويل التداولي وكشْفها من خلال رباعية الكوني هذا تنظير عن **ماهية التأويل التداولي**.

فبعد أن يبنيَ الملقي رسالته على المستويين السطحي (أصوات، وصيغ، وتراكيب، ودلالات)، والعميق (القصد، والهدف) يأتي دور المتلقّي في عملية فهم معنى المعنى[4]؛ فيقوم

---

(1) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص26، 28.

(2) ينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضِمن: التداوليات، ص224-226.

(3) ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص7.

(4) إذن مفهوم معنى المعنى= إعادة التأويل؛ ولأن معنى المعنى هو"دلالة الثّاني على الأول على سبيل الالتزام"، ينظر: المبخوت، شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص6، 41، وهو عملية يقوم بها المتلقّي، مُعتمِدًا على مقصديّة المُلقي، وَفق مُقدِّمات ومُدخلات ومُخرَجاتٍ في المقام؛ لأنه كذلك، إذن هو عملية استدلالية تداولية. ينظر: الحباشة، صابر، تلوين الخطاب الأبعاد التداولية في شروح التلخيص (نموذج طريقة الدسوقي في الشرح)، مجلة كتابات معاصرة، د م ب ع ط،2003، ص68-69، والجدير بالملاحظة في هذا الموْضع أن التداوليين يُطلقون على معنى المعنى عدّة تسميات، هي: المعنى غير الطبيعي، والمعنى غير الحرفي، ومعنى ملفوظ المتكلِّم، والمعنى المستلزَم، ومعنى المتكلِّم، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51، وينظر: الشهري، عبدالهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص116، 380.

بعملية فكّ الترميز[1]، لاسيّما إعادة بناء المفردة، أو الجملة، أو النص، أوفكّ ترميز ما يكون مُضمَرًا. هذه الشبكة المعقَّدة الآنية، في مضمونها توسَم بـ: "التأويل التداولي"[2] Pragmatic Interpretation.

وقبل أن نغوص في أعماق تلكم العملية لعلّ ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة سؤال يقول: ما الفيْصل بين التفسير والتأويل؟

التفسير هو ترجيح المراد من اللّفظ، بدليل كذا وكذا، وهو عملية نقليّة، تُبقي الكلام على أصله، وتكتفي بمجرّد إظهار المعنى الخفيّ، وحلّ شفرة الملفوظ[3]، أو معرفة سَنَنه[4]، وآلياتُها صوتيّة، وصرفيّة، ونحويّة، ومُعجميّة، لها طابَع المواضَعة،

واليقين، والمؤسّساتية، وهي خارج ذات المفسِّر[5].

---

(1) الترميز Encoding هو تحويل المفاهيم والمعاني إلى رموز صوتية، أو كتابية. ينظر: الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، ص36.

(2) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص283، 288، 290، وينظر: علوي، عبد السلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص203، وينظر: دلكي، خالد حسين،2011، البعد البراغماتي لنظرية تحليل الخطاب" التخاطب في القصص القرآني أنموذجا" (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص116.

(3) الشفرة مصطلح لساني، يَعني نظام تبليغ موضوع ما عبر شكل معين، وهي أنواع: شفرة بناء الحبكة، وشفرة التفسير، وشفرة الشخصيات، وشفرة الرمزية، وشفرة الإحالة. ينظر: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جدارا، عمان، الأردن، جدارا، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص121.

(4) السَّنَن هي الطرق المتعارَفة المشهورة بين أهل اللغة الواحدة في العُرف، والعادات الكلامية، حيث يعمدون إلى اتّباعها، وعدم التمرّد عليها، كأسلوب الحذف والذكر. ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب، 922/2-923. أما في ما يخصّ ضبْط المصطلح "السنن" بفتح السين فهو ضبْط وجدتُّه عند مقبول. ينظر: مقبول، إدريس، الأفق التداولي، ص25. والمعروف أن اللّغويين القدامى استخدموه أيضًا بفتح السين في كتبهم وهم يقولون: "وسَنَن العرب في كلامها" .

(5) ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص129-132.

أما التأويل فهو ترجيح أحد الاحتمالات من دون قطع، وهو عملية استنباطية، تنقل الملفوظ عن موضعه، وآلياتُها آليات المفسِّر، وآليات أخرى هي استدلالية، وموسوعية، وتداولية، وتقوم ذات المؤوِّل، وآراؤه الخاصة، ومعرفته الموسوعية، وقدراته الخارج لسانية[1] بدور هام فيها[2]. أما الغاية من الترجيح ككل فهو إدراك القصد الحقيقي من الملفوظ[3].

يقول أستاذنا استيتية: "فالتفسير هو إظهار دلالات النص، بما تقتضيه ألفاظها، دون وجود عوامل تخفيها عن المفسّر. فهو بذلك يظهر المعنى المباشر Denotation، في حين أن التأويل إنما هو إظهار للإيحاءات Connotations التي يتضمّنها النص أو الرسالة"[4].

عملية التأويل التداولي تعني باختصار: أن نطبّق كفاءاتنا[5] التأويلية[6] المتنوّعة، على

---

(1) القرائن الحالية هي المقام، خاصّة الكينزيك (التواصل الجسدي)، والبروكسيميك (الفضاءان الزماني، والمكاني). ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص109–119.

(2) ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي –التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضِمن: التداوليات، ص129–132، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص109–119.

(3) ينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص215–219، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص109–119، وقد اختلف التداوليون في انتماء القدرة الخارج لسانية، هل هي ضمن الكفاءة اللسانية، أم الكفاءة التداولية؟ ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص284، الهامش، وينظر: علوي، عبد السلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضِمن: التداوليات، ص215–219، وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي –التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضِمن: التداوليات، ص129–132.

(4) استيتية، سمير، اللسانيات، ص714.

(5) يُعرف مصطلح "الكفاءة" بعدّة مرادفات مُصطلحية أخرى، هي: مصطلح "القدرة"، ينظر: نعوم، تشومسكي، البنى النحوية، تر: عزيز، يوئيل يوسف، والماشطة، مجيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص5، وينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص36، وينظر: المتوكل، أحمد، الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص19، وبمصطلح "الكفاية". ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي –التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص160، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص121، وبمصطلح "المَلَكة". ينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص36–37، وبمصطلح "الطاقة". ينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص36.

(6) ينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص216، 220.

مختلف العناصر الدّالّة (الكلمات) في المتوالية اللغوية (= المتتالية/ الجملة)، أو المتتالية الجُمليّة (النص)[1]؛ حتى نستخرج مكنوناتها، ونُجوِّزَ (من الجائزة) معانيَها الحقيقية[2].

تلك الكفاءات التأويلية هي:

- **الكفاءة الموسوعية/ الثقافية/ الأيدلوجية**، تُحدُّ بأنها: القدرة على توظيف المخزون المعرفي السابق الذي استقاه المستدِل من خبرته الفردية، أو من خلال مشاركته مع المجموعة الإنسانية[3]؛ وبذلك تكون الكفاءة الموسوعية شاملة لمعارف ثلاثة هي: المعرفة المُسبَقة[4]، والمعرفة المُشترَكة مع أطراف المجتمع، والمعرفة الموسوعيّة[5].
- **الكفاءة اللغوية/ اللِّسانيّة** Linguistic Competence، تُفهَم على أنها: المعرفة الكامنة بالمستويات الأربعة للغة[6]: الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة[7]، وكذلك معرفة الدّوال السياقية الحالية النصية، التي هي مكونات المقام، وهى كثيرة يصعب إحصاؤها، لكنها في مُجمَلها لا تخرج عن المعرفة المكتسَبة ومقام التلفّظ، خاصة: المواجهة بين الطرفين، وجهًا لوجه مع شخوص البصر، والمسافة المكانية بينهما، وانطباعنا حول محيطنا التخاطبي،

(1) ينظر: تشومسكي، نعوم، البنى النحوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1987، ص158،117،17، وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص20.

(2) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص283، وينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص223.

(3) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص284–285، وينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص218، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص126.

(4) وتُعرَف أيضًا بالمعرفة الخلفية والافتراض المُسبَق، وهي الخاصّة بحدث مُعيَّن. ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص373، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص61، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30–32، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص126–127.

(5) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص284–285، وينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص218، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص126.

(6) ينظر: علي، محمد محمد يونس، وصف اللغة العربية دلاليا، ص127.

(7) ينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص216.

وتأثير محيطنا فينا[1]، وأيضًا معرفة الدّوالّ النصية، سواء كانت صيغًا صرفية دالّة، كأسلوب الطلب (افعل)، وأسلوب التعجب...، أو كانت تراكيب نحوية، أو مفردات معجمية، أو أدوات رابطة، أو قرائن شبه لسانية/ نطقية/ لفظية (= الموازية لسانيًّا)، التي هي الصور الصوتية، والكتابية، والحركية، التي تصاحب الكلام الشفوي/ المدوَّن عادة)[2]، كالنبر Stress، ويعرف بأنه: الضغط الصوتي على مقطع معين[3]، والتنغيم Intonation، الذي يُحدّ بالنُّطقات المختلفة للجملة، التي معها يتغيّر معناها[4]، والإيقاع Rhythm: تَتَالٍ متناغم للأصوات اللغوية في تركيب ما[5]، والضحك، والنحيب، والإيماءات، وعلامات الترقيم[6]، وأخيرًا معرفة الدوال الهامشية النصية[7]، وهي ما يتعلق بهامش النص أو هوامشه، بمعنى: ما يتعلّق بكلّ ما يمكن الاستغناء عنه في موضوع النصّ؛ أي: الاستطرادات[8].

---

(1) ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص149-150.

(2) ينظر: مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص93. وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي -التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص149-150.

(3) ينظر: الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص246.

(4) ينظر: نفسه، ص252-255.

(5) ينظر: مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص255، أو هو التنوع في الألفاظ أو المقاطع في النص. ينظر: علي، عبد الصاحب مهدي، موسوعة مصطلحات الترجمة، ص213.

(6) في كل ما سبق ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي -التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص143، 147-157، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص125، وقد حرص الباحث على ذكر هذه الدّوالّ؛ لأن هناك من حصر عناية الكفاءة اللسانية على تلك الدّوالّ دون غيرها، ثم اعترف بعد هذا الحصر بشمولها لكل المستويات اللغوية عند تحليله لمفهوم "اللغة الفرنسية". ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص283-284.

(7) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص283-284.

(8) بحثتُ عن مصلح "العناصر الدالّة الهامشية" في المكتبتين الورقية والإلكترونية؛ لكن دون فائدة، وما كتبتُه في المتن عن توضيح مفهومها هو مفهوم من تصحيحٍ لمشرفي د. عمر عكاشة لهذه الأطروحة، واتصال هاتفي بأستاذ اللسانيات بجامعة اليرموك د سمير استيتية بتاريخ 2013/3/20؛ فجزاهما الله خيرًا!

- **الكفاءة الاستدلالية/ المنطقية**، حدُّها: القدرة على الاستدلال (=الإتيان بالدليل[1])، بمعنى القدرة على إجراء الاستدلال و التأويل؛ للربط بين ما يَعرضه الملقي/ المرسِل، وبين ما توفّر لدينا؛ نتيجة الكفاءة اللسانية، والملاءمة (الكفاءة التداولية)؛ من أجل الوصول إلى المعنى المستهدَف[2].
- **الكفاءة التداولية/البلاغية/التخاطبية**[3] Pragmatic Competence، وهي تعني امتلاك معارف واقع التخاطب وملابساته، ومعارف واقع التجربة الإنسانية، وهي بذلك تعتمد على الكفاءة السياقية الحالية، والكفاءة الموسوعية[4]، كما أنها تعني القدرة على توظيف الأفعال الكلامية[5]، ومجموعة قوانين الخطاب، التي ينبغي أن يقف عندها كلّ مخاطِب مع غيره، وهي لاحصر لها؛ لكن أهمّها: مبادئ غرايس: الكمّ (الإيجاز في الحديث)، والكيف (مصداقية الحديث)، والطريقة (لا غموض ولا لَبس)، والمناسَبة (علاقة الحديث بما قبله وبما بعده)[6]، وقانون الإخبارية الذي يعني تقديم الجديد للمتلقّي، وقانون الشمول، ويُقصَد به: أن يكون الخبركاملًا وافيًا، وقاعدة التخيير، أي: جعل المتلقي يختار بنفسه، وقاعدة التعفّف، وتُعرَف بألّا تفرض نفسك على الآخرين، وقاعدة التودّد بمعنى إظهار الودّ للمتلقّي، ومبدأ التواجه (المقابَلة وجها لوجه)، ومبدأ التصديق ويوسَم بأنه انطباق القول مع

---

(1) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص130، 132.

(2) ينظر: علوي، عبد السلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص219-220.

(3) في هذه المترادفات المصطلحية، ومفهوماتها، ينظر:علي، محمد محمد يونس، وصف اللغة العربية دلاليا، ص127، وينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص344-345، وينظر: علوي، عبد السلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص217-218، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص134، وقد سبق الحديث عن الكفاءة التداولية، في تمهيد هذا البحث.

(4) ينظر: علوي، عبد السلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص217-218.

(5) ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي –التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص162، وقد خصّص الباحث الفصل الثالث كلّه لهذه الأفعال.

(6) ينظر: إسماعيل، صلاح، نظرية المعنى في فلسفة جول جرايس، ص86-88.

العمل، ومبدأ التأدّب الأقصى، ويُضبط بأنه استخدام الكلام المؤدَّب، وقوانين أخرى تُغني عنها مبادئ غرايس، هي: الإفادة، والاقتصاد، والتلطيف، والتسلسل، والملاءمة، والتأدّب، والصدق[1].

- **الكفاءة التواصلية/ التبليغية/ الأدائية**[2]، ومفهومها: الكفاءة اللغوية في مستوياتها الأربعة، مُضافًا إليها مجموعة من الكفاءات الصغرى غير اللِّسانية، التي منها: الكفاءة المنطقية التي سبق التعريف بها أعلاه، والكفاءة المعرفية التي هي المخزون الثقافي، والكفاءة الإدراكية التي هي إدراك ما يدور من حولنا، والكفاءة الاجتماعية التي هي مفهوم الكلام في المجتمع، والكفاءة الإبداعية المتمثِّلة في القدرة على الإبداع. تلك الكفاءات جميعًا تُمكّن مستعملي اللغة الطبيعية (= العادية/الحياة اليومية) من التواصل فيما بينهم[3].

---

(1) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص344–414، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص120–127.

(2) ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي –التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص162.

(3) ينظر: المتوكل، أحمد، الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص19–21. والجدير بالملاحظة أن هناك تذبذبًا واضحًا في تصنيف الكفاءات لدى التداوليين، فهذه أوركيوني تُدرج الكفاءة التواصلية ضمن الكفاءة التداولية البلاغية؛ لكنها لاتضمّ تحتها الكفاءات الفرعية (الصغرى). ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص344–452، وهذا سيمون ديك، وصحراوي، يُفردان الكفاءة التواصلية بشكل مستقل، ويضمّان إليها تلك الكفاءات الفرعية؛ لكن دون القواعد التداولية (مبادئ الخطاب). ينظر: صحراوي، مسعود، في الجهاز =المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن: التداوليات، ص27–28، وهذا المتوكل يجعل القدرة التواصلية قدرة شاملة، تحتوي القدرتين اللغوية والتداولية، ويضم إليها الكفاءات الفرعية. ينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص35–37، وينظر: المتوكل، أحمد، الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص19–20، وهذا علوي يجعل الكفاءة التداولية مستقلة؛ لكن يضمّ تحتها ما يسمّيه "كفاءة سياقية حالية"، والكفاءة الموسوعية، ولا يذكر ضِمنها القواعد التداولية. ينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص217–218، وهذا بدوح يجعل الكفاءة التواصلية شاملة للكفاءتين اللغوية والتداولية بشكل غير صريح، وفي الوقت نفسه تجده يُفرد الكفاءتين التداولية والتواصلية بشكل مستقل، ويضمّ الكفاءات الفرعية إلى الكفاءة التواصلية. ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص121–123، 134–135، وخروجًا

وبعد أنّ تمّ لنا جَرد كفاءات المتلقي المؤوِّل، علينا ألّا ننسى أن هذه الكفاءات هي مطلوبة من الملقي كذلك؛ كي يتمكّن من إنتاج كلامه[1]، كما أن علينا أن نعي:

- أن علاقة التأويل بعملية الفهم تتركّز في أن التأويل هو إرجاع الرسالة اللغوية/ الكلامية إلى دائرة الفهم[2]؛ لأنّك تؤوِّل فتفهم.
- وأنّ ما يؤكد ارتباط التأويل بالتداولية، وأهميته لها هو تعريفها العام بأنها: اتجاه لساني، يَدرُس علاقة العلامات بمستعمليها المؤوِّلين لها[3].

وعليه، يمكن لنا أن ندّعي أن عبارة : "تأويل في تأويل"، هي مُلخّص أيِّ تداولية، وفي مقدّمتها التداولية اللغوية؛ إذ تجد أحدنا يُلقِي، أو يكتب أمام مؤوِّل، وتكون مهمة الأخير تأويل ما سَمع أو قَرأ.

وهنا يقتحم حديثنا سؤال يطرح نفسه هو: متى نؤوِّل تداوليًّا؟

يقول التداوليون: نظريًّا، نُضطر إلى التأويل في المسموع/ المكتوب، المحتاج في كشف معناه إلى دليل، أما عمليًّا فإن المتلقي يلجأ إلى تأويل ما يسمعه/ يقرؤه لأسباب ترجع إلى طبيعة الألسنة عينها، ولأسباب ترجع إلى تصرّف المتكلم/ الكاتب في نصه، ولأسباب ترجع إلى رغبة

=من هذا الإشكال يختار الباحث استقلالية الكفاءات (التواصلية، والتداولية، والموسوعية)؛ حتى نعرف متى نوظّف هذه، أوتلك بشكل مستقل وأوضح.

(1) ينظر: علوي، عبدالسلام إسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن: التداوليات، ص224.

(2) ينظر: استيتية، سمير، اللسانيات، ص714.

(3) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضمن أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، د م، تونس، د. ط، 1986، ص99.

المتلقي في إدراك القصد الحقيقي من النص(1)... وتبقى الغاية الرئيسة لعملية التأويل التداولي برُمَّتها هي إدراك القصد الحقيقي من الخطاب، لا الاكتفاء بحلّ شفرته، أو سَنَنَه(2).

بعد تلك التوطئة، والحديث فيها عن ماهية الاستدلال والتأويل التداوليين، ألج خطة هذا الفصل، في إطار مباحث ثلاثة هي: مبادئ/ أدوات الاستدلال والتأويل، وأنواع (وظائف) الاستدلال التداولي Pragmatic Inference، ومتضمَّنات القول التداولية، أبدأها بأدوات الاستدلال والتأويل التداوليين.

المبحث الأوّل: أدوات/مبادئ الاستدلال والتأويل التداوليين(3)

من خلال أدوات الاستدلال والتأويل –التي سنأتيها توًّا– نفهم أن كل ما يقع حوْلنا من مقروء، أو مسموع، من قريب، أو بعيد، نعتمد في فهمه –إلى حدّ كبير– على الجملة الأولى

(1) ينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي –التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص136.

(2) ينظر: الحباشة، صابر، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب، دار زهران، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص29، وينظر: مقبول، إدريس، الأفق التداولي، ص25.

(3) هاته المبادئ تناولها اللّسانيون تحت عنوان"مبادئ التماسك المعنوي للخطاب"، و"مبادئ الانسجام". ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص108، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 158/1؛ وحيث إن الباحث رأى أن العنوانيْن يَمُسّان علم النص أكثر من التداولية؛ فقد اختار عنوان "مبادئ الاستدلال والتأويل"؛ وذلك بناء على أن ثلاثتها ممارسات استدلالية كما سيأتينا لاحقًا عند الشرح والتحليل، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 176/1، وينظر: عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير، ص99، كما أنها تمسّ التأويل بشكل مباشر. تأمّل عبارة لخطّابي، يقصد بها التغريض. يقول فيها:"بناء على أن ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه"، وعبارة للشاوش يقول فيها: "فالأول[التأويل المحلّي] يتعلّق بوجه من وجوه ظاهرة التأويل والفهم ذاتها، أمّا الثاني[التشابه] فيتعلّق بإحدى الطرق التي يتحقّق بها". وكان من الممكن عنوْنة تلك المبادئ بـ"مبادئ الفهم"؛ بناء على عبارةِ لبراون ويول، يقولان فيها:"لابدّ من توفر مبادئ للفهم لدى السامع [...] وسنسمي أحد المبادئ [...]"مبدأ الفهم المحلي"". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص96، وعبارة أخرى هي: "يمثل مبدأ القياس إحدى الأدوات الأساسية التي تمكن السامعين والمحلّلين من تحديد فهمهم داخل السياق" براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص105؛ لكن ما وجدتُّه أن التحليل في هذه المبادئ منصبٌّ على الاستدلال والتأويل في عمقه بدءًا ثُمّ الفهم؛ لذا رشّحتُ عنواني فوقُ.

(التَّيْمة[1]) المُلقاة، التي لابدّ من أن يكون لها ارتباط ذهنيٌّ بما عهدناه في السابق، ولو بصورة تقريبية(التغريض)؛ حتى نقارن بينها و بين ما سمعناه أو قرأناه سلَفًا؛ فندشّن تأويلنا لها من واقع تجارب سابقة مشابِهة لها (القياس التداولي، التشابه)، ولا نُنشئ سياقًا أكبر ممّا نحتاجه فهْمًا[2] (الفهم المحلّي)؛ وإلّا استحال الفهم، أو وقعنا في تأويل خاطئ، احتجنا بعده إلى تأويل جديد، وفهم آخر، إذا ما أردنا الاستمرار في التواصل، وإلاّ أقفلنا.

ووفقًا لكلّ ما طرحتُه في الأسطر الفائتة لابد من توفّر مجموعة من المبادئ الفرعية الإفهامية للسامع/ للقارئ؛ تمكّنه من الوصول إلى فهم مناسب، ومعقول لأي ملفوظ يُلقى/ يُكتب أمامه، خاصة في حال استعماله في سياق خارجي خاصّ[3]. هذه المبادئ/ الأدوات الفرعية الإفهامية هي: التأويل المحلي، والقياس التداولي (التشابه)، والتغريض[4].

يحاول الباحث هنا رصد تلك المبادئ في رباعية الكوني، وبيان وظيفتها التداولية، كلٌّ على حدة، و يكون الاستهلال بمبدأ "الفهم المحلي" أو كما يُسمّى أحيانًا مبدأ "التأويل المحلّي".

المطلب الأول: التأويل (الفهم) المحلي:

---

(1) يُنبّه الباحث إلى أن مُصطلَح "تيْمة" مُستقى من خطّابي. ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص59-60. وقدأوضح الشاوش كيفيّة سكّ هذا المصطلَح "تيمة"، بأنه مصوغ من طريق التعريب. يقول الشاوش: "فكأنّك بالمسألة [التغريض] قد بنيت على الانتقال من التّقابل بين الموضوع theme (وقد عرّبه خطّابي بـ"تيمة") والمحمول rheme (وهما مكوّنا القضيّة بمعناهما المنطقي ويجريان في مستوى القضيّة الواحدة) إلى مستوى نصّ الخطاب". ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 174/1. أما ضبط المصطلَح فقد أخذه الباحث من ترجمة للبكوش والماجري، يقولان فيها:"يعرّف التّيْم (التَّيْم أو "الصّدر") عادة بالمقابلة مع الرّيْم (أو"العَقْب") بصفته"ما يُتحدّث عنه"". مارتان، روبير، في سبيل منطق للمعنى، تر: البكوش، الطيب، والماجري، صالح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص302.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص99-100، 108، 368، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص57، 59، وينظر: أبو خرمة، عمر، نحو النص، ص90-97.

(3) ينظر: براون، جوليان، ويول، جورج ، تحليل الخطاب، ص96.

(4) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص95-112، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص56-61، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 167/1-175.

التأويل المحلّي، مبدأ من مبادئ الفهم التداولي المناسب، ويعرَّف بأنه: "الالتزام بدوائر النص المعطاة، دون تعسّف في التأويل، وليّ عنق النص، باحتمال المعنى البعيد، عند وجود معنى أقرب، يمكن التدليل عليه، من النص مباشرة"[1]، بمعنى أنه: تقييد تأويل النص بما ورد فيه من معلومات، واستغلال المؤوِّل لمعرفته السابقة، وخبراته المكتسَبة، عن طبيعة النصوص، وتشكّل المواقف[2].

بعد معرفة ما تعنيه أداة التأويل المحلّي تنظيرًا؛ ولتوضيحها عمليًّا، خطوة خطوة، نتّوجه إلى التطبيق مباشرة مع هذا المقطع من رباعية الكوني:

"- **احتلوا ونزريك وأقاموا فيها معسكرًا للاعتقال.أعطوا الحرية للهجانة ليستبيحوا الصحراء ويطاردوا المجاهدين الذين هاموا على وجوههم وتاهوا بحثًا عن الماء والمأوى.**

هلك البعض عطشًا وجوعًا وَقَبَضَ رجال الهجانة الزنوج على أغلب الفارّين وأتوا بهم إلى المعتقلات. هل تدري ماذا فعل الطليان هناك، في معسكر ونزريك؟

طرد ذبابة كبيرة ملحاحة واستطرد:

- اختاروا ثلاثة أو أربعة من كل واحة وقطعوا رؤوسهم ورفعوها على حراب البنادق وفوق الدبابات ودخلوا بها الواحات كي يرهبوا الأهالي ويكسروا روح المقاومة"[3].

النص يحكي زيارة غوما -بعد إطلاق أسره- إلى العرّاف مهمّدو، وقد أخذ الأخير يسرد على غوما ما حدث في غيابه، من تمكّن الطليان من احتلال بعض مناطق ليبيا، ومقاومة الليبيين لهم.

---

(1) أبو خرمة، عمر، نحو النص، ص91.

(2) ينظر: نفسه.

(3) الخسوف: 96/3.

عندما يقوم أحدنا بالقراءة التداولية للنص/ الرسالة السابقة، مستنِدا إلى السياق الخارجي، خاصة الظروف التاريخية، والاجتماعية للأحداث فيها، سيَفهم من داخله، وسيؤوِّل النص/ الرسالة كالآتي: أن الذين أقاموا معسكرًا للاعتقال في ونزريك هم العسكريون أنفسهم من الإيطاليين، الذين أعطوا الحرية للهجّانة للاستباحة والمطاردة، وهم أنفسُهم الذين اختاروا ثلاثة أو أربعة من معتقلي كلِّ واحة لقطع رؤوسهم، ورفْعِها على الحراب، وفوق الدّبّابات، وليسوا عسكريين آخرين من الإيطاليين.

سيُفهم وِفق المعلومات الداخلية أيضا أن الذين هلكوا عَطَشًا وجوعًا –حسب تعبير الراوي– هم بعضٌ من المجاهدين، الذين طاردهم الهجانة سابقا؛ فهاموا على وجوههم، وتاهوا؛ بحثا عن الماء والمأوى، وليسوا مجاهدين آخرين.

تداوليًّا أيضا –وفي إطار المعلومات الداخلية للنص– سنَفهم أيضا أن الفارّين، والذين أتى بهم الهجانة إلى المعتقلات هم بعضٌ من المجاهدين أنفسِهم الذين طاردهم الهجانة سابقا.

سنؤوِّل أيضا وسنَفهم بوساطة المعلومات الداخلية المُعطاة أن الذين اختاروا ثلاثة أو أربعة من كل واحة، وقاموا بقطع الرؤوس، ورفْعِها على الحراب، وفوق الدبابات، وأدخلوها الواحات هم الإيطاليون أنفسهم الذين احتلوا ونزريك، وأقاموا معسكرا فيه، وأعطوا الحرية للهجّانة للقيام بتلك الأعمال الشنيعة.

سنؤوِّل أيضا، أن الثلاثة، أو الأربعة المختارين، والذين قطعت رؤوسهم، ورُفِعت على الحراب، وفوق الدبّابات، ودُخِل بها إلى الواحات هم بعضٌ من المجاهدين المعتقَلين في معسكر ونزريك، وليسوا مجاهدين آخرين.

أيضًا سنؤوّل أن الحراب هي حراب الإيطاليين أنفسِهم المعسكِرين في معسكر ونزريك، وأن الدبّابات دبّاباتهم هم أنفسُهم، لاعَتَادَ إيطاليين آخرين[1].

تواصلًا مع تداولية النص سنؤوِّل أن الذين استُهدِف إرهابهم عندما عرض الإيطاليون مشهد الرؤوس المقطَّعة. المستهدَفون والمرهَبون هؤلاء هم أهالي الواحات، وليسوا أهالي السهول، أو الساحل؛ لأن السياق اللغوي (الداخلي)، والخارجي التاريخي أفادانا بأن عَرْض قطعِ الرؤوس تَمّ أمام أهالي الواحات فقط، وليس أمام آخرين.

أيضًا المقاومة المُرادُ كسرُ روحها هي مقاومة أهالي الواحات، وليس غيرها؛ للتأويلات نفسِها أعلاه.

وفي هذه الأجواء التداولية يرد علينا سؤال مهمّ هو ما المانع من التأويلات المنفي فهمها (أعني قولي: ليسوا آخرين) في النص السابق؟ يجيب التداوليون بأن المانع من ذلك هو أن النص/ الرسالة لا يحمل أي قرينة يسند أي تأويل منفي، خاصة أن المعلومات الداخلية المُعطاة تجعلنا نستبعد التأويلات المنفية؛ لأنها غير منسجمة مع المعلومات الواردة في النص/ الرسالة[2].

وهكذا دواليك، سيقوم المؤوِّل –وفقا لمخزونه الثقافي، والفكري، والديني، والاجتماعي (السياق الخارجي)– بإنتاج نصوص تداولية أخرى في ذاكرته؛ حتى يؤوِّل المعلومات الداخلية المعطاة في النص/ الرسالة، ويتمكّن من فهم الرسالة/ النص طواعية، دون تكلّف مفروض من المتحدّث، ويتواصل مع الحدث؛ فيتعاون، ويتفاعل.

---

(1) يمكن استنتاج هذا التحليل بالرجوع إلى براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص96–97، وخطّابي، محمد، لسانيات النص، ص56–57.

(2) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص57.

كل هذا المفقود –في نظري– هو من جماليات التداولية اللغوية[1]، التي تُترك للقارئ/ السامع؛ حتى تصنع له عنصر المفاجأة، حيث يكون له ذلك الاستمتاع، وتلك اللّذّة، حالما يقوم هو بنفسه بربط سلسلة قصة الحدث، في حين أنه لو قام المتكلم بكل هذا –وهذا مستحيل؛ ولكن بجزء منه على الأقل– لأقفل السامع القارئ راجعا إلى حيث هو كائن؛ لأنه سيقف سلبيَّ الحالة لا دور له سوى دورِ المتفرِّج، وسنقضي أيامنا ونحن نستمع/ نقرأ إلى بعضنا بعضا لا غير.

هذا التأويل التداولي المتوافِق مع المعلومات الداخلية للنص، والذي من خلاله يتاح للمتلقي إنتاج نصوص أخرى في ذاكرته، وتكون مُهِمّتُها التداولية ُالتلاحمَ مع النص الواقعي، هذا التأويل هو ما يشكّل مفهوم مبدأ التأويل المحلّي.

ووفقًا لهذا المبدأ الفرعيّ فإن المتلقي مُسلِّم بعدم إنشاء أي سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معيّن لقول ما[2].

ومن ثَمّ فمفهوم هذا المبدأ بصريح العبارة هو: عدم حدوث أيّ تغيير جذريّ في ما هو معلوم عند المتلقي في بيئة الحدث[3].

وعليه، ندرك أنه لو تحصّل السامع/ القارئ على كمّ هائل من بيانات مبدأ الفهم المحلي لصار أكثر قدرة على فهم ما يريد، ووصف ما يريد... الإدراك نفسه ينطبق على مبدأ القياس التداولي[4] كما سأوضّحه في السطور الآتية.

المطلب الثاني: القياس التداولي(التشابه) pragmatic analogy

---

(1) ينظر: إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية، ص7.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص96.

(3) ينظر: نفسه، ص108.

(4) ينظر: نفسه، ص104.

تتّضح أهمية التجارب السابقة في أنها تُعطي خبرة الحياة من خلال متشابهات، قد نمر بمثيلاتها، ومن ثمّ نستطيع مقارنة الجديد بالقديم، وتوظيف مفهوم التعميم على ما نمرّ به(1).

هذه المقارَنة المعتمِدة على المتشابِهات وخبرة التجارب السابقة في تأويل ما يدور من حولنا، وفهمه بشكل صحيح، هي ما يُطلَق عليه "مبدأ القياس التداولي" أو "مبدأ التشابه".

وإذ إنني لم أجد تعريفًا صريحًا واضحًا لأداة الاستدلال والتأويل والفهم هذه (القياس التداولي) إلّا عند عشير؛ فإنني أسوق تعريفه، الذي يقول فيه بأنه: "ممارسة استدلالية [وتأويلية](2) استكشافية للمعرفة، تجعلنا ننتقل من حكم إلى آخر، كقياس مفرد على مفرد أو حدث على حدث أو بنية على بنية"(3).

ويجتهد الباحثُ تعريفَه للقياس التداولي؛ بناء على تعريف عشير وغيره؛ فيعرِّفه على أنه: أداة استدلالية وتأويلية، يقوم بها الملقي أو المتلقّي(4)، تتمثّل في مقارَنة شيء حاليٍّ بشيء سابق، مُستفادة من خبرة سابقة؛ تعطينا نتيجة عملية تداولية وَفق مُقتضى الحال، وتمنحنا التوقّع، ولا توقعنا في الفِجاءة(5).

---

(1) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص57، وعن مفهوم التعميم يقول براون ويول: "أن الشخص يعمم [يطلق الحُكم نفسه على جميع ما يمر به من متماثلات] انطلاقا من تجارب خاصة يستخلص منها أنماطا من التجربة". براون ، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص100.

(2) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص58.

(3) عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 2006، ص99.

(4) يقول براون ويول: "يمثل مبدأ القياس أحدى [إحدى] الأدوات الأساسية التي تمكن السامعين والمحللين من تحديد فهمهم داخل السياق". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص105، ويقول عشير: "يستحضر فيه [القياس التداولي] سياقا تداوليا سابقا ويتخير نموذجا واقعيا، ثم يقيس ماهو بسبيله من إثبات صحة، أو تحقيق فرضية". عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، ص100.

(5) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص58، وينظر: عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص98، 111-112، وينظر: أبو خرمة، نحو النص، ص 92، وينظر: عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، ص99.

إذن القياس التداولي يعني باختصار: "أن تكون الأشياء عادة كما كانت في السابق"[(1)]؛ وليتضح البيان أكثر إليك مشهدًا من رباعية الكوني، على لسان بطل الرواية "غوما"، وهو يطعن في شاي شباب معركة غات، محدِّثا صديقه آهر، طالبًا منه إعداد الشاي الأخضر له. يقول غوما: "**صدقني صناعة الشاي الأخضر مثل طقوس العشق تحتاج إلى الصبر والإتقان**"[(2)].

من المتوقّع أن المتلقّي فور سماعه لنص الكوني أعلاه؛ وحتى يفهمه، لا بدّ من أنه سيوظِّف الأداة الاستدلالية التأويلية (القياس التداولي)، التي من المتوقَّع أيضًا أن تكون عناصرها عنده كالآتي:

صناعة الشاي الأخضر هي المَقيس، والمَقيس عليه: طقوس العشق، أما مقدِّمات هذا الاستدلال فهي: أداة التشبيه"مثل"، ووجه الشبه بعبارة البلاغيين/ البؤرة بِلُغَة التداوليين[(3)] "تحتاج إلى الصبر والإتقان"، بينما يبقى استخلاص النتيجة (أو المدلول) موقوفًا على المجال التداولي؛ فتكون النتيجة فيما يخصّ شاهدنا هي: اصنع كل شيء بصبر وإتقان، وهي القيمة العملية، المعتمِدة على مقتضى الحال الاجتماعية، المترتِّبة على هذا الربط القياسي الذي يؤسِّسه الكوني؛ ثمّ يتلقّفها المتلقّي؛ حتى يَفك بها شفرة ملفوظ الكوني[(4)].

---

(1) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص108.

(2) الخسوف: 107/1.

(3) على اعتبار أن وجه الشبه هو المعلومة الأكثر أهمية، أو المعلومة المجهولة؛ ذلك أن البؤرة إحدى الوظائف التداولية الخمسة (المبتدأ: المكوَّن المحدِّد لمجال تَخاطُبِ ما بعده، الذيل: الحامل للمعلومة الموضِّحة أو المعدِّلة أو المصحِّحة، المحور: المحدَّث عنه، المنادى: المكون الدالّ على المنادى)، المعروفة بأنها العلاقات المحدِّدة للعلاقات القائمة بين مكونات الجملة بالنظر إلى وضع التخابر "المعرفة المشتركة" بين المنتِج والمرسَل إليه في طبقة مقامية معينة... البؤرة يمثِّلها المكوِّن الحامل للمعلومة المجهولة، أو المتوقّع إنكارها، أو المتردَّد فيها، أو المشّكوك فيها، أو الأكثر أهمية، أو الأكثر بروزا في الجملة. ينظر: المتوكل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص28-147، وينظر: أوشان، علي آيت، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، دارالثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص145-147، 176.

(4) ينظر: عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص98، 111-112.

وصولًا إلى الفهم الصحيح –كما يقول التداوليون– سيقوم المتلقّي لرسالة الكوني في النص أعلاه باستخدام الأداة الاستدلالية التأويلية "القياس التداولي"؛ فيربط بين صناعة الشاي الأخضر وطقوس العشق، على أساس جملة من الخصائص المشترَكة بينهما[1]، هي كونهما لا يُحقَّقان، ولا يَكتملان، ولا يُستلذّان إلا بالصبر والإتقان... بالمثابرة والإخلاص.

إذن ذهن المتلقّي لنص الكونى أعلاه هو ما سيكون مسرحًا لتلك العملية التأويلية (الربط)؛ إذ سيقوم عقله الباطني بالربط، وبالمقارنة، و بالقياس؛ نتيجة مروره بالخبرة السابقة، التي استفاد منها في التعميم على أيّ مُشابِه، وفي فرز الثابت من المتغيّر، وصولًا إلى الخصائص المميِّزة لأيّ تلفّظ، ووصولًا إلى التأويل الصحيح لتلفّظ الكوني الخاصّ هذا[2].

وتفصيلًا لكل ماسبق، نقول: إنه لكي يفهم القارئ نص الكوني فوقُ عليه أن يقوم بعملية قياس تداولي هي قياس الشاهد"صناعة الشاي الأخضر على الغائب "طقوس العشق"، ويساعده الكوني في ذلك؛ فيستحضر سياقًا تداوليًّا سابقًا، يقع فيه توظيف المقام، والكفاءة الموسوعية والخبرة المعرفية المسبَقة في المقارَنة وكيفية الاستدلال، كما يتخيّرَ الكوني أُنموذجًا واقعيًّا هو مشابَهة صنع الشاي لطقوس العشق، ثم يقيس ما هو بسبيله من إثبات صحة احتياج كليهما إلى المكابَدة والتأنّي[3]. ومن خلال توظيف مبدأ القياس التداولي، وآلة التشبيه هذه[4]، نفهم –تداوليًّا– أن الكوني كان يقصد من وراء ذلك كله إقناع القارئ/ السامع بما استنطق به شخصيّته[5].

---

(1) ينظر: نفسه، ص98.

(2) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص58.

(3)ينظر: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص188–189، وينظر: عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير، ص100.

(4)ينظر: عبدالرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص107، والشيء نفسه يُقال عند عقد المقارنة، أو استخدام الاستعارة، أو الأنموذجات، أو الصور. ينظر: عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير، ص100.

(5) ينظر: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص188–189، وينظر: عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير، ص100–101.

من خلال تلكم الجولة التطبيقية نستنبط أنه لم يكن قصد الكوني من استعمال القياس التداولي حمل الخبر ونقله لنا نقلًا مستقلًّا، وإنما القصدية تظهر في أنه أراد حمْلنا على الاستفادة من القياس استفادة سلوكيّة معيَّنة؛ بحيث يتمّ تغيير المحيط التداولي وَفْق مُقتضى الحال من الامتناع، والإحجام إلى الإعداد، والتحضير، والصناعة. يقول طه عبدالرحمن: "للقياس وظيفة عملية تجعل منه مصدرًا لقواعد تقييمية تُحَدِّد للناطقين العاملين أنماط السلوك التي ينبغي اتباعها حسب مقتضى الحال"(1).

ذلك التغيير العملي التداولي ينبغي أن يتِمّ عن طريق الإقناع ليس غيرُ(2). يقول عشير: "لأنه [القياس التداولي] يشتمل على عنصر القيمة الفكرية التي ترتبط بتغيير المجال التداولي للفرد عن طريق الإقناع، بمضمون القول عملا به أو كفا عنه"(3).

وقد كان الكوني موفّقًا في آلية الإقناع، بدليل دالّة "صدقني" المصاحِبة لنصّ القياس التداولي، والمتصدِّرة لتلك الرسالة النصية الغوميّة (نسبة إلى غوما)، أعني النصّ المستشهَد به أعلاه.

ومن كل ما سبق لا يَخفى على أحد دور السياقيْن الداخلي بدوالّه اللسانية (الكلمات)، والخارجي بمراعاة مُقتضى الحال في نقل رسالة الكوني المقارنِة، التي استنطق بها شخصيّة بطل روايته (غوما).

وأخيرًا يمكن لنا أن نلتفت التفاتة واقعية؛ فنجد أن مبدأ القياس التداولي يَعتمد على الخبرة التي صوّرها المثل الشعبي العربي في العاميّة اللّيبيّة، القائل:"اللي سابقك بليلهْ غالبك بحيلهْ"، كما

---

(1) عبدالرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص113.

(2) ينظر: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص111. وينظر: عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير، ص101.

(3) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير، ص101.

أنه يتداخل كثيرا مع ما يُعرف في حياتنا العادية اليوم بـ "الرّوتين"؛ إذ إننا نمارس ما نتعوّد عليه في صورة مُتشابِهات (ما يُشبه بعضه بعضًا)؛ حتى إنك تجدنا عند ممارسة العمل نفسه بشكل متكرِّر، نقول باللّهجة اللِّيبيّة: هداك العمل صار "عادهْ يوميهْ"، "روتينْ" خلاص! أما ما نتحصّل عليه من إجراء تلك المتشابهِات فهو الرصيد المعرفي، الذي نوظِّف فيه آلة القياس في زمكان آخر؛ ومن ثَمّ تكون لديْنا قدرة التوقّع في حياتنا، ويقلّ عنصر المَفْجأة فيها؛ لأننا بفعل هذه التجارب السابقة مَلَكنا الخبرة، أو قُل – بتعبير التداوليين–: مَلَكنا مبدأ المشابَهة.

بعد ذاك الشاهد... هذا شاهد آخر من رباعية الكوني، نثبِّت به ماسلَف من تنظير وتطبيق حول أداة الاستدلال والتأويل "القياس التداولي" ومُحيطها التداولي. نصّ الشاهد هو:

"**قال آيس وهومنطرح على بطنه في مواجهة زارا التي ارتدت ثوبًا ورديًا ووضعت على رأسها طرحة زرقاء قاتمة منشغلة في رتق ثوب وضعته في حجرها:**

– سوف أتزوج باتا.

رمقته بفضول بطرف عينها، ابتسمت واستمرّت في رتق الثوب في هدوء قالت بعد صمت طويل:

– ولكنها تكبرك بأكثر من عشر سنوات. إنها في عمر المرحومة أمك. أو أكثر.

– هذا لا يهم.إنني أحبها"[(1)].

من خلال قراءة نص الكوني مِن علُ نجد أن شاهدنا يُختزَل فحواه في "عمر باتا كعمر أمك، أكبر منك بأكثر من عشر سنوات"؛ لكن الشاهد مع هذا الاختزال يتحدّث جُملًا وجُملًا! ولنُثبِت ذلك نوظِّف أداة الاستدلال والتأويل، أعني: القياس التداولي، الذي نُجْريه كالآتي: المَقيس هو: عمر باتا، والمَقيس عليه هو: عمر أمّك، ووجه الشبه هو أكبر منك بأكثر من عشر سنوات، والنتيجة العمليّة السلوكيّة التداولية، وَفق مُقتضى الحال الاجتماعية، التي يستشّفها القارئ هي أن

---

(1) الخسوف: 99/1.

المجتمع الصحراوي اللّيبي يرفض مثل هذا الزواج. هذا القياس التداولي الموجَز الذي يؤسِّسه الكوني من خلال نصّه ويتلقّفه المتلقّي مُستدِّلًا ومؤوِّلًا؛ حتى يفهم نصّ الكوني. هذا القياس ينتزعه المتلقّي من الخبرة العامّة السابقة، وتجارب الكلام الحيوية (الحياتية) الخاصة بالنصوص والمواقف[1] (تداوليتها، خاصة قصديتها)؛ ومن ثمّ فهو يتوقّع ولا يفْجأ[2].

بعد الحديث عن تداولية مبدأ القياس التداولي، نتّجه إلى المبدأ الفرعي الأخير من مبادئ الفهم المناسب، وهو التغريض، نستكشف توظيف الكوني له في رباعيته.

المطلب الثالث: مبدأ التغريض

يُعرف عن حركة الكلام أنها متتالية، وسلسلة، ومتوالية خطيّة Sequence من الجُمل، تبدأ بمفردة، وتنتهي بأخرى[3].

والمعروف أيضا أن الجملة الأولى هي ما يمثّل الميزان الحسّاس لدى المتلقي؛ فتؤثر فيه سلبًا، أو إيجابًا[4]؛ ذلك أنه فور سماعه رنين إيقاع جرس جملتك الأولى قد يتحمّس للاستماع/ القراءة، وقد يَنفُر من التواصل معك فيهجُرك!

وفي أحايينَ أخرى نجد أن المتكلم/ الكاتب يبدأ بمقدّمات لا تُشعر بالموضوع الأساسي؛ لكن المتكلم/ الكاتب يستخدمها تلطيفًا للجوّ العامّ؛ لكن المستمع/ القارئ عندما يتيّقن أن هذه من المعرفة المشتركة، ويراها مَضْيعة للوقت، وأنها ليست الموضوع الأساسي الذي أسهم المقام في الحدس به، عندها يُنكر هذا الأخير تلك المقدمة، ولسان حاله مع المتكلّم: ادخل في الموضوع يا

---

(1) ينظر: أبو خرمة، نحو النص، ص 92.

(2) هذا التحليل مُستشفّ من خلال الاطلاع على الشاهد السابق "صدقني صناعة الشاي..." ومصادره.

(3) ينظر: مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص167، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص59، وينظر: أبو خرمة، عمر، نحو النص، ص92.

(4) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص59.

هذا، ابدأ بالجملة الأولى في الموضوع. أمّا فِعْل السامع/ القارئ فهو القفز إلى المطلوب مباشرة (الجملة الأولى في الموضوع الأساسي)، أو طلبُ هذا القفز؛ ولهذا يقول براون ويول:"فعندما يضع كاتب ما جملتين معا في علاقة تجاور دون اعتبارهما نصّا مترابطا فعليه أن يشير دون لبس إلى عدم ارتباطهما"[1].

هنا نتساءل، لماذا هذا الطلب، وهذا الإصرار على الجملة الأولى والعنوان عند المتلقي؟ الواضح أن المتلقي يستخدم آلة التغريض لفهمه هذا؛ فيؤوِّل: أن هذه المقدِّمة العنوانية الخاصة بالموضوع الأساس (الاستهلال) بتصدّرها عنوان النص الآتي، هي ما يوحي به النص كله، وأنها ستحوي كل دوالّ الموضوع، حتى دون أن نوسم هذا النص، أو ذاك بهذا التوشيح[2].

ذاك الطلَب –باختصار– يثْبِتُ المُسلَّمة التداولية التي فحواها: "معرفة المعنى الجزئي طريق لتأويل النص بأجمعه تداوليا"[3]، كما أنه يُصدِّق المثلَ الشعبي العربي في الدارجة اللّيبيّة، القائل: "المكتوبْ امْبينْ مِن عنوانهْ".

"افتراض أن الجملة الأولى، في أي نص، لها الحظ الأوفر في التأثير بالجمل التالية"[4] هو ما يُعرف بـ "التغريض" عند التداوليين، وله علاماته، أو ما يسمّونها طُرَقَه، التي يصعب إحصاؤها؛ لأنها تحتوي كل ما يدور في فلك المستهدَف (الشخص، الشيء، الحادثة، القضية)؛ لكن ترصد منها: تكرير اسم الشخص/ الشيء/ الحادثة/ القضية، أو تكرير جزء من اسمه/ ها، أو

---

(1) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص106. مع ملاحظة ركاكة العبارة.

(2) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص59، وينظر: أبوخرمة، عمر، نحو النص، ص92.

(3) مقبول، إدريس، الأفق التداولي، ص41.

(4) أبو خرمة، عمر، نحو النص 92.

نسبته/ ها، أو استعمال ضمير محيل عليه/ ها، أو استعمال ظرف زمان، أو مكان يخدمه/ ها، أو تحديد وظيفته/ ها، أو ذكر أنواع ثقافة الشخص، وأدواره[1].

وعليه، فإن التغريض يَعتمِد على دور الجزء السابق من النص، وتأثيره في تأويل اللاّحق[2].

الشاهد الآتي من رباعية الكوني يُثْبت ما نظّرته أعلاه:

"**البارحة مات أماستان.**

وجد منتحرًا في بيته في ذروة التظاهرة التي أقامها الأهالي -في تلك الليلة- لطرد الأرواح الشريرة عن وجه القمر عندما اكتسحه خسوف مفاجئ"[3].

هنا نلحظ تغريض عنصر ما في النصّ العُلْوي للكوني، وهو: حادثة موت أماستان، وبطُرُق عدة هي: ذكر اسم صاحب الحادثة، وذكر طريقة موته، ومكانها، وزمنها، وبإحالة العنصر المُحيل (الضمير المستتر) في "وُجد"، الذي يُحيل على أماستان، وبإحالة العنصر المحيل (الضمير البارز) الهاء في "بيته"، الذي يُحيل على أماستان أيضًا. طرق التغريض تلك أبرزتْ مركزيّة موْت أماستان في النص[4].

وعليه؛ نفهَم أن حادثة موت أماستان هي تَيْمة هذه الرسالة، وقد نُظّم بطريقة تجعله متمركِزا حول بؤرة واحدة هي "موت أماستان".

(1) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص59-60، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب، 173/1.

(2) ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب، 173/1.

(3) الخسوف: 9/1.

(4) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص59-60، وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص156.

لاشك أن هذا الفعل التداولي (التغريض) أثّر في تأويل النص، وجعلنا –نحن القراء– نُكيّف استنتاجاتنا، وتوقّعاتنا، وأخيرا تأويلنا وَفق تلك العنْونة (الجملة الأولى)(1).

وهكذا فالتغريض أداة/ مبدأ من مبادئ الفهم التداولي، يبيّن أهمية غرض النص، وعنوانه، وجملته الأولى في التواصل، والتفاعل، ويعتمد على مبدأيْ الفهم الآخريْن (التأويل المحلي، والقياس التداولي) نوعًا ما. يعتمد على مبدأ التأويل المَحلّي في كوْنه يُستشّف من المعلومات الداخلية للنص لا مِن خارجها. ويعتمد على مبدأ القياس التداولي مِن جهة أننا فهمنا أن الجملة الأولى توحي بما بعدها، قياسًا على ما سبق من خبرة فهْمنا للنصوص ومتشابهاتها.

يقول براون ويول:"إن انتقاء الجوانب المناسبة من تجاربنا السابقة وإشفاعها بالاعتماد على مبدأ القياس من شأنه أن يجبر السامعين/ القرّاء على محاولة فهم الأقوال المتتالية على أنها ترتبط بالموضوع نفسه"(2)؛ ولذلك دمجه براون ويول بالقياس في كتابهما تحليل الخطاب فيما يبدو لي؛ لكنه يختلف عن التأويل المحلّي في كوْنه لا يعتمد فقط على المَحليّة، بل يعتمد عليها وعلى غيرها، ويختلف عن القياس التداولي في اقتصار المقارنة فيه على النصوص، فلا يتعدّاها إلى شؤون الحياة الأخرى، ويختلف عنه أيضًا في صفريّة وجود مقارنة صريحة واضحة، هي صريحة واضحة في القياس التداولي؛ ولذلك فَصَلَهُ خطّابي عن القياس في كتابه لسانيات النص فيما يظهر لي.

بعد هذا الحديث التنظيري والتطبيقي عن أدوات الاستدلال والتأويل في المبحث الأوّل، هذا حديث عن وظائف الاستدلال التداولي أو أنواعه في المبحث الثاني.

---

(1) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص59-60.

(2) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص106.

المبحث الثاني: أنواع (وظائف) الاستدلال التداولي

للاستدلال التداولي تقسيمات بحسب وظائفه، هي: –الاستدلال بوصفه افتراضًا تجسيريًّا (استدلال الجسر الافتراضي)– استدلال المقارنة –الاستدلال بوصفه سدًّا لفراغات الفهم(1).

وبادئ بدء أُنبّهُ إلى الآتي:

1– أن براون ويول نَقَلا أيضًا وظيفةً أخرى للاستدلال التداولي هي: بوصف الاستدلال رابطًا مفقودًا، وذلك عن كلارك ومعاونيه(2).

وهي تعني: "وصول المتلقي إلى نتيجة لم تذكر في النص باستغلال مقدمات صادقة مذكورة"(3).

ومن أمثلتها الشبيهة بها عندهم :

– أُهديت إليّ بندقية، إطارها كبير... للبندقية إطار.

– أَلقيتُ نظرة داخل الحجرة، كان السقف عاليًا... للحجرة سقف.

– التقيتُ برجل، كان أنفه طويلا... للرجل أنف.

–دخلتُ المقهى، مالكه عجوز... للمقهى مالك(4).

عدّ كلارك ومعاونوه الجمل الأخيرة في كل مثال بمَنزلة الرابط المفقود، وعدّوا العملية برمّتها وظيفة استدلالية؛ لكن براون ويول أنكراها في نهاية المطاف، وأنكرها خطّابي من بعدهما، وكانت للجميع حُجج، إليكها:

---

(1) في كلِّ هذه التقسيمات، أو الوظائف، ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص403–428، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص69–75.

(2) ينظر: براون ، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص406.

(3) أبو خرمة، عمر، نحو النص، ص93.

(4)ينظر: براون ، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص406–407.

يقول براون ويول: "فإذا أردنا التمسك باقتراحنا السابق من أن عملية الاستدلال تتطلب وقتا، فإن ذلك يستلزم منا بالضرورة ألّا نعتبر تلك الحلقات المفقودة التي نتوصل إليها مباشرة (من غير حاجة إلى قدر إضافيّ من المعالجة) من قبيل الاستدلال. تلك هي النتيجة الطبيعية التي يتوصّل إليها أي باحث ينطلق من أساس التجربة ولا يكتشف دليلا على أن هناك عملية افتراض قد حصلت [...] قد يكون إيجاد هذه الحلقات المفقودة جزءا من تدريب على كيفية بناء النصوص، لكن ذلك لا يعني بناءا[1] لما يقوم به الناس أثناء فهمهم للنصوص"[2].

ويقول خطّابي: "لكن من الصعب [...] اعتبار هذه "الروابط المفقودة" استدلالات لأن المعلومة التي تقدمها الجمل [المستنتَجة] يتوقع أن تكون ممثلة في أشكال معرفية جاهزة كالأطر والمدونات[3] ... يعد هذا النوع من الروابط آليًا لأنها لا تحتاج إلى أي جهد تأويلي إضافي لاكتشافها، وذلك لسبب بسيط وهو أن كل العناصر المحيلة تعد جزءًا من إطار أو مدونة يكفي أن يذكر العنصر لينشِّط العنصر المناسب له، إذ ذاك ليس من الصعب على القارئ أن يكتشف علاقة" الإطار" "بالدراجة" (الجزء – الكل) وقل نفس الشيء عن "السقف" و"الغرفة""[4].

واقتناعًا بهذه الحجج يتبنّى الباحث رأيهم، فيَستثني هذه الوظيفة من الدراسة التداولية؛ لأنها لا تمثّل استدلالا تداوليًا وفق ما رأينا.

2- أن بعض العمليات الاستدلالية التداولية كالعلاقات غير التلقائية، والتأويل الإضافي الكبير، والتوقّعات، والمعرفة المسبقة، والتأويل الخاص، والمعرفة المشتركة، وغيرها، هذه العمليات

---

(1) كُتبتْ هكذا.
(2) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص410.
(3) سبق التعريف بهما عند الحديث عن الافتراض المسبق.
(4) خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص71.

لا يتّفق فيها كثيرون، ونتائجها نِسْبية[1]؛ لأن الاستدلال التداولي يتأسّس على أعراف اجتماعية[2]. توضيحًا لذلك هذا مشهد من رباعية الكوني:

"- يقولون ان[3] لك معجبين كثيرين ينافسونني في امتلاك قلبك. هل هذا صحيح؟ رمقته باستنكار وقالت بتحد: -من قال ذلك؟[4] لقد تقدم لخطبتي شاب من "الفوغاس" يدعى"ايدار ولكني رفضته وطلب يدي شاب من قبيلتنا رفضه أبي نيابة عني لأنه يعلم سلفا أني لن أقبل به"[5].

يحكي الكوني هنا قصّة "أماستان" وهو يتحدّث مع" تارات" التي يريد الزواج منها، ويسألها عن منافسيه في حُبِّه لها، ومن النصّ يفهم المتلقّي بصفرية المنافس لأماستان.

السؤال هنا كيف عرف القارئ بصفرية المنافِس لأماستان؟ مع أنه لا توجد أي إجابة صريحة من الكوني على لسان تارات بذلك. لقد استخدم الكوني سؤالًا استنكاريًّا (بدالّة "رمقته باستنكار") وبحديث عن حدوث خِطبة شابّيْن لتارات.

الإجابة التداولية تقول: إن المتلقّي يعالج تلك الملفوظات "السؤال الاستنكاري، وحديث الخِطبة" باستدلالات، ومعلومات مأخوذة من معارف مستمَدة من الواقع العُرفي الخارجي المكتسَب من المجتمع، أي: مِن تواضع أفراد المجموعات اللّغوية المتّفِقة على ذلك[6]؛ ذلك أنه من خلال المعلومات الاستدلالية تلك- التي قلتُها وأكرّرها وهي: دالّة "رمقته باستنكار"، والحديث عن

---

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص416-418، 421، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص29.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص29.

(3) كُتبتْ "ان" هكذا.

(4) يبدو لي أن الطابع نسي أن يضع علامة التأثّر(!) بعد علامة الاستفهام؛ لتتوافق العلامتان مع الاستفهام الإنكاري، الذي سنجلّيه عند التحليل.

(5) الخسوف: 19/1. بتصرّف في الضبط.

(6) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عندالعلماء العرب، ص29-30.

انفضاض أكثر من خِطبة- يستدلّ المتلقّي على صفرية المنافس، ويؤوِّل كل الحدث. ولاننسى هنا ما اعتمد عليه الكوني وافترضَ أن المتلقّي اعتمد عليه، وهو المعلوات اللغويّة والعُرفية، أعني آلة المعرفة المشتركة بينهما، من حيث إن الأخذ والردّ في مثل هذه التساؤلات، وإجابتاها من العادات السلوكية الكلامية/ اللّغوية، المفهومة، المتعارَف عليها في المجتمع، التي إن صُرّح بها – من دون طلب أحد الأطراف- دخلنا في عبث الكلام.

ومن ذلك نفهم- وحيث إن لكل مجتمع خصوصيّاته اللّغوية والكلامية- أن العمليات الاستدلالية الموصِلة للتأويل والفهم تلك قد يتشارك فيها الجميع وقد لايتشاركون؛ ومِن ثَمّ تكون العملية الاستدلالية بكاملها محدودة، وقد تحتاج إلى عمليات استدلالية أخرى مختلفة بين شخص وآخر. وبهذا نثبت ما قلناه إجمالًا في بداية هذا التنبيه.

3- يكون توقّع الاستدلالات الفعلية (الحقيقية الواقعية التي يجب أن تحدث ولا يمكن لغيرها أن يقع) المؤوِّلة لأي نص ضربًا من الخيال. يقول خطّابي: "يستحيل التنبؤ بالاستدلالات الفعلية التي سيقوم بها قارئ ما للوصول إلى تأويل نص ما"[1].

4- أننا سنجد أن معظم الشواهد في هذا المبحث تنتمي إلى الشواهد المحتاجة من القارئ/ السامع القيام باستنتاجات خاصّة/ محدَّدة، من أجل ذاك التأويل الخاص، الذي ينتقل فيه القارئ/ السامع من المعنى الحرْفي إلى المعنى غير المباشر، التداولي، المقصود؛ لأن المعنى غير المباشر نستدلّ عليه بمعلومات غير مباشرة في مُجمله[2].

---

(1) خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص73.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص403-404.

وتوضيحًا لعملي في هذا المبحث أقول: إننا ننطلق من معرفة أن مِن أبرز الأنشطة التداولية نشاطُ دراسةِ الوجوه الاستدلالية للتواصل؛ إذ إن من المهام الرئيسة للتداولية اللغوية شرحَ كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظ الشفوي/ المكتوب، وشرح طرق الاستدلال[1].

وعليه، فعملي في هذا المبحث –من خلال التطبيق على رباعية الكوني –ما ذكُر أعلاه، والمطلوب مني هنا: الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف نصف الاستدلالات التداولية في عملية التواصل؟ علمًا بأن الاستدلالات تلك غير مُعقْلنة، وربما ليستْ مُقنِعة في أحايينَ كثيرة[2]؟

تحقيقًا لكلّ تلك الأعمال المنوطة، هذه عودة إلى توضيح البعد التداولي –تنظيرًا وتطبيقًا– للتقسيم الاستدلالي الوظائفي الذي ذكرتُه سلفًا، وأُذكّر به مُجدَّدًا؛ لأنه سيكوّن مَطالب هذا المبحث:

المطلب الأول: استدلال الجسر الافتراضي.

المطلب الثاني: استدلال المقارَنة.

المطلب الثالث: الاستدلال المغلِق لفراغات الفهم.

المطلب الأول: استدلال الجسر الافتراضي[3] Bridging

عند تأويلنا لمنطوق معيَّن، نريد فهمه، كثيرًا ما نلجأ إلى معلومات نفترضها، نستدل بواسطتها على المعنى المقصود. هذه المعلومات المفترَضة هي الجسر الافتراضي.

---

(1) ينظر: نفسه: ص27–28.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر. ضمن: التداوليات، ص4، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص27.

(3) عند ترجمة التريكي والزليطني لكتاب براون ويول"تحليل الخطاب" لم يضعا لهذا النوع من الاستدلال مصطلَحًا خاصًّا واضحًا معنونًا؛ لكنهما أشارا في التحليل إلى معنى الجسر الافتراضي. ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص404–406، واختار خطابي مصطلَح"الافتراض التجسيري"، ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، ص69؛ وحيث إن المعنى الأسهل والأوضح في نظر الباحث هو المصطلح المشار إليه من التريكي والزليطني؛ فقد اختاره الباحث عنوانًا.

ومن خلال تلك المُسلَّمة التداولية[1]، يُعرِّف الباحث الاستدلال بوصفه جسرًا افتراضيًّا بأنه: "افتراض معلوماتٍ، تمثِّل جسرًا افتراضيًّا، يعتمد عليه المتلقّي للانتقال من المعنى الحرفي للملفوظ إلى ما يقصد المُلقي إيصاله[2]. يقول الشاوش: "يتمثّل الاستدلال في عمليّات التّأويل التي يقوم بها المخاطب متى عمد إلى افتراض معلومات ليس في الخطاب ما ينصّ عليها"[3].

إذن استدلال الجسر الافتراضي في صورته الموجَزة هو: جملة، أو عبارة، تُمثِّل جسرًا افتراضيًّا، يفترضه المستدِل؛ لكي يربط بين المعنى الحَرْفي، والمعنى المقصود[4].

استدلال الجسر الافتراضي نوعان، هما: الطلب غير المباشر، والمحتوى الضّمني الموصِد للهوّة بين جملتين/ عبارتين[5].

(1) طبعًا هنا لا أقصد مسلّمات غرايس (الكمّ والكيف والطريقة والمناسبة). ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص344، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص134. والتي كنتُ قد تحدثتُ عنها في توطئة هذا الفصل عند الحديث عن الكفاءة التداولية. لا أقصد في المتن أعلاه تلك المسلّمات؛ ولكنّي أقصد مصطلَح "مُسلّمة" بشكل عامّ الذي يأخذ عند اللّسانيين معاني ثلاثة وَفق استقراء الباحث، الأوّل: أيّ معلومات قديمة بدَهيّة مُسلَّم بها، والثاني: الفرضيّة المنسوبة إلى العبارة، أو الجملة، والثالث: أيّ معلومات أساسية في تخصّص ما. ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص263-297، وينظر: إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية، ص28، 319، وينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص72. ويبدو للباحث أن المعنى الأخير لمصطلح "مُسلَّمة" يتماهى مع المسلّمات المُستعان بها في إثبات النظريّات والمسائل في علم الرياضيّات؛ ومن ثَمّ فالمصطلح في أساسه مُعار من علم الرياضيات، وإن قال غيره إنه مصطلح مُعار من علم المنطق. ينظر: إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية، ص319. وعلى كلٍّ فإن ما يهمّنا تحديدًا هنا هو أن الفيْصل في الفصل بين تلك المعاني الثلاثة هو السياق الذي وُضعتْ فيه.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص405، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص69، وينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 177/1، وينظر: أبو خرمة، عمر، نحو النص، ص93.

(3) الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 177/1.

(4) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص404-405.

(5) هذا التقسيم، وهذه الاصطلاحية من عند الباحث؛ لكنها مفهومة ضِمنًا من خلال استقراء تحليل براون ويول. ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص403-406.

أبدأ بالاستشهاد للنوع الأول من رباعية الكوني، من خلال هذا المقطع، الذي يخبرنا فيه الكوني عن أمود وجماعته وهم يحاولون صيانة إحدى الطرق؛ بإخراج الكثبان الرملية منها؛ لكنهم بعد نجاحهم يتفاجؤون بزحف الرمال من جديد، وهنا يقترح أمود تغيير اتجاه الطريق.

"قال أمود وهو يشير بسبابته إلى الناحية الشمالية من السهل:

"من هذا الجانب. سوف نغير سير الطريق من عند مرتفع" رأس الغرنوق" ونذهب به إلى الناحية الأخرى حتى يلتفت يمينًا مرة أخرى ويلتقي بالمرتفع ويلتحم بالطريق بعد أن يكون قد تجاوز الوادي الذي تحل فيه شياطين الرمل".

اقترب الجماعة من أمود صامتين كأنهم يدرسون الخطّة في نفوسهم. قال منصور:

"هذا يستدعي عمل أسابيع وشهور".

اقترب الزكّار وأثار نقطة كانت غائبة عن بال الجميع قال:

"تغيير الطريق يتطلب إذنًا يا جماعة!".

تبادلوا النظرات وأضاف سعد الزكار:

"...إذنًا رسميًا من المصلحة".

اقترح أحد الشباب الذي وقف يستمع طوال الوقت:

"وماذا في ذلك؟ سوف نطلب الإذن الرسمي ونبدأ في العمل منذ الآن"(1).

إذا ما أردنا تأويل قول الكوني– في نصّه أعلاه، وهو يتقمّص شخصية الزكّار–: "...إذنًا رسميًا من المصلحة"، الذي يعني: "تغيير الطريق يتطلّب إذنًا ياجماعة، إذنًا رسميًّا من المصلحة"؛ وذلك عند وصله بما قبله. إذا ما أردنا تأويل ذاك القوْل؛ وصولًا إلى فهْمه، وجدنا أنه يحمل طلبًا غير مباشِر هو:

(1) الخسوف: 55/2.

- "خذوا الإذن الرسمي يا جماعة".

لكنّ الذي يشدّ الانتباه أكثر في ذاك التأويل أنّنا قد انتقلنا فيه من المعنى الحرفي إلى المعنى المُعيَّن "خذوا الإذن الرسمي يا جماعة"؛ وذلك عن طريق عملية استنتاج لما قصد الكوني وهو يتقمّص شخصيّة سعيد الزكار، أيّ أن جملة: "...إذنًا رسميًا من المصلحة" لا تعني "خذوا الإذن الرسمي يا جماعة"، وإنما على المخاطَب وهو يسمع/ يقرأ جملة -"...إذنًا رسميًا من المصلحة" في سياقها التداولي، عليه أن يستدلّ منها أن الكوني قصد بها جملة الاستدلال "خذوا الإذن الرسمي يا جماعة".

ومن خلال عملية الاستدلال تلك نُدرك، ويُدرك القارئ والسامع، نُدرك جميعًا ونحن نُمحصّ نص الكوني توًّا أننا قضيْنا مدّة زمنية طويلة عند تَعامُلنا مع الجملة غير المباشرة "... إذنًا رسميًا من المصلحة"، أيّ أنّنا في تأويل الجملة غير المباشرة "... إذنًا رسميًا من المصلحة" استغرقنا زمنًا طويلًا مقارَنة بزمنِ جملة مباشرة اختارها الكوني فرَضًا، ولتكن:"خذوا الإذن الرسمي ياجماعة".

والملاحظ هنا أن المدّة الزمنية الإضافية التي احتجنا إليها قد تمّتْ في مُعالجتنا الاستدلالية (الاستنتاجية) التي أجريناها على صيغة الطلب غير المباشر "... إذنًا رسميًّا من المصلحة"، وعلى ذلك فإن فَرْق الطول الزمني النِّسْبي بين الصيغتيْن راجعٌ إلى عملية الاستدلال المُستغرَقة[1].

وَفْقًا لذلك كله أقول: إن ذاك الطلب التداولي غير المباشِر: "تغيير الطريق يتطلّب إذنًا يا جماعة، إذنًا رسميًّا من المصلحة"؛ هو ما عبّر عنه التداوليون ومُحلّلو الخطاب بـ: "الافتراض التجسيري"، أي: جسر الاستدلال، أو بصريح العبارة : "الجسر الافتراضي"[2]. يقول الشاوش: "عمليّة سمّيت بالانقليزيّة bridging وعرّبت بـ"الافتراض التّجسيريّ وتقوم هذه العبارة على الاستعارة

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص403-404، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص69.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص405.

والتّشبيه: فقد شبّهوا فعل المخاطب عند تدبّر معنى الكلام بافتراض ما ليس في النصّ بفعل من يستعين بالجسر لينتقل من ضفّة إلى أخرى"[1].

وخلاصة هذا النوع من الاستدلال التجسيري هي: أن هناك عملية استنتاج أو استدلال من نوْع ما لا بدّ منها في تأويل صيغ الطلب غير المباشر[2].

بعد الحديث عن النوع الأوّل من استدلال الجسر الافتراضي أُحاول الآن تجلية **النوع الثاني منه** وهو: المحتوى الضمني الموصِد للهوّة بين عبارتين، حيث "التعرّف على المسمّيات التي تحيل إليها الأسماء المعرفة يمثّل نشاطًا استدلاليًّا إلى حدّ كبير"[3].

المشهد الآتي من رباعية الكوني يوضح ذلك:

"**<u>سارع آهر وهو يختطف ابتسامة غوما ويجدها مبرِّرًا للتخفيف من حدّة التوتّر.</u>**

<u>قال وهو يضع الجراب على الأرض:</u>

<u>– لقد حرصنا أن نأتي بالشاي قبل أي شيء آخر.</u>

<u>دسّ يده في الجراب وأخرج شكوة صغيرة من النوع الذي تمخض فيه النساء الحليب. صبّ الماء في قدح خشبي، قدّمه لغوما</u>"[4].

تحديد المسمّى الذي يشير إليه لفظ "الماء" في قول الراوي: "دسّ يده في الجراب وأخرج شكوة صغيرة من النوع الذي تمخض فيه النساء الحليب. صب الماء". تحديد المسمّى هنا يتطلّب

(1) الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 177/1.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص403–404، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص69.

(3) كلارك،1978، ص313، نقلا عن براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص405.

(4) الخسوف:170/1. بتصرّف في الضبْط.

من القارئ/ السامع وقتًا أطول بكثير مما لو قال الراوي: دسّ يده في الخواء. أخرج ماء. صب الماء(1).

فسّر التداوليون ذلك التطلّب الضمني، فوصفوه بأنه نوع من "الافتراض التجسيري(2)".

وعليه، فالجسر الافتراضي الضمني هو: "الشكوة تحتوي على ماء".

وهو الرابط بين عبارة: "دسّ يده في الجراب وأخرج شكوة صغيرة من النوع الذي تمخض فيه النساء الحليب"، وقوله:" صب الماء".

ومن ثَمّ يكون التأويل الكامل هكذا:

- "دس يده في الجراب وأخرج شكوة صغيرة من النوع الذي تمخض فيه النساء الحليب".
- تحتوي الشكوة على ماء.
- "صب الماء في قدح خشبي، وقدمه لغوما".

وفي النهاية يكون الجسر الافتراضي هو افتراض المستقبِل جُملةَ: "تحتوي الشكوة على ماء". إذن إقامة هذا النوع من الجسور الافتراضية يتطّلب شيئًا من الوقت؛ وهو ما يفسِّر من ثَمّ وجود تفاوت في أَمدِي الاستيعاب الملحوظيْن بيْن "صب الماء" المستخدَمة في النص الأصلي، و"صب الماء" المستنتَجة(3).

المطلب الثاني: استدلال المُقارَنة(4).

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص405.

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص405-406.

(4) ترجمه التريكي والزليطني في كتاب براون ويول"تحليل الخطاب"، ص411، ترجماه بـ: "الاستدلال بوصفه إقامة لعلاقات غير تلقائية"، واستخدم خطّابي المعنى نفسه مع شيء من تحوير التركيب في كتابه لسانيات النص، ص71؛ إذ يُسمّيه: "الاستدلال والترابط غير الآلي"؛ ولأنّني وجدتُ أن كل أنواع الاستدلال التداولي تتمتّع بهذه الصفة من العلاقة غير التلقائية، أو الترابط غير الآلي، أو الوقت الإضافي؛ ومن ثَم فلا يُعدّ مائزًا بينها؛ لذلك اطّرحتُ ترجمة التريكي والزليطني واستخدام خطّابي، واستبدلتُهما بمائز استنتجتُه، وهو المقارَنة أو المنافَسة؛ حيث

استدلال المُقارَنة هو النوع الثاني من الاستدلال التداولي، وفيه يكون استحضار المعلومات أمرًا مرهونًا بالسياق العام بشكل أوضح مِن غيره من الاستدلالات التداولية، ولا بدّ فيه أيضًا من جهد تأويلي كبير، صفتُه غيرُ المباشرَة، غير التلقائية، غير الآلية[1]، أيّ أن المطلوب هو الوقت الإضافي[2]، غيرُ العادي في الاستدلال المنطقي الطبيعي[3]، ولا يتحقّق ذلك في هذا النوع من الاستدلالات التداولية إلا بمحاولة الربط بين أزمنة، أو أماكن، أو أطراف مختلفة، أو المقارَنة، أو ما ترجمه التريكي والزليطني بـ "المنافَسة"، في قوْل براون ويول، وهما يحلّلان مثال العلاقة بين جملة "ربط خيطي حذائها معًا" وجملة: "تعثّرت كارول ووقعتْ على الأرض"، ويفسّران من خلال تلك العلاقة طبيعة الاستدلال المنطقي، التلقائي، غير التداولي بين الجملتيْن. أُدرج الآن النصّ كله؛ لأنني أراه مُهمًّا للفهم، وبضدّها تُعرف الأشياء.

يقول براون ويول: "فيما يتصل بفهمنا لمثال بسيط كهذا [ربط خيطي حذائها معًا]. فبناء على مبادئ القياس والتأويل المحلّي[4] [...] فإننا ندرك بشكل تلقائي واضح من يفعل ماذا ولمن ومتى وأين عند قراءتنا للجملة الأخيرة [ربط خيطي حذائها معا] من هذا النص. وبما أنه لا وجود

إننا في توظيف هذا الاستدلال- ولكي نربط بين الجملة المركزية وغيرها من الجمل المدرجَة في سياقها، ونُشكِّل منها نصًّا واحدًا، ونستدلّ على شيءٍ بشيء- لاغنى لنا عن المقارَنة بين تلك الجُمل زمنًا، أو مكانًا، أو أشخاصًا، أو...، وسيأتي توضيح تنظيري وتطبيقي عن هذا في المتن عاليًا في هذه الصفحة والتي تَعقبها.

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص416-417.

(2) وضّحتُ في متن المطلب السابق طبيعة هذا الوقت الإضافي؛ لكنّني أُضيف هنا أنّني فهمتُ من خلال استقرائي لمدوّنات الاستدلالات التداولية أن الوقت الإضافي يُقصَد به الوقت الزائد عن الوقت الاعتيادي المبذول في فهم المعلومات المباشِرة، وأن هذا الوقت الإضافي هو مائز للاستدلالات التداولية عن غيرها من الاستدلالات؛ لكنه ليس مائزًا بين أنواعها؛ ذلك أن المائز بينها هو معلومات الجسر الافتراضي والمقارَنة وإغلاق فراغات الفهم لا غير.

(3) سبق أن أَوضحتُ الاستدلال المنطقي وغيره من الاستدلالات في هوامش هذا المبحث.

(4) تطرقتُ إليهما في مطلبيْن خاصّيْن في المبحث الثاني من هذا الفصل.

لأيّ "منافسة"[1]. بين أزمنة مختلفة أو أماكن مختلفة أو أطراف مختلفة، فإن فهم الجملة الأخيرة لا يتطلب من القارئ "جهدا" تأويليًّا كبيرًا [...] ويقوم القراء بشكل مميّز بمثل هذا الضرب من "الاستدلال المنطقي" [...] لإقامة الصلة بين فعل ما يتسبب في حصول فعل آخر [...] فإذا أمكن لاستدلال منطقي من هذا القبيل أن يقوم على توقع، فمن الواضح أنه يندرج ضمن العلاقات التلقائية"[2].

بعد ذاك التنظير عن ماهيّة استدلال المُقارَنة آتي إلى التطبيق؛ فأختار تحليل هذا النص وشاهده من رباعية الكوني:

"**كان الجمل المسكين، الذي أحس بالمصير الذي ينتظره، قد بدأ يتمرد ويعربد ويقاوم ويرفس بقوائمه، ويشدّ رقبته إلى أعلى أحيانًا، ويهرب من المدية شمالًا ويمينا أحيانًا أخرى ويتطاير الزبد الناصع الذي يعلو شفتيه في رغوة كثيفة كالصابون ويتساقط على سواعد الرجال الذين يحومون حوله.**

(1) لم يختر الباحث مصطلح "منافَسة" الذي ورد في ترجمة التريكي والزليطني في المتن عنوانًا للمطلب الثاني في هذا المبحث؛ لأنّه رأى أن تعبير "مقارنَة" يصدق على طبيعة الاستدلال هنا أكثر من تعبير "منافسَة" على الأقلّ في العربية؛ إذ المنافسَة في العربية تكون بين جنس البشر لا غيره كالأزمنة والأماكن مثلًا؛ إلّا على سبيل المجاز فذاك شيء آخر لا يتحفّظ عليه الباحث.

(2) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص412–413، ويُفهم منه أن السببية المُطلَقة ليست شرطًا مائزًا في استدلال المقارَنة؛ لأنه لا بدّ من توفّرها في المنطقي أيضًا؛ لكن المائز في استدلال المقارَنة التداولي، هو السببية ذات العلاقة غير التلقائية، المحتاجة إلى وقت غير آلي، وتأويل غير مباشر. يقول براون ويول: "ويفترض في قاعدة المعلومات التي تقوم عليها مثل تلك التوقعات [توقّعات الاستدلال المنطقي] أن تشمل جملة عامة من العلاقات السببية". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص413–414، وفي إطار الحديث نفسه هذا توثيق يوضح اتّفاق الاستدلاليْن المنطقي والتداولي في عدم استقلال العلاقة عن معالِج النص (المؤوِّل). يقول براون ويول: "ويعني هذا [يقصد النسق الذهني، والتوقّع، والمُدّة الزمنية] أن تحديد ما إذا كانت العلاقة" تلقائية" أو "غير تلقائية" لا يمكن أن يكون مستقلا عن الشخص (أو الأشخاص) الذين يعالجون النص". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص415–416.

ظل يرغي ويشكو بصوت حزين كمن يتوسل ويطلب الرحمة قبل أن يتقدم رجل ممتلئ الجسم، مفتول العضلات، يشمّر عن ساعديه ويشهر مدية طويلة تلمع وتومض تحت أشعة الشمس"[(1)].

أبدأ المُساءلة الاستدلالية التداولية لنص الكوني أعلاه بالتساؤل الآتي: لو أن الكوني ساق نصّه الفائت هكذا: "أحس بالمصير الذي ينتظره، بدأ يتمرّد، ويُعربد، ويقاوم، ويَرفس بقوائمه، ويشدّ رقبته إلى أعلى أحيانًا، ويهرب من المدية شمالًا، ويمينا أحيانًا أخرى، ويشكو بصوت حزين، كمن يتوسّل ويطلب الرحمة، قبل أن يتقدّم رجل ممتلئ الجسم، مفتول العضلات، يشمّر عن ساعديه، ويشهر مدية طويلة، تلمع، وتومض تحت أشعة الشمس". تُرى هل كنا سنَعرف عمّ تتحدث جُمل النص؟

كثير من الجُمل المَسوقة في هذا الشاهد، وهي تشكّل نصًّا واحدًا. كثير منها لا يمكن فهمه مُطلقًا من دون العودة إلى السياق العام[(2)] (بنوعيه: النّظم، والمَقام) الخاصّ بالجملة الأولى بالذات "كان الجَمل المسكين". فمن هو "الذي أحس بالمصير الذي ينتظره"؟ ومن هو "الذي قد بدأ يتمرد، ويعربد، ويقاوم، ويرفس بقوائمه"؟ ومن هو الذي "يشدّ رقبته إلى أعلى أحيانًا"؟ ومن هو "الذي يهرب من المدية شمالًا ويمينا أحيانًا أخرى"؟ ومن هو الذي يتطاير الزبد منه؟ ومن هو الذي "يشكو بصوت حزين، كمن يتوسّل، ويطلب الرحمة"؟ لن يتحصّل المتلقي على الإجابة اليقينية لكلّ تلك الأسئلة إلّا إذا قرأ السياق العام الخاصّ بالنصّ، وإلّا ظلّ مُتحيِّرًا في دائرة التخمين.

وهكذا فإنه إذا ما أردنا أن نستدِلّ على علاقة جُمل نصّ الكوني بعضِها ببعضٍ فنفهمَ نصّه الذي يحكي قصّة نَحْر جَمل أمود، ذلك المُهري الرشيق! ويكون ذاك الفهم وَفق التأويل التداولي الصحيح. إذا ما أردنا ذاك فلا شك أنه ستنهال علينا استفهامات كثيرة مُتلاحقة حول جُمل النصّ

---

(1) الخسوف: 31/2.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه،تحليل الخطاب، ص416.

المتتابِعة[1]. يقول براون ويول: "غير أن هناك نصوصا قد تكون العلاقة السببية فيها غير تلقائية في الواقع. ويعود هذا إلى أن القارئ قد يسأل لماذا أو كيف بشأن فعل ما أو حدث وارد في ذلك النص"[2]. وعليه، فإن الاستفهامات التي يتوقّع الباحث أن يُجريَها القارئ مُسائلًا بها نصّ الكوني فوقُ هي:

- لماذا أحسّ الجَمل بالمصير الذي ينتظره؟ (العلاقة السببية= ما سبب إحساس الجمل؟)
- لماذا يرفس بقوائمه؟ (= ما سبب رفسه؟)
- لماذا يشدّ الجمل رقبته إلى أعلى أحيانًا؟ (= ما سبب شدّه لرقبته؟)
- لماذا يتطاير الزبد الناصع الذي يعلو شفتيْه؟ (= ما سبب تطاير زبده؟)
- لماذا كان الرجل المتقدّم مفتول العضلات، ويُشمِّر عن ساعديْه؟ (= ما سبب اختياره بكل هذه المواصفات الصارمة؟)
- لماذا كانت المدية طويلة؟ (= ما سبب كونها طويلة؟)

ووَفقا لما بدا توًّا؛ فإننا نتوقّف في فَهْم جُمل نص الكوني أعلاه على تأويل علاقة جُمله بـعُنصر "الجَمل" في الجملة الأولى.

وعلّ العلاقة غير التلقائية الأكثر وضوحًا في النصّ هي التي بين دالّتي "الجمل" و"المسكين؛ إذ إنها لا تحتاج إلى تلك الكفاءة الموسوعية؛ لكنها -مع ذلك- لا تتبدّي إلا بصعوبة،

---

(1) وفي إطار الموضوع عينِه يُسجِّل الباحث استفهامًا حول صنع خطّابي، وهو يذكر مجموعة أسئلة الفهم؛ إذ يحصرها في أربعة فقط، هي: من، ماذا، أين ، متى، فيستثني أدوات الاستفهام الأخرى. يقول خطّابي:" انطلاقا من مجموعة أسئلة الفهم (من، ماذا ، أين، متى)". خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص73. ربّما اكتفى خطّابي بهذه الأدوات الأربعة شعورًا منه بأنها كافية، أوأنها أمّ الباب، كما يقول النحويون عند حديثهم عن بعض الأدوات النحوية.

(2) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص414.

ومن خلال علاقة السببية، التي تحتّم على المتلقي ربط هذه الجملة بالجملة الموالية؛ ما يتطلّب إدراكًا نسبيًّا، ووقتًا إضافيًّا؛ فالجَمل مسكين؛ لأنه أدرك المصير المنتظَر.

أما علاقة الجَمل بالمصير الذي أدركه، فقد يبدو أن في إدراكها شيئًا من الصعوبة؛ لأنها تحتاج إلى إدراك علاقة معرفية هي: كيفية الإمساك بالجَمل وهو يُعاني الرهبة قبل ذبحه.

أما جملة "ويهرب من المدية شمالًا ويمينا أحيانًا أخرى"؛ فأراها مساوية في قيمتها العلائقية للعلاقة بين دالّتي "الجمل" و"المسكين، أعني قول الكوني: "كان الجمل المسكين"؛ لأن العلاقة في جملة "ويهرب..." هي الأخرى علاقة غير تلقائية سببية ضِمنيّة؛ إذ نَفهم أن المدية هي سبب هروب الجَمل يَمنة ويَسرة.

أما العلاقة بين الجَمل، وتمرّده، وعربدته، ومقاومته؛ فقد يبدو إدراكها أمرًا بسيطًا نسبيًّا؛ بما أنها مربوطة بما قبلها، ومع ذلك، فإن سبب التمرّد، والعربدة، والمقاومة يتطلّب من المتلقي إقامة علاقة السببية ذات الوقت الطويل[1]؛ فالجَمل يقوم بهذه الأشياء؛ إحساسًا منه بمصير منتظَر مخيف، ألمحتْ إليه طريقة محاولة الإمساك.

تبقى علاقة الجَمل باستخدام قوائمه للرفس؛ فهي تحتاج إلى تأويل كبير، وعلاقة لا تنبع بالضرورة من "الإطار الذهني" المستحضَر لنحر الجَمل، حيث يستخدمها للرفس في غير هذه الحادثة، ويستخدمها غيره من الحيوانات.

هذه العلاقات غير التلقائية جميعها تقع ضِمن الكفاءة الموسوعية، وتحديدًا المعرفة المسبَقة (الافتراض المسبَق) الخاصّة بثقافة علم الحيوان التي ينبغي لقارئ نص الكوني المُجرى الاعترافَ

(1) وضّحتُ طبيعة هذا الوقت الإضافي الطويل في أوّل هامش يخصّ هذا الاستدلال وفي متن الاستدلال الفائت وهوامشه.

منها؛ حتى يؤوِّلَ ويستدلّ ويفهمَ، والتي منها نستدل أيضًا على أن الجمل يرفس غريزيًّا، مُكنّيًا بذلك عن قدرته على الهجوم، وسرعة الردّ.

وعن علاقة الجَمل بشدِّ رقبته إلى أعلى، نُدرك أنها تحتاج إلى جهد تأويلي إضافيّ، ووقت إضافيّ من المتلقي أيضًا عند معالجته للنصّ، حيث تُعْلمنا الكفاءة الموسوعية وماتحتويه من علاقة معرفية ثقافية، ومعرفة مُسبَقة بأن الجَمل يقوم بهذه الحركة؛ استعراضًا لعضلاته، وإيحاء للجميع بأنه الأقوى والأعلى؛ مُحاولًا بذلك جاهدًا إبعاد المنطقة المستهدَفَة بالنحر، التي هي رقبته طبعًا.

علاقة الجَمل بتطاير الزّبَد منه، نحتاج لمعالجتها إقامة علاقة غير تلقائية كذلك، حيث نؤوّلها من خلال معرفة العالم، والكفاءة الموسوعية، وما تحويه من معرفة مشتركة ومعرفة مُسبَقة؛ نؤوِّل تلك العلاقة بأن الجَمل يقوم بهذا الفعل؛ إيذانا بسلوك انفعاليّ غاضب، يشبه كثيرا ما يقوم به بعض الناس –مع الفارق، واحترامي؛ لكن للتقريب فقط– وهم يُخرجون رذاذهم فور انفعالهم، أو كثرة كلامهم.

وعلاقة جملة "ظل يرغي ويشكو بصوت حزين" بالجَمل، تمثِّل خوفه مما يُحاك ضدّه، وأمامه، وتُفهم على أنها استدلال غير آلي، وهنا لا نعتمد على معرفة مسبقة متعلِّقة بالموضوع في حينه[1]، بل معرفةً بالعالم، نحتاج معها إلى فترة زمنية لاستيعابها؛ حتى نُجيب عن سؤال متى يرغي الجَمل؟ ومن خلال تلك المعرفة الواسعة بالعالم، والكفاءة الموسوعية، نعرف أنه يقوم بذلك كلما شعر بالخوف.

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص411.

أما علاقة الجَمل باختيار رجل ممتلئ الجسم، مفتول العضلات لنحره؛ فحتى يستطيع نحر هذا الجسم الضخم بسهولة، وبأسرع وقت ممكن. وهي علاقة تحتاج منا إلى شيء من التفكير، ولحظات من الوقت؛ فهي استدلال غير تلقائي.

"يشمّر عن ساعديه" فيها كناية (على رأي البلاغيين) عن شدّة استعداد الناحر، وتداوليًّا نقول: فيها علاقة غير مباشرة، معرفية، مأخوذة من معرفة العالم، تُبيّن مدى استعداد الناحر، وجهوزيته وإصراره.

وكَوْنُ المِدية طويلة؛ حتى تَسهُل حركتها في يد الرجل، وهنا نُسجِّل علاقة غير مباشرة، معرفية، مأخوذة من معرفة العالم، التي تحتاج إلى زمن غير قصير.

وكَوْن المِدية "تلمع وتومض تحت أشعة الشمس"، فيه كناية عن حدّتها، وتأويلها التداولي يوضح أن الناحر أعدّ العُدّة؛ إنهاء لحياة ذاك الجمل المسكين (على رأي الراوي) بأسرع وقت ممكن. ولا شكّ أن ذاك الإيضاح، الموضِّح لطبيعة المِدْية، وعلاقتها بالعنصر الأوليّ (= المحور/ الجَمل) في النص يحتاج إلى إعمال الفكر، ومن ثم فهو استدلال غير آلي.

ووَفقًا للتحليل التداولي في الصفحات السابقة **نستنبط أن:**

تَوَقّفَ المتلقّي عن فهم الجُمل متتابِعة، أو غير متتابِعة؛ حتى يعي السياق العام، واستنتاجه، وإدراكه للعلاقة بين محور جملة وجملة أخرى، أو جملة وجملة أخرى، بِغَضِّ النظر عن محورها، وذلك بطريقة سببية، أو ضِمنية، أو كفاءة موسوعية، معتمدًا على معرفة العالم، شريطة العمل التأويلي المُحتاج للمنافسَة، والوقت الإضافي، وإعمال الفكر، والتأويل الأكبر من الذي تتطلبه العلاقات التلقائية القائمة على معلومات مسبقة، كل ذاك هوما يشكّل مفهوم "الاستدلال غير التلقائي".

الاستنباطات نفسها تُستشّف إذا ما حلّلنا تداوليًّا هذا الشاهد من رباعية الكوني؛ على أن تُتّبع المنهجية التداولية نفسها في التحليل؛ فتُفصل الجُمل عن بعضها بعضًا، ولا يُركَّز ابتداء على تتابعها، وأن يوضح سببيّتها. إليك الشاهد:

"**جاءت كوكبة الشباب تهش المهري الرشيق وتجمعت في المنحدر استعدادًا لنحره. إنهمك[1] قسم منهم في تقييد رجليه. وانشغل القسم الآخر في شدّ رأسه بحبل مفتول من ليف النخيل -إلى ذيله لإبراز ذلك الجزء الأسفل من الرقبة الطويلة الهيفاء المعدّ لغرس المدية. أما المجموعة الثالثة فقد سارعت لفرش سعف النخيل في بساط أخضر كبير حيث سيمزّق اللحم وتقسّم الذبيحة إلى حصص صغيرة تخضع في توزيعها إلى حكم الحظّ الذي يتقرر بالقرعة**"[2].

من خلال السياق العامّ للنصّ، نعلم أن الكوني يتحدّث فيه عن القصّة نفسها في الشاهد السابق عن قصّة جمل أمود قبل نحره. ولكي نفهم النص علينا أن نستكشف العلاقات غير التلقائية في جمل النصّ، ونعقد مقارنات رابطة سببيّة ضمنيّة بينها، وبين دوالّها، مُعتمدين على كفاءتنا الموسوعية؛ حتى نؤوّل ونستدلّ ونفهم؛ إذ مباشرةً سيَسأل القارئ نفسَه أو غيره، بوَعي أو مِن غير وَعْي أسئلة من مثل: لماذا وصَف الكوني الجَمل بالرشيق؟ ولم يُقيِّد الشباب رجلي الجَمل؟ ولمَ القُرعة بالذات لتقسيم الحصص؟

وعن طريق توظيف القارئ لكفاءته الموسوعية، يعي في وقتٍ إضافي وربطٍ غيرِ آلي أن سببَ الوصف هو خِفّةُ الجَمل، وسهولة حركته، ونشاطه الواضح، وأن سبب تقييد رجلي الجَمل هو توفير الجوّ الملائم لنحره بسهولة ودونما قطْع لعمليّة النحر، وأن استخدام القرعة سببه أن معظم

(1) هكذا وردتْ كلمة "إنهمك" في النص بهمزة قطع.

(2) الخسوف: 31/2.

الناس ترضى بهذه الأداة الفيصلية الاجتماعية؛ حيث لا تخضع لهوى طرف على حساب طرف آخر.

وفي ذاك الاتّجاه يُعرِّف الباحث استدلال المقارَنة بأنه: "عملية الاستدلال التي يوظِّف فيها المستدِلّ كفاءته الموسوعية، ويعتمد فيها على عقد مقارنات سببية أوضمنية رابطة بين مجموعة من الجُمل متلاحقة في نصّ واحد أو غير متلاحقة في نصوص مُختلفة[1]؛ ليشكّل منها نصًّا واحدًا (إن لم يكن النصّ متشكِّلًا) ذا فكرة واحدة في سياقها العامّ، وذا جملة مركزيّة تبدأ منها الجُمل وإليها تنتهي؛ يُؤوِّل من خلالها تلك الجُمل، ويفهم به النصّ"[2].

المطلب الثالث: الاستدلال المغلِق لفراغات الفهم

الاستدلال المُغلِق لفراغات الفهم، أو "عمليات الاستدلال بوصفه سدّا لفراغات الفهم" كما يُترجمه التريكي والزليطني[3]، أو "الاستدلال كملء للفراغ أو التقطع في التأويل" كما يُطلق عليه خطّابي[4]، نوْع آخر من أنواع الاستدلال حسَب وظيفته التداولية.

يُعرّف الباحث ***الاستدلال المُغلِق لفراغات الفهم*** بأنه: مجموعة من الدوالّ المتساوِقة *تداوليًّا*[5] (ذات المفهوم الواحد في سياقها)، يَلحظها القراء والسامعون، عند محاولة فهمهم للنصّ،

---

(1) طبعًا على اعتبار أن الجملة يمكن أن تكوّن نصًّا في حدِّ ذاتها. ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص19.

(2) أعترف بأن التعريف طويل، ويحتاج إلى تهذيب. أما الذي أحوجني إلى وضع هذا التعريف فهو عدم وجود تعريف واضح في مدوَّناتي التي اعتمدتُ عليها في الاستدلال، ككُتب براون ويول وخطّابي والشاوش وأبو خرمة وبدوح وغيرها.

(3) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب ص420.

(4) خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص73.

(5) مُصطلَح "مُتساوقة"(من السياق) وهو من سكّ المشرِف (د عمر عكاشة) عند تصحيح الأطروحة، جزاه الله خيرًا! ولأن تلك المتساوقات تُفهَم من خلال السياق التداولي، وتوظيف الكفاءة الموسوعية عمومًا، والمعرفة الخلفية خصوصًا؛ لذلك أضاف الباحث مفردة "تداولية"؛ فصار المصطلَح "المتساوقات التداولية".

وهي تتطلّب منهم عملا تأويليًا إضافيًّا، هو الربط بينها؛ وذلك لفكّ شفرتها، وسدّ فراغات فهمها، ومنع التقطّع في تأويلها؛ الذي سببه الجهل بترابطات هذه المجموعة(1).

أوهي: افتراض تأويلي إضافي(2)، يكتسبه القارئ أو السامع من كفاءته الموسوعية خصوصًا، ومعرفته الخلفيّة تحديدًا، ويوظّفه للربط بين قضايا/ مُفاهيم/ أحداث/ أشياء/ شخصيات ورد ذكرها في السياق العام للنصّ في صورة دوالّ مُتساوقة... هذا الافتراض ومِن يَسُدُّ به المتلقّي فراغًا موجودًا في فهمه، ويمنع به قطْعًا في التأويل عنده.

ولكي أُوصل القارئ إلى ماهيّة هذا الاستدلال بشكل عمليّ، وأُجلّيَ تداوليته، نتابع هذا المقطَع من رباعية الكوني.

"**تصاعدت كتل الدخان في مدخل الكوخ والتفت آجّار نحو ضيفه جاحظ العينين. قال وهو يمسح الدموع بلثامه:**

- هل صحيح ما سمعت؟ يقال أن(3) المملكة تشتعل...

قال غوما في نفسه أنّ آجّار يريد أن يخفي الحرج الناتج عن محاولته الطويلة في إشعال النار، فوجد مفتاحًا موفقًا للحديث. شعر نحوه بالإعجاب قبل أن يعلّق:

- نعم. تشتعل. تشتعل منذ شهور ولا أحد يعلم الى(4) أين ستؤدي الاضطرابات.

انطفأت النار وتكاثفت كتل الدخان وتزاحمت. تناول آجّار مروحة السعف واستمر في حديثه عن الأحداث الأخيرة، قال دون أن يلتفت نحو غوما:

---

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص423–427، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص73.

(2) إضافي بمعنى زائد في زمنه عن التأويل الطبيعي العادي في الاستدلال المنطقي عند تحليل النصوص بشكل تلقائي آلي.

(3) وردت "أنّ" في نصها هكذا، بهمزة قطع مفتوحة.

(4) هكذا وردت "الى" في نصها، من دون همزة قطع.

- **عزلتي تمنعني من معرفة التفاصيل ولكن هذا لم يمنعني من الالمام[1] بآخر الأخبار. سمعت أن السلطات اعتقلت حفيدكم، فهل صحيح ما سمعت؟**

دهش الشيخ.هو نفسه لم يبلغه الخبر سوى البارحة فكيف استطاع" قاتل أمه" المهجور، المعزول في كوخه، عند أسفل الجبل، بالقرب من جرمة، أن يسمع بالخبر بهذه السرعة.

حبس انفعاله وهو يقول:

- **أنا نفسي لم أسمع بالخبر إلاّ البارحة. وها أنا اتصيد[2] السيارات منذ الفجر. لم تمر سيارة واحدة. كأن الحظ يسخر منّي.**

اغتصب ضحكة عصبية فهز آجّار رأسه وواصل تحريك مروحة النار. انبثقت الشعلة فتنفس الرجل بارتياح"[3].

لا شكّ أن القارئ/ السامع هنا إذا ما أراد فهم النص وجب عليه أن يقوم فور قراءته/ سماعه بتأويل بعض دوالّ النص، التي يشعر بأنها متكررة في النص؛ لكن بصور مختلفة.

عليه؛ ولكي يَفُكّ المتلقّي شفرة هذا التأويل لا مناصَ له من توظيف كفاءته الموسوعية، واستغلال معرفته الخلفية؛ للقيام بعمل تأويلي إضافي غير آلي، يحتاج معه إلى وقت غير عادي، يلحظ من خلاله مجموعة من المتساوِقات التداولية التي لم يُشر إليها النصّ صراحةً.

ومن خلال تطبيق تلك الإستراتيجية الاستدلالية التداولية يلحظ القارئ في نص الكوني:

---

(1) هكذا دُوّنتْ "الالمام" في النص، من دون همزة قطع.

(2) وردت "اتصيّد" في نصّ الكوني هكذا، من دون همزة قطع.

(3) الخسوف: 4/14-15. وأُنوّه إلى أن مُشرفي الفاضل طلب مني تَجلية سؤال هو:"لم اختار الكاتب لفظ "ضيف" في سياق معيّن؟ لم كان لفظ "الشيخ" هو اللّفظ المُختار في سياق آخر مخصوص؟ ما العلاقة بين السياق واللّفظ المُختار؟ لكنّني اعتذرتُ من الدكتور عمر بحُجّة أن هذه دراسة تحتاج إلى مُتابعة كل نصوص الرواية؛ ما يستدعي وقتًا لا يتّسع للباحث، خاصّة في غياب نُسخة إلكترونية للرواية.

أن العنصريْن"ضيفه" و"الشيخ" تحيلان على عَلَم مشترك هو "غوما"(1) في النص نفسه، وهذا الاستنتاج لم يخبرنا به النصّ صراحة؛ لكن فُهم من السياق العام ضِمنًا؛ من خلال المعرفة الخلفية بالنصّ خاصّة.

في هذا النص أيضًا نلحظ أن "قاتل أمه"، و"المهجور"، و"المعزول"، و"الرجل"، كلها مفردات ترجع إلى شخص واحد في النص هو "آجّار"، ومن ثمّ فهي دوالّ ذات مفهوم واحد.

لا بد أيضًا من بذل جهد تأويليّ لمعرفة أن الدالّة "تشتعل" هي نفسها دالّة "الاضطرابات"، وهي كذلك "الأحداث الأخيرة".

"اعتقلت حفيدكم" هي نفسها الدالّة "الخبر" معنًى، وهذا أيضًا مفهوم من خلال الربط التأويلي بين المقدَّم والمؤخَّر من الدّوالّ، أو ما يَسمُه الباحث بـ: "علاقة المدّ و الجَزْر التأويلية"(2).

وهكذا بعد أن وظفّنا كفاءتنا الموسوعية بما فيها من معرفة خلفية، وبذلنا جهدًا غير عادي، واستغرقنا وقتًا إضافيًّا، وقمنا بعمل تأويليّ غير مباشِر؛ لملاحظة مجموعة من مُسمّيات نصّ الكوني، وأحداثه، وشخصياته في سياقها. بعد أن قمنا بذاك، واكتشفنا أنها تحمل مدلولًا واحدًا، استطعنا الربط بين تلك الدوالّ، كما استطعنا ملء فراغات الفهم عندنا، التي اتّضح أننا إذا لم نقم بملئها، استمرّ وَقْعُ التقطّعات في تأويلنا، وخلقتْ فراغًا ممكنًا في فهمنا، ومنعتْنا من فهم نص

(1) أُنبّه إلى أن منهجية البحث تحدّدتْ بتغطية العناصر المحيلة التي رصدها هاليدي وحسن في كتابهما "English cohesion in"، وبراون ويول في كتابهما "تحليل الخطاب"، وخطّابي في كتابه "لسانيات النص"، والشاوش في كتابه "أصول تحليل الخطاب" لا غير؛ وحيث إن هؤلاء لم يرصدوا هذا العنصر المُحيل "العَلَم" كان طبيعيًّا ألاّ يتطرّق البحث إليه بالدراسة التفصيلية الخاصة بـ "الإحالة" في الفصل الأول.

(2) حيْث إن في المدّ والجزر تقديمًا، وتأخيرًا، وتكرارًا لهذا التقديم والتأخير، بشكل واضح، دون غيره من الظواهر الطبيعية فيما أعلم.

الكوني كله، وتطلّب منا –من ثَمّ– العودة إلى المربّع صفر، وهو البدء من جديد بقدر مُعيَّن من الاستدلال، بتوظيف آلتيْ: التأويل الإضافي، واستنتاج الدوالّ المتشابِهة[1].

وعليه، فإذا لم تكن لدى الكاتب معرفة متخصّصة، وعِلم مُسبق بهذه الأحداث الروائية، فإن عليه أن يستنتج هذه العلاقات الإحالية، والترادفية، والمتساوية، والمتشابهة، بمعنى أن يقوم بعمل تأويلي إضافي، يفكّر فيه كيف يعادل بين كلمة وأخرى؟

من كلّ ما ورد أعلاه نفهم أن تلك العملية المتكاملة ذات التوظيف والتأويل غير المباشر والربط، والتي تكون من واجب القارئ والسامع، وتُفرَض عليه؛ حتى يفهَم النص. تلك العملية الواجبة هي إحدى وظائف الاستدلال التداولي أو أحد أنواع الاستدلال التداولي، ويُسمِّيها الباحث بـ:"الاستدلال المغلِق لفراغات الفهم"[2].

وعلى غرار التحليل التداولي في الشاهد السابق، ورصد وظيفة الاستدلال بوصفه سدًّا لفراغات الفهم، ومنع التقطّع في تأويله، يمكننا أيضا توظيف آليات تلك الوظيفة الاستدلالية في النص الآتي من رباعية الكوني، والقيام بالعمل التأويلي الإضافي المنوط به، والربط بين مُتساوقاته، أو مجموعة الأوصاف المعرَّفة المتنوعة، أو الأوصاف المحدَّدة على حدّ تعبير براون ويول، وخطّابي[3].

"**<u>انقبض قلب الشيخ قال:</u>**

---

(1) أي أننا: إذا ماوظّفنا ذيْنِك الآلتيْن أو الأداتيْن أو الوسيلتيْن أو الواسطتيْن وصلنا إلى الاستدلال الصحيح.

(2) أنوّه إلى أنني استفدتُ كثيرًا في تحليل هذا الاستدلال، وكشْف وظيفته في رباعية الكوني من تحليلات براون ويول. ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب ص420–428، ومن خطّابي، ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص73–75.

(3) ينظر: براون، جوليان، ومن معه،تحليل الخطاب ص422–423، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص74، ولستُ معهم في ذيْنِك المصطلحيْن؛ لأن الدوال المُستهدَفة في هذا النوع من الاستدلال التداولي ليست جميعها أوصافًا بلهَ معرّفةً كما استشهدوا هم في نصوصهم، وكما رأينا في تحليلنا للشواهد في المتن؛ إلاّ إذا اعتبرنا ذلك من قبيل التوسّع، أو المسامحة، أو المجاز.

- لم أسمع بوجود ضحايا في أحداث "الجوهرة" ولكن الضحايا كثيرة في طرابلس وبنغازي. هذا ما سمعته..

- المرسوم الملكي جرّد المسؤولين عن إراقة الدماء من رتبهم العسكرية وعزل البعض الآخر. صاحب الجلالة يبرئ ذمته أمام الناس. هئ - هئ - هئ .

رمقه غوما بدهشة. فأضاف "قاتل أمه":

- ياله من داهية!

تابعه غوما بفضول فَواصَلَ آجّار آراءه الجسورة:

- صاحب الجلالة يجد الوسيلة دائمًا كي يخرج من اللعبة مثل الشعرة من العجين، وهاهو ينزل العقاب بالضباط الذين اجرموا(1) وسفحوا دماء أبنائه! اخطأوا(2) وشاغبوا ولكن ليس الى(3) الحد الذي يبيح إراقة دمائهم! هه - هه - هه...

استغرب غوما من أين جاء الرجل بهذه التفاصيل؛ ويبدو ان(4) جليسه قرأ التساؤل في عينيه،

فقال وهو يحدجه من تحت لثامه الاسود(5):

- سمعت ذلك في الراديو عند الفلاحين في الغابة. الفلاحون ايضا6 يتابعون الاحداث(7)..."(8).

---

(1) "اجرموا" هكذا وردت دون همزة قطع.

(2) "اخطأوا" هكذا وردت من دون الاستهلال بهمزة قطع.

(3) "الى" هكذا في الرواية دون همزة قطع.

(4) "ان" مطبوعة بلا همزة قطع.

(5) كذا في نصّها من دون همزة قطع.

(6) "ايضا" هكذا وردت من دون همزة قطع.

(7) " الاحداث" هكذا وردت من دون همزة قطع.

(8) الخسوف: 4/15-16.

من خلال توظيف الكفاءة الموسوعية، ومُلاحظة السياق العامّ للنص أعلاه، والربط بين دوالّه، نعثر فيه على مجموعة مُتساوِقة؛ تُغلق أيّ فراغ للفهم. هذه المُتساوِقات هي: صاحب الجلالة التي تتساوق مع داهية، والضباط التي تتساوق مع "الذين اجرموا" ومع "وسفحوا دماء أبنائه! ومع "اخطأوا" و "شاغبوا"، و كذا"الرّجُل" التي تتساوق مع "قاتل أمه" و "جليسه"، و"الفلّاحون" التي تتساوق مع "يتابعون الأحداث".

بعد ذاك التحليل التداولي والتطبيق الخاص بالاستدلال، نأتي في المبحث الآتي إلى الحديث عن الأنماط الإجرائية للاستدلال والتأويل التداوليّيْن.

المبحث الثالث: الأنماط الإجرائية للاستدلال والتأويل التداوليين (مُتضمَّنات القول التداولية[1])

مُتضمَّنات القول التداولية مفهوم تداولي إجرائي، يرصد الأنماط الضمنية الخفية، التي تتعلّق بالاستدلال والتأويل اللذيْن تسمح بهما خصوصيات الملفوظ والسياق[2] وقوانين الخطاب[3] Discourse، أي: الأنماط التي تحكمها الظروف العامة للملفوظ[4].

هذه الأنماط –وَفقًا لما حدّده التداوليون اللّغويون، ووقف عليه الباحث– تتمثّل في: الافتراض التداولي المسبق[5] **Pragmatic Presupposition**، **والأقوال المضمَرة[6]**،

(1) سبق التحدّث عنها في التمهيد، عند الحديث عن خصوصية السياق في التداولية اللّغوية. أما تقييدها بـ"تداوالية" فهو احتراز من "متضمَّنات القول الدلالية"، التي لاتتماز عن متضمّنات القول التداولية إلّا في أن طبيعتها لسانية، بمعنى أنه يتمّ إدراكها عن طريق العلامات اللّغوية التي يتضمّنها القول، كما أن المعلومات المقدَّمة فيها مُستوحاة من بنيتها الدلالية، في حين تكون متضمّنات القول التداولية خاضعة لقوانين الخطاب. مثال متضمَّنات القوْل الدلالية، قولنا: الطلّاب كَسْلى، حيث نلحظ العلاقة التضمينية الدلالية المرتبطة بمعنى كسلى، والذي يتضمَّن (غير نِشاطى)، وهنا نلحظ أن المعنى المضمَر مأخوذ من الملفوظ الأصلي ذاته، ولم ينظر فيه إلى شيء خارجي، كقوانين الخطاب مثلًا. ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، ص63-68.

(2) هذا بشكل عام؛ لكنها تشمل بالخصوص: المحيط المادي، والاجتماعي، والصورة المكوَّنة للمتخاطبين، وهوية هؤلاء، والفكرة التي يصطنعها كلٌّ منهم، والأحداث السابقة، وتبادلات الكلام. ينظر: ديكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص677.

(3) سبق ذكرها في تمهيد هذا الفصل، عند الحديث عن الكفاءة التداولية.

(4) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30، وينظر: قدور، عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، ص63-66.

(5) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30-32، وينظر: قدور، عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، ص63-66، والملاحظ أن الباحث حوّر المصطلَح بالتقديم والتأخير، حيث من المعروف إن المصلَح يُلفظ بتركيب "الافتراض المسبَق التداولي"؛ لكن الباحث تبنّى وجهة نظر مُشرفه التي يقول فيها:"إن المصلَح الجيّد هو الذي ينطلِق من الجزئي إلى الكلّي، كما يتمّ فيه النظر إلى إيقاع المصطلَح جمالًا وخفّة، وهذا ما يتوفّر في صيغة المصطلَح فوقُ، ولايتوفّر في الصيغة المشهورة "الافتراض المسبق التداولي""، كما أن الباحث يستأنس بما وجده عند نحلة من استخدام لمصطلَح مُشرفه. ينظر: نحلة، محمود آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص29.

(6) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص32، وينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب، ص69-70.

والاقتضاء التداولي[1]، والاستلزام الحواري[2]، والأفعال الكلامية[3].

وعلى اعتبار أنني خصصّتُ الفصل الثالث عن الأفعال الكلامية؛ لذا أُؤَجّل الحديث عن نمط الأفعال الكلامية إلى فصلها المخصَّص، وسأكتفي بالحديث عن الأنماط الأربعة الأخرى من متضمَّنات القول التداولية، وأُبيّن وظيفتها التداولية في رباعية الكوني، حيث سأهتمّ بالكيفية التي يتكوّن بها معنى منطوق الكوني؛ وذلك بمساءلة التأويلات المنبثِقة عنه، والتي لم يصرِّح بها حرفيًّا في منطوقه[4]، وسيكون الاستهلال مع الافتراض التداولي المسبق. والتوفيقَ يا رب!

المطلب الأول: الافتراض التداولي المسبق [5] Pragmatic Presupposition

في كل تواصل لساني تنطلق أطراف الخطاب من معطيات لغوية في الذاكرة، وافتراضات ذهنية آنية[6]، مأخوذة من المعرفة الموسوعية، والسياق الخارجي، والسياق الداخلي للنص المُعايَن[7]. يقول براون ويول:"[...] لأيّ خطاب"رصيدا من "الافتراضات المسبقة" يضم معلومات "مستمدّة من المعرفة العامّة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته""[8].

(1) ينظر:عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب، ص67-69.

(2) ينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص146.

(3) ينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص96.

(4) ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب، ص7.

(5) سبق التطرّق إليه في التمهيد عند الحديث عن خصوصية السياق بالتداولية اللغوية؛ لكنّني أُشير هنا إلى أن الافتراض التداولي المسبق يُعرف كذلك بمصطلحاتٍ أُخر هي: المعرفة الخلفية، والمعرفة المسبَقة، والإضمارات التداولية. ينظر: براون، جوليان، ويول، جورج، تحليل الخطاب، ص103، 130، وينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، ص61-63، وينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص176- 179، وينظر: أبوخرمة، عمر، نحو النص، ص 93، وينظر: عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص113؛ إلّا أن الباحث اختار المصطلَح المُعنوَن مِن علُ؛ لشهرته؛ ولوضوح مدلوله اللّغوي الخاص أكثر من غيره.

(6) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30-32.

(7) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص127، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص61-62.

(8) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص127.

ويقول بلخير: الافتراض المسبق[...] ذو طبيعة لسانية، بمعنى أنه يتم إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمّنها القول"[1].

وعطفًا على ما سبق يقول التداوليون: تلك المعطيات، والافتراضات الاستدلالية والمضمَّنة في الملفوظ، معترَف بها، ومتّفق عليها بين أطراف الخطاب؛ لكنهم لا يبوحون بها؛ إلا إذا صدر من أحدهم تأويل خاطئ، تَمّ الخروج فيه عن الفهم الصحيح المطلوب[2].

ما يهمّنا هنا أن تلك المعطيات، والمفترَضات الخلْفيّة، والمعلومات الذهنية هي ما يُطلق عليه في عُرْف التداوليين مصطلح "الافتراض المسبق التداولي"[3].

وقبل البدء أُشير إلى أن الباحث هنا ينهج نهج من يفرّق بين الافتراض المنطقي الدلالي المسبَق، والافتراض التداولي المسبَق، حيث إن الأوّل يُحدِّد العلاقات الدلالية بين القضايا (الجمل)، وهومشروط بالصدق بين قضيتين (جملتين) أيّ أن تكون الجملتان المحكيّة والمفترَضة صحيحتين، مثل: يعرف محمد أن الأرض كوكب شمسي، فافتراضها الدلالي المسبَق هو: أن الأرض كوكب شمسي. وهكذا يكون على اعتبار معيار الصدق ذاك الآتي: إذا كانت الجملة الأولى صحيحة فإن الجملة المفترَضة صحيحة كذلك، أما الافتراض التداولي المسبق فسلوك إسنادي، لا دخل له بالصدق والكذب، حيث إن القضية الأساسية يمكن نفيها من دون تأثير يُذكَر في الافتراض المسبق، فإذا قال شخص: سيارتي جديدة، ثم قال سيارتي ليست جديدة. وعلى الرغم من تناقض

---

(1) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص113.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30-31. وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص99، وينظر: ، قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص68.

(3) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30-31.

القولين إلا أن الافتراض التداولي المسبق، وهو أن له سيارة لا يزال قائمًا في الحالين. ومن هنا فإن الافتراضات المسبَقة كافّة هي دائمًا صحيحة(1).

يوظَّف الافتراض المسبق في التداولية اللغوية، فيكون مقيّدًا باستدلالات تداولية Pragmatic Inferences بعينها(2)، ويكون ذلك بوساطة تعبيرات لغوية معيّنة، تُلقط في حينها من النص المستهدَف، عند النظر إلى سياقه العام(3).

ويظهر الافتراض المسبَق عند اللّسانيين في مجموعة من المعلومات المنظَّمة سلَفًا في ذاكرة الإنسان، في شكل قوالب نمطيّة جاهزة(4)، تمكّن من القيام بالاستدلال على المعنى المناسب، وهي تعتمد كثيرا على علم النفس العرفاني، والذكاء الصناعي(5)، وجميعها يوصلنا إلى فكرة واحدة تقريبًا(6)، هي وصف الكيفية التي تنظّم بها معرفة العالم في ذاكرة الإنسان(7). تلك الأنماط تُحصَر في مفاهيم أربعة هي: الإطار Frame، والمدوّنة/ المدار Protype، والسيناريو/ المخطّطات الذهنية

---

(1) ينظر: ليش، جيفري وَ توماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)، ضمن: الموسوعة اللغوية، تحرير: ن. ي. كولنج، تر: محيي الدين حميدي، وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ط1، 1990: 189/1-190، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د. ط، 1992، ص34، 57، وينظر: Newmeyer, F.J. (1986): Linguistic Theory Of Amirica Academic Press. Inc. Orland London.p191،

نقلا عن نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص28-29، وينظر: www.mohamedrabeea.com/books/book1_441.doc موقع أ.د محمد سعيد ربيع الغامدي، مقالة إكترونية، آل حماد، ليلى، المقاربة التداولية، ص8.7.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص28.

(3) ينظر: نفسه.

(4) ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 176/1.

(5) ينظر: نفسه: 175/1-176.

(6) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص62، وينظر: أبوخرمة، عمر، نحو النص، ص93.

(7) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص373-375، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص62.

Script ، والخُطاطَة/ الأنساق الذهنية[1] Schema. ولما لم ير الباحث – وَفق مراجعه – مَن عَنوَنها؛ فإنه وَسَمها بـ" أنماط تمظهر الافتراض المسبق وتنظيم معرفة العالَم في الذاكرة"[2]. إليك تَجلية لمفاهيم تلك الأنماط.

يعرّف "الإطار" بأنه: طريقة يُمثَّل بها الافتراض التداولي المسبق، بوجود قوالب (وضعيات) مسكوكة (جاهزة) في ذهن المتلقي، ناتجة عن معرفته بالعالم، يقوم من خلالها بتكييف المُعطى الجديد بتغيّرات، وتحويرات على تفاصيل عند الضرورة، أي: استحضار كل البيئة المحيطة بالمرجع في الواقع كخبرة سابقة، يُوَظّفها المتلقي في فهم الرسالة/ النص[3]. (إنه: القوالب الجاهزة).

ويُضبَط مفهوم "المدوّنة" بأنها: جزء من الإطار، يُعنى بتأكيد أن ما يُفعل من الإطار هو التابع القريب، مع استبعاد التابع الأبعد[4]. (إنها: استبعاد الأبعد).

ويُحدّ "السيناريو" بأنه: استغلال المتحدث/ الكاتب للمقدّمات المناسبة، الظروف المحيطة، والمواقف؛ كي توصله إلى تنشيط الإطار المناسب أثناء عملية التواصل[5]. (إنه: الظروف المنشِّطة للإطار).

وتُحدَّد "الخطاطة" بأنها: استغلال المتحدِّث/ الكاتب للبنيات المعرفية التي تضمّ توجّهات

---

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص373–395، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص63، وينظر: أبوخرمة، عمر، نحو النص، ص93.

(2) أعترف بأن العنوان طويل؛ لكنّني أراه جامعًا مانعًا. ومع وجود ذاك الطول؛ إلّا أن عُذر الباحث هو أن عنونته تلك محاولة مؤقّتة اضطُرّ لها؛ حتى يضمّ تلك الأنماط في عنوان واحد، خاصّة وأن صوغ عنوان مناسب يحتاج إلى استقراء أكثر، ربّما يكون ذلك في دراسة أخرى، أو يسبقني إليها أحد من الباحثين؛ فيكون هذا العنوان مرآة لعنوانه المناسِب.

(3) ينظر: أبوخرمة، عمر، نحو النص، ص93.

(4) ينظر: نفسه.

(5) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص386–388، وينظر: أبوخرمة، عمر، نحو النص، ص93.

حتمية (خلفية ثقافية/ أحكام مسبَقة، تقودنا إلى التوقّع راسخة في الذهن، يصعب تغييرها[1])، ضمن ثقافة الفرد، وجنسه، وهي من ثَمّ تُعِدّ المتلقي لتأويل النص بطريقة ثابتة[2].(إنها: الخلفية المسبَقة والتوقّع).

وحيث إن هذه المفاهيم الأربعة تعتمد كثيرًا على علم النفس العرفاني والذكاء الصناعي؛ و لأنها عمل تلقائي، يقوم به الإنسان يخصّ ذاكرته، ولايظهر في الواقع، وجميعها يوصلنا إلى فكرة واحدة تقريبًا، لذلك؛ كله فإنّني أكتفي بحديث عاجل عنها، ولن أتعرّض لها إلّا إذا دعت الحاجة إلى الاستعانة بها عند التحليل.

أبدأ الآن بالتطبيق والتحليل، مُحاولًا تجلية التنظير المنثور السابق إن شاء الله. إليك شاهديْن يمثّلان شواهد الافتراض التداولي المسبق داخل رباعية الكوني.

<u>"وقف في مدخل الزريبة وسأل إحدى النساء عن حال العجوز المحمومة فأجابت بأنها في أسوأ حال</u>"[3].

من النصّ فوقُ نلحظ أن الكوني يضع بينه وبين المتلقّي أرضيّةَ معلوماتٍ ذهنيّة، أو ما يُعرَف عند التداوليين بـ"الافتراض التداولي المسبَق"؛ وذلك من خلال الاعتماد على أن المخاطَب قد لاحق السياق اللّغوي والخارجي السابقيْن للنصّ[4]. يتمثّل هذا الافتراض التداولي المسبَق بمعرفة القارئ للواقف في مدخل الزريبة، وهو الشيخ غوما، وتتمثّل أيضًا في معرفة المكان المسمّى

---

(1) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص389-390، وينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص67-68.

(2) ينظر: نفسه.

(3) الخسوف: 33/1.

(4)ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص61، وينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص177-178.

"الزريبة"، وهو البيت في العُرْف اللّغوي لأهل الصحراء(1)، وتتّضح كذلك في معرفة القارئ للعجوز المحمومة، وهي الزنجية خادمة الشيخ غوما ومربية حفيده، وأن إصابتها بالحُمّى معلومة عنده مسبَقًا كذلك.

إذن هذا هو العالَم المشترَك الذي أوجده الكوني بينه وبين المتلقّي، أو لنقل: ما أراده الكوني افتراضًا تداوليًا مسبَقًا، معتمِدًا على ظروف النص(السيناريو)، مرتَّبًا بعناصره الشخصيّة والمكانية(2).

وقد اعتمد الكوني في افتراض ذلك العالَم في شعور المتلقّي على دوالّ لسانية في السياق الداخلي لنصّه، هذه الدوالّ هي: الضمير المستتر في "دخل"، والتعريف في "الزريبة"، والوصف في "المحمومة"، طالبًا منه بطريقة غير مباشرة توقّع تأويل النص (الخُطاطة)(3).

وعطفًا على ما سبَق فإن معنى ذلك أنه على القارئ؛ وحتى يفهم نص الكوني، عليه أن يختار من المخزون الهائل من معلوماته الذهنية (الإطار) ما يتلاءم ونص الكوني المواجه (المدوَّنة)(4). كما أن عليه أن يتحصّن بأخبار مجتمع أهل الصحراء اللّيبية، أي: معرفة السياق الخارجي للنص، وخاصّة السياق الاجتماعي له(5).

---

(1) معنى كلمة زريبة –وجمعها زرائب وزِراب– في أصل وضعها اللّغويّ هو حظيرة الماشية. مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط،(مادّة ز ر ب) د م، القاهرة، مصر، د. ط، ص176. وهذا هو معناها عندنا في مدينتي مصراتة ، وربّما الساحل اللّيبي كلّه؛ لكنّني سألت صديقًا لي من وسط ليبيا، من واحة ودان تحديدًا، وهو محسوب على أهل الصحراء؛ فأكّد لي أنه يستخدم "زريبة" بمعنى البيت في المزرعة، وهو ما يتّفق مع سياق النصّ هنا.

(2)ينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص178–179.

(3)ينظر: نفسه، ص177–178.

(4)ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص62.

(5)ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26.

ومن ذلك كلّه تتضّح أهميّة هذه المعرفة المسبقة/ الخلفية في أنها تكسر العلاقة المتوّترة (من حيث الفهم، وعدم الفهم) بين النصّ والملقي؛ ما يجعل الأخير يشعر بإمكانية تأويل النص وفهمه(1).

شاهدٌ تداوليٌّ آخر من رباعية الكوني عن الافتراض التداولي المسبق أسوقه في الأسطر تحتُ؛ لكن بصورة عَجْلى؛ تفاديًا للتكرار.

"قال آيس وهو منطرح على بطنه في مواجهة زارا التي ارتدت ثوبًا ورديًا ووضعت على رأسها طرحة زرقاء قاتمة منشغلة في رتق ثوب وضعته في حجرها:

– سوف أتزوج باتا. رمقته بفضول بطرف عينها، ابتسمت واستمرّت في رتق الثوب في هدوء قالت بعد صمت طويل:

– ولكنها تكبرك بأكثر من عشر سنوات. إنها في عمر المرحومة أمك. أو أكثر.

– هذا لا يهم إنني أحبها.

أذهلها عناده، وصمتت وهي ترمقه بين الحين والآخر. ثم حدقت فيه وقالت فجأة:

– أنت حقًا ابن أبيك وحفيد جدك. لقد أحبها أباك(2) بنفس الاندفاع الذي أحبها فيه جدك.

– من؟

أمي. باتا!

أنصت لثغاء الجديان وضجيج حوار المعز المتنقلة بين الأشجار والأعشاب. تساءل:

– حتى جدي؟

---

(1) ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص62.

(2)"أباك" هكذا وردت في نصها، ولعل الكاتب أرادها على لغة من يُلزم المثنى الألف، أو علّه سهو من الطابع.

قالت وهي تنظر إلى الأفق:

حتى جدك.كل الرجال يعشقون باتا![1]

يوجّه الكوني نصّه أعلاه إلى السامع على أساسٍ ممّا يَعتقد سلفًا أنه معروف عنده، فالمفترَض سلفًا أن شخصيات آيس، ووالده وجدّه، وزارا وباتا معلومة عند المتلقّي، كما هي مفاهيم الحُبّ والعشق والأُفق[2]، كما يفترِض الكوني عِلم المتلقّي بعدم قبول المجتمع الصحراوي اللّيبي بزواج الفتى صغير السنّ من المرأة التي تكبُره، وهو ما دلّت عليه العبارة التي أعطاها الكوني لشخصيّته زارا، وهي تقول مُستنكِرة:"ولكنها تكبرك بأكثر من عشر سنوات. إنها في عمر المرحومة أمك. أو أكثر".

كما أن الاستخدام الثاني للحرف (حتى) –الذي أعطاه الكوني لشخصيّته زارا– احتوى على افتراض تداولي مسبق عند المتلقّي، تَمثل في معرفة المتلقّي المسبَقة بأن جَدّ آيسَ متميّز عن غيره من الرجال عامة –بما فيهم والده– في عدم وقوعه في هذه الشهوات[3].

وهكذا يَفهم المتلقّي من خلال الافتراض المسبَق الذي أسّسه الكوني من خلال استثمار الرابط الاستدلالي اللّساني(حتى) أنه ربط بين قصديْن تداوليّيْن داخل النص[4]، هما، الأوّل: كونُ جميع الرجال في المجتمع الصحراوي اللّيبي يمكن أن يقعوا في حُبّ النساء، والثاني هو: أن شرَك الحُبّ هذا، يمكن أن يقع فيه حتّى الزعماء والفرسان؛ ذلك أننا عندما ننظر إلى وضعية معنى

(1) الخسوف: 99/1، وقد يتساءل القارئ لم كرّر الباحث الجزء العلوي من النص؟ فأجيب لغايتين هما: حتّى نفهم أن نص الكوني قد يحمل أكثر من شاهد تداولي، وحتى آتي بفكرة النصّ كلّها.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26. ويمكن الاطّلاع على ملخّص للتعريف بشخصيات الرواية في تمهيد هذه الأطروحة.

(3) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص31.

(4) ينظر: كروم، أحمد، الاستدلال في معاني الحروف، ص256.

الحرف (حتى) في سياقه نستخلص علاقتيْن تراتبيتيْن حجاجيّتيْن تداوليّتيْن تكون إحداهما أقوى من الأخرى، خصوصًا وأنهما يهتمّان بقصد الكوني من النصّ عمومًا[(1)].

ومن ثَمّ يستثمر المتلقّي أداة السلّم الحجاجي (حتى) في تأويل النصّ[(2)]، ولا يَستغرب من الاستفهام التقريري، ذاك الفعل الحجاجي التداولي[3]، الذي ساقه الكوني على لسان آيس (قوله: حتى جَدّي؟)؛ وذلك نتيجة عِلم المتلقّي المُسبَق بحُسْن السيرة الذاتية لجَدّ آيس داخل المجتمع، أي: نتيجة السياق الخارجي، الاجتماعي منه بالذات.

ومن ذلك كلّه نُثبِتُ المسلّمة التداولية التي تقول: إن الافتراض التداولي المسبق مُرتبط بالسياق اللّغوي للنصّ، وسياق حاله، وعلاقة المتكلّم/ الكاتب بمخاطَبه[(4)].

وأَلفتُ الانتباه أخيرًا إلى أن شاهر الحسن ينبّهنا إلى علاقة الافتراض التداولي المسبق تلك بما يسمّى في القصص الروائي بوجهة النظر، التي تشمل: مدى أهلية الراوي، ودرجة حضوره، ومشاركته في القصة أو القضية المطروحة[(5)].

حيث نجد روائيين –في مستهلّ صفحات رواياتهم– يجعلون بينهم وبين القارئ رابطًا؛ فيُعرِّفون بالشخصيات، ويَذْكرون أزمان الأحداث وأماكنها، ومن ثَمّ تُكوِّن هذه المعلومات أرضية مشتركة(معرفة مشتركة) بين الراوي والمتلقي[(6)].

---

(1) ينظر: نفسه، ص263.

(2) ينظر: نفسه، ص199، 263، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص386، 517.

(3) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص485.

(4) ينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص176، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26.

(5) ينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص177–178.

(6) ينظر: نفسه.

ويبدو لي أن الكوني في رباعيته لم يقدِّم لقارئه هذه المعلومات الخلفية في غُرّة روايته؛ لأنه لم ير ضرورة تقديمها؛ وليشوِّق القارئ عن طريق عنصر المَفْجأة؛ وحتى يغوص الأخير في ثنايا الرواية، ويسبر أغوارها بمفرده؛ وليعقد معه شراكة فعليّة في البحث والاستنتاج.

المطلب الثاني: الأقوال المضمَرة (المفهوم[1])

تُمثِّل الأقوال المضمرة مجموعة المعلومات الخطابية غير الظاهرة على السطح النصيّ إلا بفعل التأويل السياقي للرسالة/ الخطاب/ النص[2]، وتعرّفها أوركيوني بقولها هي: "كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهين خصوصيات سياق الحديث"[3].

إيضاحًا لما سبق اقرأ الشاهد الآتي:

"[...] واكتشفت الزنجية العجوز هرويه المتكرر من المدرسة. في البداية أخفت عنه الحقيقة ولم تخبره بأمر زياراته لباتا إلاّ بعد أن فوجئ بالشيخ آهر -في جلسة إحدى[4] العشيات التقليدية حول مائدة الشاي الصيني الأخضر -يميل نحوه بكل جسمه ويهمس في أذنه:

- الناس لا يكفّون عن ترديد الشائعات.

رفع غوما حاجبيه مستفهمًا فأضاف آهر وهو يحافظ على نفس وضع جسمه المائل نحوه:

- يقولون ان[5] آيس يقضي الوقت الذي يجب أن يصرفه في المدرسة في بيت باتا، فهل هذا صحيح؟

---

(1) ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص69.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص30، وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص99.

(3) C.K.Orecchioni.Op.ctt.p.39 نقلًا عن بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص118.

(4) "احدى" وردت في نصها هكذا، من دون همزة قطع.

(5) "ان" وردت في نصها هكذا، من دون همزة قطع.

ومض استنكار طارئ في عيني الشيخ غوما ولكنه أخفى عينيه بلثامه المخطط ورفع رأسه دون أن ينطق بتعليق.

ولكن آهر عاد يقول وفي صوته رنّة اعتذار ربما ليخفف من وقع الخبر على الشيخ غوما:

- هكذا يقولون. لقد رأيت أن أحيطك علمًا بالشائعات التي تمزّق سُمْعتُك ياشيخنا. سُمْعتُك سُمْعتُنا كما تعلم.

شعر بالحرج فاستنجد، ببصره، بالشيخ خليل الذي ظلّ يخطط الأرض بسبابته ويسترق النظر إليهما بين حين وآخر دون أن يشارك في حديثهما الهامس.

فوجئ الشيخ غوما ولكنه جاهد واستطاع أن يكتم انفعاله. قال بهدوء:

- حاول ألاّ تعير اهتمامًا كبيرًا لما يقوله الناس. إنهم ميّالون -بطبيعتهم- إلى تقطيع لحم الآخرين"(1)

قصة النص توضح أن آيس (حفيد الشيخ غوما) أخذ يرتاد بيت باتا (المرأة المعروفة بانحلالها في القبيلة) بدل الذهاب إلى المدرسة، وجَدّه لا يدري، حتى أعلمه الشيخ آهر، بقوله:"- يقولون ان آيس يقضي الوقت الذي يجب أن يصرفه في المدرسة في بيت باتا، فهل هذا صحيح؟". رسالة الشيخ آهر تلك هي محل الشاهد التداولي، الذي يعنينا هنا.

فالقارئ لا شكّ أنه سيتساءل في نصّ الكوني أعلاه: هل أراد الكوني وهو يستنطق "آهر" الإجابة بنعم أو لا، وكفى؟ أم أنه خرج عن هذه القصدية إلى قصدية أخرى، كالطلب من الشيخ غوما إيقاف الأمر، أو لَوْمه؛ لتَسيّبه مع حفيده، أو الإعجاب بما فعل حفيده، أو التهكّم، أو الاستهزاء، أو...(2).

(1) الخسوف: 15/2-16. مع تصرّف في الضبط.

(2) ينظر: شاهين، أحمد فهد، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص26.

إذن قائمة التأويلات مفتوحة مع اختلاف الملابَسات السياقية التي تقترن بها لحظة التلفظ[1]؛ لكن مع هذه القائمة من التأويلات المفتوحة، يطرق بالنا سؤال مُلِحٌّ، ما المانع من وقوعنا في فخّ التأويلات الخاطئة؟

حقيقةً بعد الاطلاع على السياق العام لقصة الحدث، بما فيه من سياق داخلي يحتوي على علامات ترقيم ونبر وتنغيم، ودوالّ لسانية كالاستفهام، وسياق خارجي بما يحتويه من سياق اجتماعي، بعد ذلك الاطلاع لا يمنعنا من كل التأويلات الخاطئة للاستفهام إلا وضْعه تحت مَشرحة المستوى التداولي[2]، حيث يتأكد القارئ أن خلف الكوني على لسان شخصيّته "آهر" يَقبع قولٌ مضمَر، قصدُه التداولي[3]: أوقفْ زيارات حفيدك أيها الجد إلى تلك المرأة، أوقف هذه الفضيحة، تدبّر أمرك، وقد جاء هذا القول المضمر –في رأيي– في صورة استفهام حقيقي (يُجاب فيه بـ نعم أو لا) ؛ حتى يخفِّف من وقْع المصيبة ، وحتى يكون مؤدَّبًا في حديثه [4]، وبدليل قول الكوني على لسان آهر بعد ذلك في الحوار نفسه:

(1) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص32.

(2) الحباشة، صابر، الحباشة، من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات، دمشق ، سوريا، ط1، 2009، ص22. وبناء على استقرائي أعرّف المستوى التداولي بأنّه: "المستوى الذي نركّز فيه على السياق والمقام والافتراض التداولي المسبق ومعرفة العالم والمعرفة المشترَكة والمبهمَات والقواعد الخطّابية والأفعال الكلامية وكل ما يخصّ التأويل التداولي". ينظر: خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص29، وينظر: دايك، فان، النص والسياق، ص305، وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص255-264، وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضمن: التداوليات، ص159، أو هو باختصار "كل ما يركِّز على وظيفة العبارة"، ينظر: الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص47، وينظر: الحباشة، صابر، مدخل إلى الأبعاد التداولية في قراءة الشروح البلاغية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، د ب ت، ع100/25، ص165.

(3) القصد التداولي هو: إيراد الملقي لملفوظه على نحو مخصوص، مفيدًا المتلقّي معانيه التي يريدها. ينظر: مقبول، إدريس، الأفق التداولي، ص28.

(4) أي: توظيف مبادئ غرايس. ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص70، وينظر: الحديث عن الكفاءة التداولية في مُستهلّ هذا الفصل.

– "هكذا يقولون. لقد رأيت أن أحيطك علمًا بالشائعات التي تمزّق سُمْعتُك يا شيخنا. سُمْعتُك سُمْعتُنا كما تعلم".

وقوله: –"حاول ألاّ تعير اهتمامًا كبيرًا لما يقوله الناس. إنهم ميّالون –بطبيعتهم– إلى تقطيع لحم الآخرين".

وبهذا تُسَد هُوَّة التمام السياقي في تأويل هذا النص، أي: المعاني التي لم نفهمها إلّا من خلال سياقها[1].

إذن هذا هو النمط الثاني من متضمَّنات القول (الأقوال المضمَرة) ويُفرَّق بينها وبين الافتراض التداولي المسبق بأن الأخير يُحدَّد على أساس توفّر المعلومات الذهنية المفترَضة في الذاكرة بين الباثّ والمتقبِّل، المدرَكة من السياقيْن الداخلي والخارجي؛ لمساءلة ظاهر النصّ، في حين تُحدَّد الأقوال المضمَرة على أساس توفّر السياقيْن الداخلي والخارجي؛ لمساءلة مضمّن النص، وليس كما يقول صحراوي من أن الفرق هو وضعية الخطاب (السياق الداخلي) ومقامه. يقول صحراوي:"الأقوال المضمرة [...] هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يُحدد على أساس معطيات لغوية"[2]، ويبدو لي أن [بوقرّة] وقع في هذه المغالطة أيضًا. يقول بوقرة:"ذلك أن الأول [الافتراض التداولي المسبق] متولد

(1) يستعمل التداوليون التمام السياقي كأداة رئيسة في التأويل، ويعرّفونه بأنه:" إكمال معنى الملفوظ بالنظر إلى سياقه". ينظر: مقبول، إدريس، الأفق التداولي، ص155، وينظر: تمهيد هذا البحث، حيث سبق الحديث عن التمام السياقي.

(2) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص32.

عن السياق الكلامي[السياق الداخلي[1]] بينما يتولد الثاني[الأقوال المضمَرة] عن ملابسات الخطاب وفحواه. إنها باختصار ممايَزة بين الداخلي والخارجي"[2].

والحق يقال: إن الاستعانة بالسياقيْن الداخلي والخارجي في الافتراض التداولي المسبق لا بدّ منها، والدليل تحليل الباحث في المطلب السابق، ومراجعه التي اعتمد عليها. يقول شاهر الحسن: "والافتراض المسبق مفهوم براجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام"[3]. ويقول نحلة: "وكل ذلك [الافتراض التداولي المسبق] موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب"[4].

كما أن هذه الاستعانة بالسياق الداخلي بما يحتويه من علامات ترقيم ونبر وتنغيم ودوالّ لسانية كالاستفهام، وبالسياق الخارجي بما يحتويه من سياق اجتماعي، هذه الاستعانة لا مناص منها في الأقوال المضمَرة، كما اتّضح في هذا المطلب عند تحليل عبارات الكوني.

وعليه، فلا يصلُح السياق فيْصلًا بين النّمطيْن، أعني: الافتراض والأقوال، وَفق ما اتّضح للباحث.

المطلب الثالث: الاقتضاء التداولي:Implicature Pragmatic

إخال أننا في حوارنا مع الآخرين نستشفّ أن معظم الدوالّ اللّسانية التي نَلفظها، ونريد فهمها تقتضي منّا ربطًا آنيًّا في أذهاننا بدوالّ لسانية أُخرى؛ وبذا يتسنّى لنا فهمها. هذا الربط الذهني هو ما يُعرف في اللسانيات بـ "الاقتضاء التداولي".

---

(1)ينظر: صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضِمن: التداوليات، ص29، وينظر: تمهيد هذا البحث عند الحديث عن مصطلحات السياق الداخلي.

(2) بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص99.

(3) الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص176".

(4) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26.

لِسانيًّا عُرِّف الاقتضاء بأنه: "مطالبة المعنى لغيره كأنه ناطق بأنه لابدّ منه"[1]، ومن هنا فهو نوع من الاستلزام[2] Entailment "قضية الترتّب على..."[3].

وقد تُرجم الاقتضاء في اللِّسانيات بمصطلحات عدّة، هي: التضمين، والإضمار، واللزوم، والافتراض، والاستلزام، والإيماء، والترابط[4]؛ إلاّ أنني أجد أقواها -علميًّا، ولغويًّا- مصطلح "الاقتضاء" دون غيره؛ لأنني أزعم بأنه الوحيد الذي لا يلتبس بغيره، زيادة على سهولة فهم معناه من لفظه (اقتضاء= شيء يقتضي شيئا آخر).

لقد توطّن الاقتضاء، واشتهر في علم الألسنية؛ حتى تعدّد وتفرّع؛ وصرنا نسمع بـ: الاقتضاء الصوتي، حيث المورفيمات تقتضي الفونيمات[5]، والاقتضاء البنائي الصرفي، حيث اقتضاء الصيغ للمورفيمات[6]، والاقتضاء التركيبي، حيث اقتضاء العلاقات الإعرابية كالإسناد، والتخصيص، والنّسبة، والتبعية[7]، والاقتضاء السياقي بمحاوره الثلاثة: الأسلوبي، والدّلالي، والتداولي[8]، حيث الاقتضاء الأسلوبي، وتفصيل اقتضاء المكوّنات الأسلوبية الخبرية، والإنشائية[9]، وحيث الاقتضاء الدّلالي، ودرس اقتضاء الظواهر الدّلالية (كالترادف= تعدّد الدّوالّ المُشيرة إلى

---

(1) العسكري، أبوهلال، الفروق اللغوية، تح: محمد سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د. ط، 1997، ص289.

(2) ينظر: اجعيط، نور الدين، تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص81.

(3) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993، ص221.

(4) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص30.

(5) ينظر: نفسه، ص61، وقد سبق التعريف بالفونيم والمورفيم في الفصل الأول.

(6) ينظر: نفسه، ص167.

(7) ينظر: نفسه، ص233.

(8) ينظر: نفسه، ص317.

(9) ينظر: نفسه، ص279.

مدلول واحد، والمشترك= اتّفاقٌ في اللفظ مُشافهة، أو كتابة فقط، أو كليهما معًا، والتضاد= أن يكون للدّالّ الواحد معنيان مُتضادّان[1])[2].

وأخيرًا الاقتضاء التداولي مُصطلحنا الرئيس، الذي أحاول تجليته تنظيرا وتطبيقًا من خلال شواهد رباعية الكوني في هذه السطور بعون الله تعالى.

يعرّف الاقتضاء في التداولية اللغوية بأنه:"علاقة بين جملتين أو قضيتين يقتضي صدق الأولى منهما صدق الثانية"[3]. وبأنه: "سَوْق العبارة اللغوية لغاية استصدار حُكْم، أو نِسْبة من فحواها على جهة الاستنباط، بشرط وجود عناصر لغوية تقتضي ما لم يُعبَّر عنه من معان مُضمَرة"[4].

وقاعدته العامة: "التعبير "ع" يقتضي –تداوليا– جملة قضوية" ك" إذا كان "ع" شيْئًا مُناسِبًا ومُتملَّكا [= له معنى خاصّ في مقام ما[5]] للحالة التي يُشكِّل فيها" ك" معرفة مشترَكة بين المتخاطبين"[6].

---

(1) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، مصر، د. ط، 1977، ص 456، وينظر: اوغنت، هفنر، الأصمعي السجستاني ابن السكيت، ثلاثة كتب في الأضداد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د. ط، 1912، ص72، وينظر: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص98-99، 135.

(2) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص329، وينظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، العراق، د. ت: 197/2.

(3) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص29.

(4) أزاييط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي – هندسة التواصل الإضماري –(من التجريد إلى التوليد) توليد المعاني المضمرة وفق أنحائها الملائمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012: 47/1. بتصرّف في الضبط.

(5) ينظر: أزاييط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي: 123/2-124.

(6) نفسه: 40/3. بتصرّف في الضبط.

وهو لساني، بمعنى أنه يَتمّ إدراكه عن طريق العلامات اللغوية (الدّال+ المدلول= الكلمة) التي يتضمّنها القول[1]، وهو عملية استدلالية تداولية؛ لأن فيه طلبًا ضِمنيًّا للدليل؛ حيث إن الاستدلال= طلب الدليل[2]؛ ولأنه يتحدّد بكونه استدلالًا مسجَّلًا في الشفهي، والمكتوب[3]؛ ولأن الاستدلال التداولي ينص على أن المتحدِّث هو الذي يتواصل عن طريق الاقتضاءات، وأن المتلقي هو الذي يشخِّص تلك المعاني الموصلَة، عن طريق افتراضات عديدة، يفترضها هو في حينها، ووَفقا لما يسمع/ يقرأ[4]، كما أنه في مفهومه العام يشمل كل أنواع الاستدلالات التداولية[5].

أما فائدته الرئيسة فتظهر في أنه آلة تمكّننا من تفسير كثير من الأمور في النص، ومن خلاله يقدّم الملقي تفسيرًا صريحًا لمقدرته على أن يعني أكثر ممّا يقول بالفعل، أي: توضيح العبارات أكثر مما يُعبّر عنه بالمعنى الحقيقي للألفظ المستعملة، بلهَ اللاّمباشَرة[6].

والاقتضاء التداولي أنواع هي: العام، والخاص، والعُرفي، والتخاطبي، نسردها فيما يلي في صورة مَطالب لهذا المبحث، ومن خلالها نرصد الاقتضاء التداولي، ونتطلّع إلى وظيفته في رباعية الكوني.

ف1: الاقتضاء العام Generalized Implicature

---

(1) ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب، ص68.

(2)ينظر: الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، كتاب التعريفات، تح: عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، د. ط،1991، ص19، وينظر: الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تح: درويش، عدنان، والمصري، محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 2011، ص94.

(3) ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب، ص68.

(4) ينظر: Yule Pragmatics p40، نقلا عن النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص344، ولمعرفة المزيد عن الاقتضاء التخاطبي، ينظر: الفقرة الرابعة في هذا المطلب، والمطلب الأخير في هذا المبحث.

(5) ينظر: فاخوري، عادل،1989، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، م20، ع3 ص164.

(6) ينظر: نفسه، ص141، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص 340-341.

الاقتضاء التداولي العام هو اقتضاء يُنتج مع الدّوالّ التي لا يتغيّر معناها بتغيّر سياقها الخارجي؛ أيّ أن المَقام ليس من ضرورة الاقتضاء هنا. وهذا ما يميّزه عن الاقتضاء الخاص الذي سنجلّيه لاحقًا، كما أن استخدام دوالّ هذا الاقتضاء تُحترَم فيه مبادئ غرايس(الكمّ، والكيْف، والطريقة، والمناسبة)[1]، وهذا الاحترام هو الفيصل بين هذا الاقتضاء و الاقتضاء العُرفي[2] الذي سيأتي الحديث عنه لاحقًا.

ومن قبيل هذا النوع المقتضيات المتعلّقة بمبادئ غرايس، الحاصلة بين الدّوالّ المندرجة على نحو سُلّمي (scalar) من الأكثر إلى الأقل، بحيث يكون من ضرورة اللفظ أن السابق يستدعي/ يطلب/ يستلزم اللّاحق، ففي هذه السّلّميّة يقتضي الأقل سلب الأكثر[3]، وهذا يتوضّح – إن شاء الله– أكثر من خلال التطبيق على رواية الكوني في الشواهد الآتية:

<u>***"في ذلك الوقت جمع آهر أقطاب القبيلة وتشاور معهم طويلًا ثم رافق الشيخ خليل[4]. واقتحما على الشيخ غوما خيمته. نهض وأوقد النار ورش على رأسه بضع حفنات من الماء تخفيفًا للحرّ. وأسرعت الزنجية العجوز وأتت ببعض الفطائر وأقداح الحليب بمجرد أن رأت الشيخ يوقد النار في الخيمة"[5].***</u>

---

(1) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص164، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم ص344–345، وقد سبق الحديث عن مبادئ غرايس عند الحديث عن الكفاءة التداولية في توطئة هذا الفصل، وسيأتي الحديث عنها في الاقتضاء التخاطبي.

(2) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص164، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم ص347.

3 ينظر: نفسه، ص344.

(4) كذا في الأصل، والصحيح: خليلًا، ليس ممنوعًا من الصرف.

(5) الخسوف: 168/2.

إن قول الكوني: "*ورش على رأسه بضع حفنات* من الماء" يقتضي أنّ الرشّ لم يتمّ لكلّ حفنات الماء، بل لبعضٍ منها[1]؛ لأن البضع في العربية من ثلاثة إلى تسعة فقط، كما هو معروف في بدهيات النحو العربي، ومن هنا فالحَفَنات معدودة، ومحدودة، ومحصورة: لا تقِل عن ثلاث، ولا تزيد عن تسع، ولو كان الراوي في حالة تسمح له بإثبات الجملة الأقوى، أيّ أن كل الحفنات رُشَّتْ، لخالف قاعدة الكمّ الغرايسية (= القدر المطلوب)؛ لكن بما أن المتلقّي يفترض تعاون الكوني معه؛ ومِن ثَمّ عدم رغبته بخرقِ قاعدةِ الكمّ مِن دون تنبيهه إلى ذلك، فهو يعتبر أن الكوني يريد إبلاغه أنه ليس في حالة تُجيز له إثبات الجملة الأقوى، بل إنه يعرف أن ذلك الإثبات غير صادق، أيّ أنه بذلك سيخترق مبدأ الكيف الغرايسي (=الصدق)[2].

ولا يخفى أخيرًا بعد هذا التحليل كلّه أن نستنتج أن ذلك الاقتضاء لم نحتج فيه إلى الاستعانة بالسياق الخارجي بشكل واضح.

لاحظ قول الكوني أيضًا:" *وأتت ببعض الفطائر*" يقتضي عدم الإتيان بكلّ الفطائر؛ لأن إثبات البعض يقتضي سلب الكل[3]؛ ولأنه مع الدّالّة "بعض" يتدرّج المقتضى على نحو سلّمي من الأكثر إلى الأقل، بحيث إن السابق يطلب اللاّحق[4].

ومن ذلك القول نستدلّ بأن الدّالّة "بعض" (=الأقل) تقتضي سلب الدّالّة "كلّ" (=الأكثر)[5].

ومن شواهده أيضًا في رباعية الكوني:

"**<u>اضطر كونسا في الأيام الأولى أن يقيد زوجته بالحبال. أصيبت بالهستيريا وألقت بكل ما وقعت عليه يديها[1]. في وجهه وهي تتلفظ بالألقاب البذيئة: يلمع في عينيها الجنون وتتطاير فقاعات</u>**

---

(1) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص345.

(2) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص164.

(3) ينظر: نفسه، ص164.

(4) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص344.

(5) ينظر: نفسه.

الزبد على فمها وشفتيها. حاول الجميع أن يبعدوا كل الآلات الحادة: السكاكين، الفؤوس، المقصات، فوجدت طريقها إلى سلاح الشوك!"[(2)].

إن قول الراوي: "وألقت بكل ما وقعت عليه يديها[يداها] في وجهه" يقتضي أن الإلقاء تَم للبعض أيضًا[(3)]؛ لأن "كل" تفيد العموم والشمول، كما هو معروف في أساسيات البلاغة العربية، بحيث إن الكلّ يشمل البعض ("كل" تشمل "بعض").

كما أن قول الراوي: "حاول الجميع أن يبعدوا كل الآلات الحادة" يستلزِم أن الإبعاد قد تَم للبعض أيضًا؛ وذلك للأسباب المذكورة مِن علُ عند تحليل الشاهد السابق.

وهذه شواهدُ أُخرُ تحتوي دّوالّ، نجلّي ما فيها من اقتضاء تداولي عامّ، بقدر من الإيجاز؛ بناء على ما أجراه الباحث في الشواهد الفائتة.

- "وفي اليوم العاشر التحقوا بجيش الشيخ عبد النبي الذي قاد الحملة بنفسه، وبدأ الصدام في اليوم الثالث عشر واستمر أربعة أيام كاملة قبل أن يتقهقروا وتضطرّهم قذائف المدافع للانسحاب والاحتماء بجبل الحساونة"[(4)].

الشاهد الخاصّ بالاقتضاء العامّ في نصّ الكوني أعلاه هو كلمة "كاملة"، بمعنى أن بعض تلك الأيام حدث فيها استمرار المعارك أيضًا.

- "رشف غوما من الكوب الزجاجي الصغير المتوج برغوة كثيفة. قال وهو يمط شفتيه:

---

(1) كذا في النصّ، والصواب: يداها.

(2) الخسوف: 121/3.

(3) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص345.

(4) الخسوف: 29/1.

- آه... هذا شيء آخر. هذه نكهة إلهية[1]. هذا شاي لم أشرب ألذ منه. سبحان الله ما ألذه! سوف تعيرني منه حفنتين يا شيخ خليل. سأظل وراءك حتى انتزع[2] منك نصيبي. هذا إذا لم أتسلل إلى بيتك في الليل وأستولي على الكمية كلها التي اشتريتها من ذلك التاجر التباوي اللعين"[3].

الشاهد الذي يحوي الاقتضاء العامّ في نصّ الكوني أعلاه هو كلمة "حفنتيْن"، و"كلها"، أي : أن "حفنتيْن" تتلازم مع حفنة واحدة، و"كلّها" تتلازم مع بعض الكميّة.

- "تقول القصة أن[4]. الراعي إقتطع[5] جزءًا من قطيعه وقرر أن يسوقه أو يقايضه ببعض البضائع فانضم إلى قافلة متجهة نحو تامنغست ومنها إلى تمبكتو"[6].

- الشاهد الخاصّ الموضِّح للاقتضاء العامّ في نصّ الكوني أعلاه هو كلمة"جزءًا" وكلمة "بعض"، والاثنتان يقتضيان سلب "كل".

ف2: الاقتضاء الخاص Special Implicature

يُنتَجُ الاقتضاء التداولي الخاصّ بوساطة سياق خارجي(مقام) مُعيَّن[7]، كما أنه تُحترَم فيه مبادئ غرايس[8].

---

(1) قلتُ: مع احترامي للراوي؛ إلاّ أنني أرى أن في نسبة النكهة للإله جرأة على الذات الإلهية، وأراها جُملة غير صحيحة عَقَديا، ولا أتهم الراوي بشيء، وألتمس العذر له، وصَدَق الإمام مالك القائل: كلٌّ يُؤخذ منه ويُرد إلا صاحب هذا القبر، وصدق المثل القائل: لكل جواد كبوة، ويمكن للكوني أن يَسأل -وقد سألتُ- أهل العقيدة الوسطيين عن هذه العبارات، وغيرها؛ فيُعدِّل بنفس مطمئنة."إنْ أُرِيدَ إِلَّا الْإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ". هود:88.

(2) هكذا وردتْ كلمة "انتزع" من دون همزة قطع المتكلم.

(3) الخسوف: 127/1.

(4) كذا في الأصل بهمزة علوية.

(5) كلمة "إقتطع" طُبعتْ هكذا بهمزة قطع.

(6) الخسوف: 185/2.

(7) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص345.

(8) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص163.

ومن خلال استقراء الباحث لاحظ أن هذا النوع يعتمد على الشرط والتعليل كثيرًا؛ وأنه يعني طلب الدليل، وأنه حصول شيء مرتَّبًا عن شيء آخر، إنه باختصار صور استدلالية تعني: حدث كيْت وكيْت لأن كذا وكذا، وأنت قمت بكيْت وكيْت إذن أنت كذا.

وإيضاحًا تطبيقيًّا من رباعية الكوني أسوق هذا الشاهد:

"اقترب أخواد ومدّ أمامه ذراعه النحيلة الملوثة ببقع الدقيق وقطع صغيرة من العجين. قال:

- هيا! جرب! سوف نتبارى بلعبة الأذرع أولًا. سنرى إن كانت صبايا الثامنة عشرة داءً أم دواء!

أطبق غوما على ذراعه بأصابع يده متسائلًا:

- يجب أن نتفق على قانون اللعبة: هل يقضي القانون بنزع اليد مرة واحدة أم يجيز المحاولة؟

- مرة واحدة. المرة الأولى فقط.

- حسنًا. أنا على استعداد تستطيع أن تحاول انتزاع يدك!

أفلتت صرخة هائلة من صدر أخواد وهو يقفز في الهواء وينتزع يده من قبضة غوما.

قال وهو يلهث:

- هل رأيت؟ لقد قلت لك: عليك بالتسليم فيما يخص الصبايا، إنهن لا يهبن إلا القوة. وكل ما سمعته هو مجرد أساطير!"(1).

من خلال الاطلاع على السياق الخارجي الخاصّ بقصّة الحدث في نصّ الكوني أعلاه، نجد أن هناك ما يُشبه الشرط الضمني، محتواه المضمر هو: إن استطعتُ يا شيخ غوما أن أنزع يدي من يدك من المرة الأولى اقتضى ذلك أنني الفائز. ومن ذلك المضمَر يريدنا الكوني أن نستدلّ

(1) الخسوف: 116/1.

على ألاّ تأثير بالعجز على كبار السن من الارتباط بفتيات الثامنة عشرة[1]، وهذا ما حدث فعلًا؛ لاحظْ هذه المعومات الاستدلالية الحجاجية كما هي مضمّنة في سياق نص الكوني:

عندما وجد "أخوادٌ" (الشيخ الكبير في السن)"الشيخَ غوما" (صديقه، وشيخ القبيلة) يلومه – في أسلوب ظاهره هزل، وباطنه جِدّ –على الزواج من صبيَّة في الثامنة عشرة، ويتحدّاه في أنه لا يملك تلك القوّة العضويَّة التي تساعده على إقناع الفتيات بالارتباط به، قَبِل "أخواد" التحدّي. كان ذلك اقتضاء تداوليًّا خاصًّا؛ ومنه نعلم أن الاقتضاء يقدّم تفسيرًا صريحًا لمقدرة الناطق على أن يعني أكثر مما يقول[2].

تأمّل مَجرى الحديث في النص، الذي يحوي مقدِّمات الاستدلال التداولي، ولا ينفكّ من الخواطر المختلفة[3]، بمعنى خواطر الفشل والنَّجاح هنا (هل ينجح أم يفشل في تحدّيه؟). راجعه من جديد:

"اقترب أخواد ومدّ أمامه ذراعه النحيلة الملوثة ببقع الدقيق وقطع صغيرة من العجين. قال:

– هيا! جرب! سوف نتبارى بلعبة الأذرع أولًا. سنرى إن كانت صبايا الثامنة عشرة داءً أم دواء!"

وأخيرًا؛ ونتيجة طبيعية لهذا الاقتضاء التداولي الخاص يكون اليقين التَّداولي[4] في قول الكوني على لسان"أخواد":

– هل رأيت؟ لقد قلت لك: عليك بالتسليم فيما يخص الصبايا، إنهن لا يهبن إلا القوة. وكل ما سمعته هو مجرد أساطير!".

---

(1) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص345-346

(2) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص141.

(3) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص346.

(4) ينظر: نفسه، ويعرَّف اليقين التَّداولي بأنه: النَّتيجة الثَّابتة الصَّادقة، المتعلِّقة بالعمليات الاستدلالية، والنَّاتجة عن مضامين المقدِّمات، وهي آليّة يتوسَّل بها التَّقريب التداولي"الحُكْم القريب من المحقَّق". ينظر: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص202، 279، 282، 299.

وهكذا نسجّل تعويل السياق الخارجي الخاص على الاقتضاء التداولي الخاص، وتطعيم/ مدّ الأخير للمقام بالمعاني الإضافية في عملية التحليل اللغوي التداولي التي يستهلكها/ يوظّفها كل أطراف الخطاب عند موسم فتح سوقهم الكلامية[1].

ونتيجة نهائية، يُفضي هذا الإنتاج التداولي للمعاني الإضافية إلى تعلّق الاقتضاء بما وراء اللغة [2](Extra Linguistics)، حيث معنى المعنى كما يقول البلاغيون، والتداولية اللغوية كما يقول اللِّسانيّون.

وهذا شاهد آخر عن الاقتضاء التداولي الخاص، يمكن أن نُجريَه على شاكلة ما أجريْنا مِن علُ:

"قال غوما وهو يختطف حجرًا من الأرض:

– حسنًا. سوف أمنحك فرصة أخرى. يقال ان[3] تأثير الصبايا على البصر أقوى!

الصبايا تدمر البصر قبل أي شيء آخر!

واستدار يمشي عبر العراء حتى غاب في عتمة المساء.

عاد وهو يقول بمرح:

– هل تستطيع أن تصيبها من هنا؟ هذا امتحان عسير يا شيخ أخواد. هذا امتحان لا يقارن بترويض بنات الثامنة عشرة في الفراش.

تناول أخواد بندقيته من بين الأمتعة المكومة بجوار آهر وقال وهو يصوب:

– ولكن الدنيا ظلام. إنني لا أرى شيئًا.

---

(1) ينظر: Linguistics Terms and Concepts p150, Linguistics ,David Crystal p257، نقلًا عن النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص346.

(2) ينظر: نفسه.

(3) هكذا وردت " ان" في نصها، من دون همزة قطع.

– حاول. عليك أن تعصر عينيك إن كان فيهما بقية من أمل. كم مضى من الوقت وأنت بعيد عن زوجتك الشابة؟ انطلق الدوي يخرق سكون الموت في الصحراء ولكن الحجر ظل منتصبًا.

ضحك غوما وهو يتناول البندقية:

– الآن سأريك كيف يعالج الأمر. يدي اليمنى مازالت تؤلمني ولكني سأريك برغم ذلك. صوب غوما واقفًا. انبثق الدوي. تردد صداه طويلًا في الخلاء.

الحجر انشطر إلى نصفين. ولكن أخواد لم يره . مشى كي يتأكد بنفسه وعاد بالحجر المشطور إلى نصفين.

قال وهو يلقي بشطري الحجر قرب موقد النار:

– إن عينيك أقوى من عيني صقر" [(1)].

من خلال سياق النص الخاصّ الذي وضعنا فيه الكوني يدرك القارئ شيئًا مترتّبًا عن شيء آخر هو: إن أصبْتَ الهدف أيها العجوز فإنّني أتيقّن من أن الزواج من صبايا العشرين لا يقضي بإصابة العجائز بالوهن؛ ولعدم إصابتك الهدف نستدلّ من ذلك أن هناك وهنًا؛ ولأنّني أصبْتُ الهدف وأنا غير مرتبط بإحداهن، إذن يكون سبب الوهن هو الارتباط بهنّ.

والملاحظ أخيرًا أن الكوني راعى السياق الحالي للنصّ في هذا الاقتضاء؛ ولولاه لما صحّ هذا الاستدلال وهذا الحُكم[(2)]، كما أنه لم ينتَهك مبادئ غرايس؛ فالدوال المُشكَّل بها الاقتضاء قليلة، ودالّة (الكمّ) وعلاقة الألفاظ بالحدث واضحة (المناسَبة)، والصدق متوفِّر (الكيْف) ولا غموض ولا التباس (الطريقة)[(3)].

ف3: الاقتضاء العُرفي Conventional Implicature

---

(1) الخسوف: 1/117–118.

(2) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص163.

(3) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص34.

الاقتضاء العُرفي عملية استدلالية غير مشروطة بالصدق(1)، تَنتُج من التركيز على المعاني المباشرة لمفردات لفظية مخصوصة في العُرْف اللّغوي و العُرف الاجتماعي(2)، ولا تَحتكم إلى قواعد التخاطب(3)، بما فيها مبادئ غرايس(4)، بمعنى أنها ترجع إلى الأدوات النحوية، والمفردات المعجمية المُتعارَف عليها بين أهل اللغة الواحدة، وننظر فيها إلى السياق والمقام.

مِن دوالّ الاقتضاء العُرفي: الأدوات النحوية –وما أكثرها في العربية!– مثل: لكنْ، وأمسِ، والأمسِ، وفاء التعقيب، وثُمّ، وكلّما، وما تفيده كلٌّ منها من معانٍ خاصة، متعلّقة بها، مصاحبة لها، ذاتيّة فيها، من غير الحاجة إلى نَظْم أو مقام. حيث تقتضي "لكنْ"، و"لكنّ" أينما وُجدتَا أن يكون ما بعدهما مخالفًا لما يتوقعّه السامع، وتنافرًا بين طرفي الموضوع المركّب(5).

و"أمس" تقتضي اليوم الذي قبل يومك، و"الأمس" أي يوم سابق غير اليوم الذي يلي هذا اليوم(6)؛ حتى قالوا في الألغاز النحوية الابتدائية: اسمٌ إذا عرّفته تنكّر، وإذا نكّرته تعرّف.

و"فاء" التعقيب تقتضي الترتيب من دون مهلة، و"ثُمّ" تقتضي الترتيب مع التراخي، و"كلما" تقتضي التكرار؛ لذا يُمنع تكرار تلفظها بين الجملتيْن المتتاليتيْن.

هذا نص من رباعية الكوني أستشهد به على ما نُظّر توًّا:

(1) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص164.

(2) ينظر: نفسه، ص165.

(3) سبق التعريف بها عند الحديث عن الكفاءة التداولية في غُرّة هذا الفصل.

(4) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص165، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص347.

(5) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص165، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33، وينظر: معوض، سليمان، حروف المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د. ط، 2008، ص154.

(6) ينظر: المبرد، أبوالعباس محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ط، 2010: 173/3.

"بلغوا مرتفعات الحمادة الحمراء الجنوبية فظهرت الغزالة في الأحراش اليابسة في السهل ومرقت أمام السيارة وهي تخرق الفضاء بقفزات رشيقة ولكن ابن الصحراء أصابها ببندقية الخرطوش ببساطة أدهشت زميله السردوك وأذهلت الرقريقي..." [1].

تقتضي المفردة "لكن" تنافرًا بين ما قبلها وما بعدها[2]، إذ ما قبلها وصف للطبيعة وظهور لغزالة، تسير مطمئنة في حال سبيلها، أما ما بعد" لكن" فهو كسرٌ لهذا الصمت، وهذه الرتابة، حدث مخالف للحكاية السابقة، وإن تعلّق بالموضوع نفسه، وعنصر مفاجئ في الحدث، خَرَق عنصر التوقّع لدى الحضور؛ حتى كان الذهول، والاندهاش، ومن هنا فالسرد السابق لـ "لكن" يستدعي –عُرفًا– أن الحاضرين لم يتوقّعوا خرق هذا الصمت[3].

من دوالّ الاقتضاء التداولي العُرفي أيضًا دوالّ الدلالة على المنزلة الاجتماعية[4].

هذا نص من رباعية الكوني أُوضح به الاقتضاء التداولي العُرفي في دلالته الاجتماعية:

"لاحظ غوما أن أصابع المحافظ ارتجفت. دسها خلف الطاولة قبل أن يقول:

- إنني أبوح لك بالأسرار كما ترى. إنني أودعك أسرار الدولة يا شيخ غوما. وما دمت قد أطلعتك على سرّ فلا بأس أن أطلعك على أسرار. التعليمات الواردة إلينا من طرابلس صارمة" [5].

شاهدُنا هو قول الكوني على لسان المُحافظ: "إلينا"؛ إذ استخدم الضمير"نا" الدالّة على جماعة الفاعلين، مُحيلًا على ذاته، بدلًا من ياء المتكلّم "إليّ"، مع أنه شخص مفرد كما نعلم من سياق نص الكوني، ولم يقصد الجماعة المسؤولة على المحافَظة، بدليل استخدامه دوالّ السياق اللغوي الأخرى، الدّالة على الإفراد، وهي: "إنني"، "أودعك"، "مادمتُ"، "أطلعتُك"، "أطلعك"؛ لكنه

---

(1) الخسوف: 51/3.

(2) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص165.

(3) ينظر: نفسه.

(4) ينظر: نفسه.

(5) الخسوف: 254/4.

جاز له هذا التبادل تداوليًا؛ لأن الضميرين متساويان من حيث شروط الصدق؛ ذلك أن استخدامه لـ "نا" هو تعبير صادق النّسبة إليه؛ يحمل المعنى المُضمر، واستخدام "ي" تعبير صادق النّسبة إليه أيضًا؛ يحمل المعنى الحرْفي[1]، بمعنى أن كلا الضميريْن يعود إلى صور منطقية صحيحة[2]؛ وقد اقتضى هذا الاستخدام علوّ منزلة على أخرى[3]، وطبعًا هذا العلوّ معنى مُضمّن، استلزمه استخدام "نا"، وهو أيضًا استدلال غير مشروط بالصدق[4]، بمعنى أنه لا يعتمد على صدق المعلومة، بل يعتمد على المعنى العُرفي للمفردات المُعجمية، وجميع صوره تعود إلى صور منطقية صحيحة[5].

وهكذا نسجّل أن هذا النوع من الاقتضاءات الذي استشْففناه من المعجم اللغوي الاصطلاحي، المتّفق عليه بين أهل اللغة الواحدة، وبما ينتجه لنا من معان تداولية متضمَّنة في المفردات المستعمَلة هو وسيلة من وسائل الاستدلال على قصديّة المتحدِّث[6].

ف4: الاقتضاء التخاطبي Conversational Implicature

يوصف الاقتضاء التخاطبي بأنه غير عُرفي، وهو يقوم بوظيفته التداولية، كآلة من آلات متضمَّنات القول، مرتِكزًا على مبادئ التعاون بين الملقي والمتلقي، أو ما يُعرف بالمبادئ التّخاطبية الغرايسيّة[7] (نسبة إلى غرايس)، وهي: الكمّ (المطلوب فقط)، والكيْف (المصداقيّة)، والعلاقة (الورود/ الملائمة)، والطريقة (لا غموض، ولا إلباس)[8]؛ ولأن هذه المبادئ هي ما دُرج عليه أيضًا

---

(1) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص165.
(2) ينظر: نفسه، ص153.
(3) ينظر: نفسه، ص165.
(4) ينظر: نفسه، ص164.
(5) ينظر: نفسه، ص153، 165.
(6) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص28-33.
(7) ينظر: النجار، أشواق،الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص347-348.
(8) ينظر: أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2011، ص99-100.

بمكوّنات الاستلزام الحواري فالباحث مضطرٌ لأن يدمج هذا الاقتضاء مع المطلب القادم، وهو الاستلزام الحواري.

المطلب الرابع: الاستلزام الحواري: Conversational Implicature

تَدرس التداولية اللغوية الاستلزام الحواري، الذي تصدّر ريادته الأمريكي بول غرايس، معتمِدًا على تعدّد معاني المنطوق الشفوي والمُدوَّن؛ إذ لحظ أن الكلمة/ الجملة/ العبارة تشي دائمًا بمدلوليْن، أحدهما ظاهري حرْفي دلالي، وآخر قَضَوي يقتضي بشكل خفيٍّ مُضمَّنًا تداوليًّا(1). سعْيًا خلْف إدراك هذه الاستلزامات اقترح غرايس مبدأ التعاون، الذي ينهض على حِكم Maxim أربعة هي: الكمّ، والكيْف، والطريقة، والمناسبة(2).

إن أهمية تلك الحِكم تعود إلى أنها تسمح باستدلالات تتجاوز دلالة الكلمات/ الجمل/ العبارات التي يُتلفّظ بها؛ ولذلك يخُصّ غرايس هذه الاستدلالات باسم "الاقتضاء التخاطبي"(3).

عُرّف الاستلزام الحواري بأنه: ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المُلقي للتّعبير عن قصده، مع ضمانه قدرة المتلقي على تأويله، وفهمه(4).

وهو أيضًا ذلك الاستلزام الناتج عن خرق قواعد الحوار في سياق خاص(5).

في هذا المطلب سأحاول تغطية الحديث عن المبادئ الغرايسية تنظيرًا، وتطبيقًا على رباعية الكوني، مع الحديث عن الاقتضاء التخاطبي، ودوره التداولي في الرباعية عينها، مع تذكّرنا دائمًا بأن المحورين (الاقتضاء التداولي التخاطبي، والاستلزام الحواري) يدخلان ضمن متضمّنات القول التداولية.

---

(1) ينظر: بوقرّة، نعمان، اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص196.

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص148.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص96.

(5) ينظر: نفسه، ص437.

لقد كان ما يشغل غرايس هو كيف يتأتّى أن يتحدّث الشخص بشيء، ويقصد به شيئًا آخر؟ ثم كيف يتأتّى أيضًا أن يسمع المخاطَب شيئًا، ويفهم شيئًا آخر؟ وقد وَجد حلًّا لهذا الإشكال في مبادئه الحوارية[1].

ومن منطلَق: "بضدّها تتميّز الأشياء"، أستهلّ بتوضيح حوار تطبيقي من رباعية الكوني خالٍ من الاقتضاء التداولي التخاطبي، وأثنّي بالكشف عن المبادئ الحوارية، مُطبِّقًا على رباعية الكوني أيضًا. إليك التوضيح :

"*في الزنزانة تفوح الرطوبة والعرق وأنفاس الزملاء. لا يبدد حلكة الظلمة سوى اضاءة[2] تنبعث من كوة صغيرة مثبتة في أعالي الجدار بالقرب من السقف. الكوة هي مشروع نافذة عارية يخرقها قضيبان متقاطعان. بادر عياش بكسر الصمت. تساءل دون ان[3] يرفع رأسه المنكس:*

- هل تألمت كثيرًا؟

حرّك آيس اطرافه[4] وتململ في مرقده قبل ان[5] يجيب: الحق اني[6] لا ادري[7]،[8].

الشاهد في هذا النص هو جواب الكوني على لسان "آيس"؛ ذلك أنه بجوابه الكافي الوافي ذاك حقّق مبدأ التعاون مع المتلقّي، كما تحقّقت كل المبادئ الحوارية[9].

لاحظ: أجاب بكل وضوح، وشفافية (الطريقة)، وكان صادقًا، مطابقًا كلامه للواقع (الكيف)، واستخدم القدر المطلوب من المفردات تقريبًا، فلم يدخل في الإطناب[1] على الأقل؛ ذلك

---

(1) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33-34.

(2) هكذا وردت "اضاءة" من دون همزة قطع.

(3) وردت"ان" هكذا دون همزة قطع.

(4) هكذا وردت" اطرافه" من دون همزة قطع.

(5) هكذا وردت" ان" من دون همزة قطع.

(6) هكذا وردت" اني" من دون همزة قطع.

(7) هكذا وردت" لا ادري" من دون همزة قطع.

(8) الخسوف:37/4.

(9) استفدتُ كثيرًا من تحليلات نحلة، وبدوح، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص35، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص161.

أن زيادته على أقصر إجابة (قوله: "لا أدري") كانت من أجل التفسير، والإيضاح[2]؛ لأنّ "استيفاء الفعل متعلقاتِه ليس من باب الإطناب، وإلاّ لكانت الجُملة الفعلية كلُّها منه؛ لاقتضاء الفعل مقتضياتٍ من المفعولات وغيرها، وإذا تُركتْ كان الفعل مُبهَمًا، وإذا ذُكرتْ كان مُفسَّرًا بها[3]" (الكمّ)، وكانت إجابته ذات صلة وثيقة بالسؤال (المناسبة)؛ ولذلك لم يتولّد عن إجابته أي استلزام حواري؛ لأن إجابته كانت من الدرجة الأولى، سطحية، مباشرة، وقال ما يقصده وهو الإخبار لا غير؛ وبذا لم يخرج عن القوة الإنجازية الحَرْفية الأولى[4]؛ ما أدخله في الاستلزام الأنموذجي، الذي التزم فيه بإجابة "لا أدري"؛ ذلك أن الاستلزام الأنموذجي لا يُخرج الإجابات الأنموذجية المباشِرة عن ثلاث، هي: "نعم"، أو "لا"، أو "لا أدري"؛ ما أَلزم المتلقّي –بعد التزام الكوني بمبادئ الحوار كلِّها، مِن دون خَرْق طبعًا– بأن يستلزم من إجابته عدم درايته فقط، مِن دون أيّ قصدٍ ضمنيّ مُبَطَّن[5].

في السطور تحتُ أحاول رصد المبادئ الغرايسية (الكميّة، والكيفية، والترابط، والهيئة)، وتجليتها، في صورة فقرات، مع التركيز على وظيفتها الاقتضائية التخاطبية، ودورها الحواري التداولي اللغوي.

---

(1) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص438، ويعرّف الإطناب بأنه: أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وبسط الكلام؛ تكثيرا للفائدة...، وفيه بلاغة، ينظر: الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، كتاب التعريفات، تح: عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، د. ط،1991، ص39، وينظر: الكفوي، أبو البقاء، الكليات، ص117، وينظر: العسكري، أبوهلال، الفروق اللغوية، تعليق: محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2006، ص47، 52.

(2) ينظر: مطلوب، أحمد، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، د. ط،1980، ص231.

(3) الجرجاني، محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997، ص136. مع تصرّف في الضّبْط.

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص35، وينظر: الشهري،عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص117، 123.

(5) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص432.

ف1: مبدأ الكمّ[1] Maxim of Quantity

يَفرض مبدأ الكمّ على المرسِل تهذيب الكمّ في رسالته المنقولة إلى المتلقي، بحيث ينسج خطّين متوازيين: خطًّا لـ"كمّ" المعلومات، وخطًّا لـ"كمّ" المفردات المستعملة[2]؛ فتَنتج علاقة توازن بينهما. هذا المبدأ باختصار هو ما يسميه البلاغيون: "المساواة بين الإيجاز والإطناب"[3].

يُخرَق هذا المبدأ عندما تُرسَل الرسالة الشفوية/ الكتابية بشكل غير صريح، بوساطة: الكناية، والتلويح[4]، و التعريض[5]، والرمز، والاستعارة، والإيجاز [6]، والتهوين[7]، والمغالاة/ المبالغة Hyperbole، وبما يؤشَّر له في الخطاب لفظًا، وبإغفال بعض ما يقتضيه الخطاب،

---

(1) هذا المبدأ قريب جدًّا من قول العرب: "خير الكلام ما قلّ ودلّ"، وأيضًا ممّا يوصينا به الأساتذة عند امتحاننا، وهم يقولون لنا: "أجب من غير اختصار مُخلّ، ولا إسهاب مُملّ".

(2) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص161.

(3) ينظر: نفسه، ص161-162، وتعرّف المساواة بأنها: تأدية المعنى بلفظ مساوٍ له، من غير زيادة ولانقصان. ينظر: التفتازاني، سعد الدين، شروح التلخيص، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت، د. ت: 3/159-255.

(4)التلويح: أسلوب تكثر فيه الوسائط بين اللّازم والملزوم: كثرة الرماد= كثرة الإحراق= كثرة الطبخ= الكرم. ينظر: طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية، دار العلوم، الرياض، د. ط،1982: م2/807.

(5) التعريض: ما يَفهم به السامع القصد السلبيّ تِجاهه من المُلقي من غير تصريح من الأخير. ينظر: الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تح: درويش، عدنان، المصري، محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 2011، ص70.

(6) الإيجاز: هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، وهو إيجاز حذفٍ: ما يكون بحذف حرف، أو كلمة، أو جملة، أو أكثر، مع قرينة تعين على معرفة المحذوف، وإيجاز قِصَر: وهو ما يراد به إكثار المعني من غير وجود حذف في التركيب، وإيجاز تقرير/ تقدير: ما ساوى لفظه معناه، بحيث لو قُدّر نقصٌ لتطرّق الخرم إلى المعنى. ينظر: التفتازاني، سعد الدين، شروح التلخيص، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت، د. ط: 3/159-255، وينظر: اليماني، يحيى، الطراز، تح: الشربيني، شريدة، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 2010: 2/69-104، وينظر: مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006. ص347.

(7) بحثتُ عن "التهوين" مصطلحًا في كتب البلاغة العربية، وفي الشبكة المعلوماتية، فلم أجده، ثم اتّصلت بأستاذنا الفاضل بجامعة اليرموك، أستاذ البلاغة والأسلوبية، د. فوزي القرعان، وهو في الأراضي المقدسة، بتاريخ 2012/11/15؛ فأجابني بصفريّة هذا المصطلح، وأن المؤلِّف لم يقصد بهذا اللفظِ الاصطلاحيةَ، إنما قصد الدلالة، أي: معنى التضعيف والتحقير -أعزكم الله!-، والقرينة ذكْره له مصاحِبًا للمبالغة والغلوّ.

وبالإطناب Redoundance، وبتحصيل الحاصل[1].

هذا شاهد تطبيقي من رباعية الكوني يوضح صورة من صور ذاك الخرق:

"ضحك فضل الله بخبث. قال بيقين:

- الحقيقة هي الحقيقة. لها خصائص لا تختلف عن خصائص الآلهة كثيرًا"[2].

الشاهد في هذا الحوار قول الكوني، متقمِّصًا شخصيّته الروائية "فضل الله":

"*- الحقيقة هي الحقيقة"؛ فهو* من أوضح الأقوال الخارقة لقاعدة الكمّ، وهو يدخل ضِمن ما يُعرف بـ: "تحصيل الحاصل"[3]؛ إذ يُلمِّح به الكوني إلى شيء متضمَّن، لا يدركه إلا هو والسامع/ القارئ غالبًا[4]، ومنه يستدل الأخير على اقتضاء تخاطبي لمعنى متضمّن، هو ثبوت الحقيقة في أي زمان وأي مكان[5].

"الحقيقة هي الحقيقة"، هذه الجملة التداولية خلتْ من التبليغ الواضح؛ لكنها حَملتْ معنى مضمّنًا في المكتوب/ المتكلَّم به، وَفق مُقتضى التداول اللغوي؛ إذ لا بدّ للمتلقي -والحالة قصور

(1) لمعرفة مفهوم كل هذه الصور، وكيفية خرقها لمبدأ الكمية، ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص437-439، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص349-354.

(2) الخسوف: 32/4، ومن خلال هذا النص أُشير إلى تناقض في أسلوب الكوني في رواية الخسوف؛ إذ تقبع شخصياته في روايته عن اللّيبيين أبّان العهود: التركي، والاحتلال الإيطالي، والانتداب، والملكي -وكلّنا يعلم أن اللّيبيين في كل هذه العهود شعب مسلم- ثُمّ تجده يستنطق شخصياته كثيرًا بتعدّد الآلهة، كما في نصّ المتن.

(3) تحصيل الحاصل: كلام يدّعي فيه صاحبه تقديم حجة، أو تفسير، فلا يقدّم سوى التكرار. ينظر: خليل، أحمد خليل، معجم المصطلحات اللغوية، ص116.

(4) ينظر: الشهري، عبدالهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص439.

(5) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص349.

الجملة على الإفادة المرجوّة، والملقي راغب في التعاون معه– من الوصول إلى اقتضاء يفيده في الاستدلال على ما ينبغي فهمه؛ وذلك لقصور تحصيل الحاصل في إفادة المُبتغى[1].

ومن هنا يفهم السامع –وَفقا للسياق العام، ومقارنتها بالآلهة على حدّ قول الكوني في النص– أن المُقتضى هو ثبوت الحقيقة، وعدم تغيّرها في أيّ زمان، وفي أيّ مكان.

ف2: مبدأ الكيفية Maxim of Quality

ينص مبدأ الكيفية على ألا تتحدّث بغير دليل، بمعنى التزام الصدق[2]، ويُخرق بالتهكّم[3] Satire والمزاح، والاستعارة Metaphor مع التهكّم، والمجاز المرسل، والأسئلة البلاغية Questions [4] Rhetorical، والتناقضات Contrdictions، والتعريض، والتلويح[5]؛ ما يجعل الكلمة/ الجملة/ العبارة تحمل معنى متضمَّنا؛ يقتضي بها الخروج من القوة الإنجازية الحَرْفية، التي هي معناها الظاهر الإخباري المباشر، إلى القوة الإنجازية المستلزَمة، التي هي القصد المقامي اللاّمباشر، التي منها يستدلّ السامع/ القارئ على قصد المتحدِّث/ الكاتب[6].

نلتفت في الأسطر الآتية إلى شاهد من رباعية الكوني، محتوٍ للاقتضاء التداولي التخاطبي، ومُخترِق لمبدأ الكيف.

---

(1) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص153، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص439.

(2) ينظر: عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص238.

(3) ما كان باطنه هزلًا، وظاهره جدًّا. ينظر: الكفوي، أبو البقاء، الكليات، ص253.

(4) حيث تحتوي على كثير من الأساليب البلاغية المخالفة للقيم المفهومية للحقيقة (المعنى الحرفي)، هكذا أجابني د. فائز القرعان، أستاذنا في البلاغة والأسلوبية بجامعة اليرموك في اتصال هاتفي معه، بتاريخ 0012/11/18؛ فجزاه الله عني خيرًا.

(5) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص437–441، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص356، 359.

(6) ينظر: الشهري، عبدالهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص117، 123، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص357.

"***ساد صمت. تواصل الصمت في سكون الصحراء المهيب كالموت.***

ولكن حشرجة النار وهي تبتلع الحطب استمرت"[(1)].

اختراق الراوي للكيف واضح باستخدام الكذب اللغوي -إن جاز التعبير-؛ ذلك أنه يستحيل أن تكون للنار خاصية البلع حقيقة، ومنطقًا، وعُرفًا، وسياقًا، ومَقامًا؛ لكن الكوني أراد توظيف الاستعارة المكنية على رأي البلاغيين[(2)]؛ إذ شبّه النار بالإنسان، أو بالحيوان، وحَذَفه، وأتى بشيء من لوازمه، وهو الابتلاع.

وإذ إنه حدث من النار صوت، فقد اقتضى ذلك تداوليًّا أن النار تقوم بفعلها الطبيعي، وهو الحرْق، ومنه يستدل السامع/ القارئ على قوة النار، وسرعتها في القضاء على الحطب.

ف3: مبدأ الترابط Maxim of Relevance

يقصد بمبدأ الترابط أن يكون النص المسموع/ المدوّن ذا علاقة، وملاءَمة، ومناسَبة لموضوع الحوار[(3)].

يُخرق مبدأ الترابط باللاّمباشرة، وبالتعريض، وبالتشخيص الاستعاري (= تلك الاستعارات التي تُشخّص فيها الأشياء كما لو كانت شخصًا[(4)])، وبالتلميحات Hints (تضمين الكلام بكلمة، أو كلمات، من آية، أو قصّة، أو بيت شعري، أو مَثل من غير ذكره صراحة[(5)])، وبذكر المعلومات

---

(1) الخسوف: 115/1.

(2) ينظر: فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، ص154، ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص440.

(3) ينظر: أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري، ص99-100، 115.

(4) ينظر: لايكون، جورج، وجونسون، مارل، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبدالمجيد جحفة، دار توبقال، الدارالبيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص53.

(5) ينظر: الكفوي، أبوالبقاء، الكليات، ص251-252، وينظر: الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، كتاب التعريفات، تح: عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، د. ط،1991، ص73.

التمهيديّة، غير المرتبطة بموضوع الحوار بشكل واضح؛ ليَستلزم عن ذلك اقتضاء تداوليّ تخاطبيّ، يَستدِل من خلاله المتلقي عن قصد الملقي[1].

التحليل التداولي للشاهد اللاّحق من رباعية الكوني يضعنا في أجواء اختراق مبدأ الترابط، وتأويله التداولي، والاقتضاء التداولي التخاطبي الذي يستلزمه، والاستدلال التداولي المقصود.

"قال الشيخ أخواد يتوسل:

-يا شيخنا هذا لا يجوز. ولكن الشيخ غوما لم يسمعه، حاول أن ينزع سرواله ولكنه لم يستطع رفع رأسه ورمق الرجال الواقفين بنظرة شاملة حتى وقعت عينه على أحد الأتباع، صرخ فيه وقد تناثرت على شفتيه رغوة كالتي تعلو شفاه الجمال الهائجة:

-هيا. ساعدني. ماذا تنتظر؟

أقبل الرجل ومزق السروال إلى نصفين فانكشفت عورة أماستان. سرت همهمة صاخبة بين الرجال وعاد الشيخ أخواد يتوسل:

-سبحان الله. هذا عار. هذا لا يجوز.

أقبل نحو الشيخ غوما فدفعه بيده اليسرى وهو يردد:

- ابتعد يا شيخ أخواد ابتعد. لا تتدخل. أنا أعرف ما يجوز وما لا يجوز.

- ولكنه أخوك. - أخي مات منذ سلم نفسه للأعداء. لقد أبحت دمه وأنت تعرف"[2].

قول الكوني وهو يستنطق شخصيّته الشيخ أخواد: "-ولكنه أخوك" هو الشاهد التداولي الموافق للاستلزام الحواري، والاقتضاء التخاطبي، ذلك أن الشيخ أخواد، لم يقصد إخبار "الشيخ

(1) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص437، 441، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص360-363.
(2) الخسوف: 88/1.

غوما" بأن "أماستان" أخوه؛ وإلاّ كان القول من قبيل عبث الكلام؛ ولكنه قصد معنى آخر لم يرد أن يصرّح به؛ لثقته بقدرة "الشيخ غوما" على تأويل ما يقول، وسرعة فهمه له. هذا القصد هو القوة الإنجازية المستلزَمة، وهي تذكير "الشيخ غوما" بعلاقة الأخوّة، وما يلزمها من تقديس، والتوقّف عن هذه العقوبة البشعة.

بصريح العبارة، قول الكوني: "-ولكنه أخوك"، قول يَخرق الملاءمة، والمناسبة في الحوار؛ لأن السامع/ القارئ غير المعبِّر للمقام، يَستفهم: ما علاقة الأخوّة بتنفيذ العقوبة؟ لكن عندما نستعين بمبدأ الترابط الحواري -كما استعنّا أعلاه- وبالاقتضاء التداولي التخاطبي بعدُ يتبيّن لنا: "-ولكنه أخوك" يحمل معنى متضمَّنًا، غير مباشر، يقتضي قولًا آخر هو: حافظْ على سمعة أخيك وشرفه؛ لأن سُمعته سُمعتك، وشرفه شرفك، وقد استدل "الشيخ غوما" من خلال هذا المعنى المتضمَّن على طلب التوقّف عن هذه العقوبة؛ ولذلك ردّ على "الشيخ أخواد"، قائلًا: "- أخي مات منذ سلم نفسه للأعداء. لقد أبحت دمه وأنت تعرف"[1].

ف4: مبدأ الهيئة Maxim of Manner

ينص مبدأ الهيئة على خلوّ الحوار من اللَّبس Ambiguity (الصفة التي تطلق على علامة الكلمات التي يتغير معناها بحسب السياق المستعمل، دون تمكّننا من تحديد بعض التغييرات المختلفة، ومعنى هذه الكلمات بالنسبة لغيرها[2])، والغموض[3]، والإبهام (الاشتباه =

---

(1) ينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص360.

(2) ينظر: مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الالسنية، ص298، وقد سبق تعريف اللَّبس في توطئة الفصل الأول.

(3) ينظر: البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، ص176، وقد سبق تعريف الغموض في توطئة الفصل الأول.

الدّالّ على عدّة معان محتملة[1])، والإيهام (التخييل= إيقاع الشيء في الوهم[2])؛ كالإسهاب (تطويل مع قلة الفائدة...، وهو عِيّ[3])، والفواتح الغامضة؛ فإذا التُزم في الحوار هذا الخُلوّ كان الاستلزام الأنموذجي[4]، أما إذا وُجد فقد وقع الخرق، والانتهاك، والاستخفاف Flouting لمبدأ الهيئة[5]، وكان الاستلزام الحواري، والاقتضاء التخاطبي التداولي.

الشاهد اللاّحق من رباعية الكوني، وتحليله التداولي يوضح أكثر:

"ضحك فضل الله بخبث. قال بيقين:

– الحقيقة هي الحقيقة. لها خصائص لا تختلف عن خصائص الآلهة كثيرًا.

– عاد يضحك فرمقه آيس باستنكار، قال عياش:

– سنضطر الى[6] ادخال[7] تعديل جوهري في خطتنا

– ما هو الموعد الجديد الذي استقرت عليه السلطات حسب معلوماتك السرية؟

– غدا مساء. غدا ليلًا. ربما قبل العشاء وربما بعد منتصف الليل. الله اعلم[8]؛ [9].

---

(1) ينظر: الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تح: درويش، عدنان، المصري، محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 2011، ص26، وينظر: خليل، أحمد خليل، معجم المصطلحات اللغوية، ص118.

(2) ينظر: الكفوي، أبوالبقاء، الكليات، ص185 –186، وينظر: الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، كتاب التعريفات، تح: عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، د. ط،1991، ص50.

(3) ينظر: الكفوي، أبوالبقاء، الكليات، ص117، وينظر: العسكري، أبوهلال، الفروق اللغوية، تعليق: محمد السود، ص47، 52.

(4) سبق الحديث عن مفهوم "الاستلزام الأنموذجي" في هذا الفصل.

(5) لمعرفة المزيد عن الالتزام بهذا المبدأ، وكيفية اختراقه، ينظر: الشهري، عبد الهادي، بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص437، 442، وينظر: النجار، أشواق، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص364.

(6) هكذا وردتْ "الى" من دون همزة قطع.

(7) وردتْ هكذا "ادخال" من دون همزة قطع.

(8) هكذا طُبعت" اعلم" من دون همزة قطع.

(9) الخسوف: 32/4.

وَفقًا لاختراق مبدأ الهيئة، المُتمثّل في قول المُجيب: *"–غدا مساء. غدا ليلًا. ربما قبل العشاء وربما بعد منتصف الليل. الله اعلم"*.

يستطيع المتلقي أن يؤوّل في قول الكوني ذاك وقوع التحيّر في اعتماد الموعد؛ ما يقتضي وقوع الغموض Obscurity تداوليًّا، بسبب الإسهاب(1)، وعدم إيجاز الإجابة بـ "الله أعلم"، أو"لا أدري"، أوغدًا مساء فقط، أوغدًا ليلا فقط، أو...، ومنه يستدل المتلقي على عدم الدقة في تحديد الموعد.

(1) تدخل الإجابة هنا في الإسهاب الذي لافائدة منه؛ لأن كل الإجابات زيادة في الكلام، لم يتحصّل المتلقّون من خلالها على أي فائدة تخصّ تحديد الموعد الصحيح. ينظر: تعريف الإسهاب في المتن هنا.

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية ووظيفتها التداولية في رباعية الكوني

المبحث الأول: الأفعال الكلامية المباشرة Direct Speech Acts

المطلب الأول: الإخباريات

المطلب الثاني: الوعديات

المطلب الثالث: الطّلبيات

المطلب الرابع: الإعلانيات

المطلب الخامس: البوْحيات

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة Indirect Speech Acts

المطلب الأول: صورة الأسلوب الخبري

المطلب الثاني: صورة الأسلوب الإنشائي

المطلب الثالث: الصورة المزدوجة

المطلب الرابع: صورة الجواب غير المباشر

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية(1) ووظيفتها التداولية في رباعية الكوني

"وإنّما قال النّحويّون: عامل لفظيّ، وعامل معنويّ لِيُرُوك أنّ بعض العمل يأتي مسبَّبا عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد، وليت عمرا قائم، وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلّق به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل [المضارع] لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر، وعليه صفحة القول. فأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرّفع والنّصب والجرّ والجزم إنّما هو للمتكلّم نفسِه، لا لشيء غيرِه. وإنما قالوا لفظيّ ومعنويّ لمّا ظهرت آثار فعل المتكلّم بمضامّة اللّفظ للّفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ، وهذا واضح".(**ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد النّجّار، دار الهدى، بيروت لبنان، ط2، د ت ط، 1/109–110**). بتصرّف في الضبْط.

توطئة

أنكر فيلسوف اللّغة الأكسفوردي "جون أوستين"(2) J. L. Austin (1960) على المذهب الوضعي في المنطق، وفلاسفة الوضعية المنطقية Logical Positivism تضييقَهم وظيفة اللغة على وصف وقائع الحال State of affairs بالصدق أو الكذب، بمعنى: مطابقتها للواقع أو عدم مطابقتها، وأطلق على هذا الحُكم:"المغالطة الوصفية" Descriptive fallacy، ورأى أن هناك

(1) اختار الباحث هذا المصطلح عنوانًا؛ لأنّه يراه بالذات هو الأكثر تجانسًا مع مفهومه دون غيره من المصطلحات التي تساويه؛ الحظ مصطلح "الأعمال اللّغوية" مثلًا: فستلمَح أنه لا يحمل خُصوصيّة هذه الأفعال؛ لأن مصطلَح العمل اللّغوي مصطلَح مضلِّلٌ؛ يُشعر المتلقّي بأيّ عمل لغوي آخر، كتصحيح، أو ضبط، أو رصد، أو مراجعة، أو قراءة، أو ... وهلمّ جرًّا؛ لكنّك من خلال التفوّه باختيار الباحث تفهم مباشرة أنك تتكلّم وفي الآن نفسه تُريد إنجاز فِعل، وطبعًا الكلام هنا ليس بالمعنى السوسيري، إنّما بمعنى كل مكتوب أو مسموع، وفي النهاية يبقى اختيار الباحث مُجرّد اختيار، قد يستمر وقد يتغير في أيّ بحث آخر؛ ولذا فلن يتحجّر الباحث في استخدام المصطلح المُختار في كلّ الدراسة؛ لأنّني دائمًا أحترم جهد الآخرين وأقدّر أيّ إجماع، ولا مُشاحّة في الاصطلاح إذا بانت المعاني؛ لكنّني أرى أيضًا أن هذا هو مجال الإفصاح عن استخدام الخصوصيّات العلميّة، وعرْضها للنقد؛ لإقناع الآخرين بها، ثم الاستمرار بها أو الكفّ عنها مُستقبَلًا، دون تبجّح، أو إصرار على الخطأ، أو فرْض على الآخرين؛ فكلٌّ يؤخَذ منه ويردّ إلّا صاحب هذا القبر، والله أعلم.

(2) "أوستين"،"أوستن"،" سيرل"،" سورل" اختلف المترجمون في نقل العَلميْن إلى العربية، وهذا يَبين أَزْيد بمطالعة مراجع هذا البحث.

نمطًا آخر من المنطوقات يجب دراسته ورَوْزُه ضِمن وظيفة اللّغة[1]. هذا النمط يكون صِفريَّ وصفِ وقائعِ العالَمِ صدقًا أو كذبًا، مِثلُ قول المسلِم لزوجه: "أنتِ طالق"، أو قوْل أحدِنا عند التُّراث: "أُوصي بأملاكي لفلان"، أو عندما نقول عند تسمية أيِّ شيء: "سمَّيته كذا"، أو عند الرهان: "أُراهنك"، أو عند ترك الوظيفة طواعية: "أستقيل"؛ فهاته الملفوظات وما كان على شاكلتها لا نستعملها لوصف الواقع بل لتغييره، إنها "لا تقول شيئًا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنّما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها"[2]. وعليه، فلا يمكن أن نحكم عليها بمطابقَتها للواقع أو عدم مطابقَتها؛ لأنّه بمجرَّد نُطقنا لها في سياقها، وموْقفها، ومقصديَّتها فقد أُنجزتْ، أي: تحققّتْ بالفِعل، وسُجِّلتْ على اللّافِظ المنجِز، ولا ننتظر مطابقتها للواقع أو عدم مطابقتها لنحكم بصدقها، أو بكذبها؛ بمعنى أنك بتلفّظك إياها لا تؤدِّي كلامًا، بل تُجري فعلًا (Perform action)؛ ومن ثَمّ فهي أفعال كلام (وكتابة طبعًا[3])، وفيها حُكم، وفِعل، وإنجاز، وعمل[4].

---

(1) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبدالقادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1992، ص13-15، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص42-43، 60-61، وينظر: الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات، دمشق، سورية، ط1، 2008، ص76-77.

(2) روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص30.

(3) ينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص50.

(4) في كل ماسبق ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص13-27، 33، وينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م175/1، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص43، 59، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص30.

يُحَدّ ***مفهوم الفعل الكلامي*** (الفعل اللغوي[1]) بأنه: كل ملفوظ يعتمد على مستوىً **شكليّ**، صوتيّ أو كتابيّ، وَفْق النظام النحويّ المُعجميّ للّغة، ومستوىً **دلاليّ** إنجازيّ قصديّ، ومستوىً **تأثيريّ** تداوليّ[2]. ومن ثَمّ يمكن أن نقول: إنه نشاط ماديّ نحويّ، يتوسّل أفعالًا قولية، هي:

- الفعل الصوتيّ: الصوت اللغويّ، وقد يتحوَّل إلى مكتوب.
- والفعل التركيبيّ: المفردات، وغالبًا ما تُركّب مع غيرها.
- والفعل الدلاليّ: المعنى، يكون معه تحقيقٌ **لـ: وظائف لِسانية**، كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد، والنهي، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتهنئة، والشهادة في المحكمة، وإجابة السؤال،...، **وغايات تأثيرية تداولية** تخصّ ردود فِعل المتلقّي، كالرفض والقبول، والإقناع، والتضليل، والإرشاد، والتثبيط، و...[3].

---

(1) استعملتُ القوسيْن توضيحًا ترقيميًّا؛ لأبيِّن أن مُصطلَح "الفعل اللّغوي" قارٌّ أيضًا، وردًّا على سائل يمكن أن يسأل. هل يمكن أن نقول أيضًا: "فعل لغة"؟ ينظر: عبد الجليل، عبد القادر، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، دار صفاء، عمّان، الأردن، ط1، 2006، ص193؛ أما احتماليّة إشكاله مع مصطلح أفعال اللّغة الماضية والمضارعة والأمر؛ فأرى أنه لا إلباس فيه من عدّة ردود هي: أوّلًا: أننا إذا استخدمنا المصطلح مُطلقًا دون تقييد، أي:"الفعل"انصرف الذهن إلى الفعل النحوي أو الصرْفي (الماضي، المضارع، الأمر)، وثانيًا: المشهور أن نقول: الفعل الماضي و...، ولا نقول: فعل اللّغة الماضي، وثالثًا: السياق المجالي –إن جاز المصطلَح– يحكم؛ فالفعل المطلق، أو الفعل مقيّدًا بالماضي، والمضارع، والأمر سياقه نحوي أو صرفي، أما الفعل اللّغوي فمجاله اللّسانيات التداولية، ورابعًا: المصطلح الأجنبي يميّز فعلًا عن فعل. يقول: جحفة:"ينطلق أوستين من تحديد الفعل (أي النشاط) الذي يمكن أن ننجزه بتلفّظنا بهذا النوع من الجمل. ولفظ فعل هنا يقابل act وليس Verb". جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص29.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص40.

(3) ينظر: نفسه، ص10، 40–42، وينظر: العبد، محمد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن: التداوليات، ص312.

وعليه، فالمراد من "الفعل الكلامي" هو الإنجاز الذي يؤدّيه الملقي بمجرَّد تلفّظه بألفاظ معيَّنة، والذي من أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، ....، التي هي أفعال كلامية/ لغوية، وإنجاز، وتسمّى بـ : "الفرض الإنجازي" أو"المقصد الإنجازي"[1].

إذن بمفهوم العبارة نَفهم أن الفعل الكلامي هو: أعطني كلمة/ جملة/ عبارة؛ لأعرف ما قصْدك؛ فترى خلْفها رَدَّة فعلي.

لكن هناك ملحظ يجب الانتباه إليه وهو أنه على اعتبار أن التداولية اللغوية هي فهم اللغة من خلال الاستعمال كان لا بد من دور للسياق والمقام والموقف في فهم إنجاز هذه الأفعال؛ ذلك أن تعبيرات مثل:

-خارج![2]. –

خمسة دنانير.

-سأكون هناك.

-سأوبِّخ كل الراسبين.

لا تتضمّن أي فعل كلامي؛ لعدم وضعها في سياق معيَّن نفهم من خلاله مقصد كل تعبير؛ ومن ثَمّ فإن: -لفظة "خارج" تُنجِز فعل طرد إذا وضعناها في سياق مثل: قلتُ للكاذب: خارج. -تركيب "خمسة دنانير" تُنجِز فعل شراء إذا وضعناها في سياق مثل: قلتُ للتاجر: خمسة دنانير. -جملة "سأكون هناك" تُنجِز فعل وعد إذا وضعناها في سياق قول صديق لصديقه مثلًا. -جملة "سأوبِّخ كل الراسبين" تُنجِز فعل إعلان إذا وضعناها في سياق قول المدرّس لطلابه مثلًا[3].

---

(1) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص10، 40، 42، وينظر: العبد، محمد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن: التداوليات، ص312.

(2) يستخدمها المدرّسون في ليبيا مع طلابهم كثيرًا، ومثلها: بَرَّا!

(3) ينظر: براون، جوليان، ومن معه،تحليل الخطاب، ص365-366.

وقبل أن أبدأ بالحديث عن النظريّة المتولّدة من رحم الفعل الكلامي "نظرية الأحداث الكلامية"، أَعرضَ مجموعة من **المصطلحات** التداولية التي تخصّ هذه النظريّة، والتي أرى أنه يتوجَّب عليّ إيضاح مفهومها؛ حتى نعرف ما اعتمده الباحث من مُصطلحات؛ خاصّة أنّني وجدتُّ اختلافًا بيِّنًا في تطبيق هاته المصطلحات بين كبار التَّداوليين.

حوْل ذلك الاختلاف اسمع الطبطبائي في كتابه "نظرية الأفعال الكلامية"، عند تحليل عبارة: "أشكرك على خطاب التوصية من أجلي"، يقول: "يعتبر سيرل (كتابة المخاطَب خطاب التوصية من أجل المتكلِّم) هو المُحتوى القَضوي لذلك المتضمَّن في القول، ويعَتبرها أيضًا قضيّة مفترَضة لذلك الفعل. بينما يَعتبر ريكاناتي نفس القضية "مناسبة" لهذا الفعل لا أكثر. وكلاهما ينفي وجود اتّجاه مُطابَقة في هذه الحالة. أما ألستون فيرى أن الموافَقة على اعتبار هذه القضية هي المحتوى القضوي، وحتى على اعتبار كوْنها مفترَضة، لا يلغي وجود اتجاه مطابَقة"[1].

إليك المصطلحات التداولية المتعلِّقة بنظريّة الأفعال الكلاميّة تحديدًا.

1- **فعل القضية أو الفعل القضوي:** هو فعل التعبير عن القضية/ المعنى العام[2]، وقضوي: نسبة إلى القضية[3] Proposition، وهو يعادل الفعل اللّفظي عند أوستين[4]، وعند سيرل يتكون من شِقَّيْن: فعل الإحالة، وفعل الحَمل (الإسناد= مُسنَد ومُسنَد إليه)، مثل: "طالب جاء"، جاء: فعل الإحالة، وضميره يُحيل على طالب، ونسبة الحَمل جميعِه "جاء" للموضوع

(1) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص154. بتصرّف في الضبْط.

(2) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص15.

(3) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48.

(4) ينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص98-102.

المتحدَّث عنه "طالب". وقد تخلو الجملة من الفعل القضوي إذا خلتْ من العنصر المُحيل، مثل: مَرحى![1]مَعذرة! على الرّحْب والسعة! شكرًا!

2- **المحتوى القضوي:** هو المعنى الحرْفي للموضوع، بمعنى: القضية Proposition المعتمِدة على إحالة Reference، وموضوع متحدَّث به، أو خبر[2] Predication، أي: "مجموع معاني مفرداتها"[3]، وهذا يمثّله "مجي طالب" موضوعًا/ مُحتوى قضويًّا للمثال السابق.

3- **مفترَضات المحتوى القضوي:** هي الفرَضيّات، المعلومة المُسبَقة عن الموضوع. مثلا: لا يمكننا السؤال ولا الحُكم بأن فلانًا قد توقّف عن لعب الكرة إلا أن نفترض أنه كان يلعب الكرة في وقت سابق[4].

4- **الفعل المتضمَّن في القول:** هو إنجاز فعل اجتماعيّ ضِمن قول شيء ما[5]؛ ومن ثَمّ فهو فهم الفعل الكامن في الجملة[6]، كالتقرير، والتحذير، والطلب[7]، والوعد، والسؤال[8]، والاحتجاج، وإجابة السؤال، وتقديم معلومات، أو تأكيدات، وتهجئة جُملة[9]، ... وهلمّ جرًّا، وقد يكون هذا الفعل مباشرًا، مثل: "سأحضر" فهو فعل كلامي مباشر غير صريح

---

(1) ينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص102-106.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48.

(3) حمداوي، جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، مجلة العربية والترجمة، د م ب ع، 2012، ص87.

(4) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص21.

(5) ينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص104.

(6) ينظر: حامدة، ثقبايث، 2012، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري تيزي وزو، تيزي وزو، الجزائر، ص78.

(7) ينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص187، 194، 196.

(8) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص10، 40-41.

(9) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص123، وينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص8.

(ضِمني)، فعله المتضمَّن هو الوعد، وصريحه: أعدك بالحضور[1]، أو غير مباشر، مثل: قولك: "لو سمحتَ" لمن تريده أن يتوقّف عن الكلام معك؛ فأنت لا تقصد الاستئذان (طلب الإذن) منه، إنما تطلب منه التوقّف، وهذا الطلب الأخير هو الفعل المتضمَّن[2].

5- **القوّة المتضمَّنة في القول:** "الأمر الزائد في الفعل المتضمَّن في القول عن الفعل القضوي"[3]، مثل: "سيضربك فلان"، تكون لها ثلاث قوى حسب سياقاتها المختلفة، هي: قوّة إخبار، أو تحذير، أو أمر[4]. ويُحلّل سيرل هذه القوّة إلى سبعة أجزاء هي: الغرض المتضمَّن في القول، ونمط الإنجاز، وشروط المحتوى القضوي، والشروط المُعِدَّة، وشرط الصراحة، ودرجة شدّته[5]. يقول الطبطبائي: "والغرض المُتضمَّن في القول هو أهم أجزاء القوّة المُتضمَّنة في القول على الإطلاق، لكنه ليس الجزء الوحيد، فالأزواج: تقرير/ شهادة، أمر/ طلب، ووعد/ نذر كل منها تشترك في الغرض المُتضمَّن في القوْل، لكنها مع ذلك قوى متضمَّنة في القوْل مختلفة"[6].

6- **الغرض المتضمَّن في القول Illocutionary point:** هو الهدف الذاتي الذي يحتويه الفعل ويُساق من أجله، فـ"أَعِدُك" غرضها إلزام الملقي نفسه بإنجاز شيء، و"اكتب" الغرض منها حَمْل المتلقي على فعل شيء[7].

---

(1) قد يكون الفعل المتضمَّن في القول هنا الإخبار؛ فيكون فعلًا كلاميًّا مباشرًا غير صريح أيضًا، صريحه: "أخبركم بأنّني سأحضر". ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص15.

(2) في كلّ ما سبق، ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص87، وينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص163-164، وينظر: حمداوي، جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، مجلة العربية والترجمة، د م ع، 2012، ص87.

(3) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص19. مع تصرّف في الضبْط.

(4) ينظر: نفسه، ص8.

(5) ينظر: نفسه، ص16-25.

(6) ينظر: نفسه، ص17. بتصرّف في الضبْط

(7) ينظر: نفسه، ص17.

7- **درجة الشدَّة للغرض المتضمّن في القول:**

Degree of strength of illocutionary point :

هو الاختلاف الدقيق بين أفعال تُحقِّق الغرض المتضمَّن في القول نفسه، من حيث قوَّةُ الوَقْع وخفّتُه على المتلقّي، فمثلًا، قولي: "أطلب منك عمل كذا" هو أقل شدَّة مِنْ قَوْلي: "أُصِرّ عليك عمل كذا"[1]، وقولي:"أُلِحُّ عليك بِفعل كذا".

8- **واسم القوة المتضمَّنة في القول:** ما يتّصل بالفعل المتضمَّن في القول، مثل: "أنصحك" في جملة: "أنصحك بالمذاكرة"[2].

9- **واسم المحتوى القضوي:** ما يتّصل بمضمون الفعل، مثل:"بالمذاكرة" في الجملة أعلاه[3].

10- **شروط المحتوى القضوي Propositional contents conditions:** هي الشروط التي تتطلّبها القوَّة المتضمَّنة في القول لأي قضية، مثال ذلك: شرط المُضيّ لقوَّة الإخبار: "قدتُ السيارة أمس"، وشرط الاستقبال لقوَّة الوعد:"سأكون في الموْعد"[4].

11- **الشروط المُعِدّة Preparatory conditions:**

تُعَرَّفُ الشروط المُعِدّة بأنها: الشروط اللّازم تحقّقها ليكون الفعل صحيحًا ناجحًا؛ إذ يكون الفعل الموْعود به ناجحًا إذا حقّق غرضه (التزام الواعد به)، ويكون صحيحًا إذا كان في صالح المتلقي. كما يكون الاعتذار صحيحًا إذا كان الأمر المُعتذَر عنه سيِّئًا فِعلًا. مثال الشروط المُعِدّة للأوامر: قدرة المتلقي على القيام بالمطلوب. ومثال الشروط المُعِدّة للتهديد: الإضرار بالمتلقي.

---

(1) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص19.

(2) ينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص33.

(3) ينظر: نفسه، ص33، وينظر: اجعيط، نور الدين، تداوليات الخطاب السياسي، ص71.

(4) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص19-20.

ومثال الشرط المعِدّ للآمر المصدِر لأمر إداري هو حيازتُه على مقام سُلطة الأمر[1]. يقول صحراوي: "ومبدأ "الشروط المعِدّة" يعتبره سيرل من أهم المبادئ التي تؤثر في "هوية الأفعال الكلامية" وفي قوتها وضعفها، وفي تصنيفها أيضًا، وفحواه أن تجتمع ظروف تداولية معينة، خاصة بالمتكلّم أو المخاطَب، فتغيّر من قوة أحدهما، وتؤثّر من ثَمّ على"الخطاب" وتجعل من الفعل فعلًا كلاميًا ناجحًا أو فاشلًا"[2].

12- **مُفترَضات القوَّة المتضمَّنة في القول:** هي تحقّق الشروط المُعِدَّة[3].

13- **نمط[4]تحقيق الغرض للقوة المتضمَّنة في القول:** هي الجهة المُصدِرة للقوَّة المتضمَّنة في القول، مثل: المدير المُصدِر لأمر إداري هو"نمط معين من أنماط تحقيق غرض الطلب"[5].

14-شرط الصراحة Sincerity condition:

ويعني: "كلما أدّى المرء فعلًا مُتضمَّنًا في القوْل مُشتمِلًا على مُحتوىً قضويٍّ فإنه يعبِّر بذلك عن حالة نفسيّة تِجاه ذلك المحتوى القضوي"[6]. مثلًا: من يقرِّر فهو يُعبِّر عن اعتقاد Belief، ومَن يَعِد فهو يعبِّر عن نيّة Intention، ومَن يأمر فهو يُعبِّر عن رغبة Desire أو إرادة Want.

15-درجة الشِّدّة في شرط الصّراحة:Sincerity condition Degree of the strength

وتعني: الاختلاف الدقيق بين الحالات النفسية (الصراحة)، من حيث قوَّةُ الوَقْع وخفتُّه على

(1) ينظر: نفسه، ص17، 20-22.

(2) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص121.

(3) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص20.

(4) بمعنى طريقة أو ظروف. ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص18.

(5) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص22.

(6) نفسه، ص22. بتصرّف في الضبْط.

المتلقي. مثلا: الطلب العادي يعبِّر عن درجة أقلّ من الرغبة بالقيام بالفعل المطلوب، عن طريق التَّوسّل، أوالاستجداء، أوالتضرّع[1].

16- **درجة الشّدّة المميِّزة لشرط الصراحة في القوة المتضمنة في القول:** تعني: حاجة القوّة المتضمَّنة في القول إلى درجة معيَّنة من درجات الشِّدّة في التعبير عن الحالة النفسية المشترَطة[2].

17- **نمط الإنجاز Mode of achievement:** هي الطرق الخاصة التي يؤدّى في ظروفها فعل الإنجاز: رسمي مؤسّساتي، أو عادي، مثال ذلك: الأمرُ من رئيس المصلحة يختلف عن الأمر من موظَّف عادي، وإخبار في محكمة (شهادة) أمام قاض غير الإخبار في الشارع أمام مواطن عادي[3].

18- **القوّة الإنجازية:** هي درجات الغرض، أي: الأغراض الفرعية، مثل: الالتماس، والأمر، والدعاء، والتضرّع، جميعها قوى إنجازية لغرض الطلب[4]، ويقسّمها التداوليون إلى قسميْن، هما: حرْفية: تُلحَظ من السياق الداخلي اللّغوي فتساوي الفعل المتضمَّن في القول (الفعل الإنجازي)، ومثالها: الاستفهام، ولا بدّ من توفّرها في أي فعل كلامي، ومُستلزَمة: تُستشَفّ من السياق الخارجي المقامي، وهي تتوفّر في الفعل اللغوي غير المباشر فقط، في مثل: أن يكون السؤال يحمل في مضمونه الطلب الالتماسي (الالتماس)[5].

---

(1) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص24.

(2) ينظر: نفسه، ص24.

(3) ينظر: نفسه، ص18.

(4) ينظر: العبد، محمد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن: التداوليات، حافظ علوي، ص314.

(5) ينظر: المتوكل، أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط،المغرب، ط1، 1993، ص22-25، وينظر: حمداوي، جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، مجلة العربية والترجمة، د م ع، 2012، ص87.

19- **دليل القوّة الإنجازية:** دليل يُبيِّن نوع الفعل الإنجازي الذي يُنجزه الملقي عند تلفّظه للجملة، ويتمثّل في نظام الجملة بما فيها من سوابق ودواخل ولواحق (مورفيمات)، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم، وصيغة الفعل(1).

20- **اتّجاه المطابَقة،** أو كما يسمّيه سيرل:"اختلاف توجيه الترتيب"(2)، ويُقصد به: الطريقة التي يرتبط بها المحتوى القضوي مع الواقع الخارجي(3)، بمعنى هل يحدث تغييرٌ بعد هذا الفعل الكلامي؟ وهل هذا التغيير في الملفوظ أم في الواقع؟ ومن أين ينطلق؟ وأين ينتهي؟

وإتمامًا لما مضى عن الفعل الكلامي أقول: اهتمَّت التداولية اللّغوية بالمفهوم اللِّساني التداولي(4)"الأفعال الكلامية"؛ حتى تولّدت في نطاقها نظرية سُمّيت:"نظرية الأفعال الكلامية"(5)؛

---

(1) ينظر: نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 47. وينظر:
www.mohamedrabeea.com/books/book1_441.doc
موقع أ.د محمد سعيد ربيع الغامدي، مقالة اكترونية، آل حماد، ليلى، المقاربة التداولية، ص11.

(2) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص63.

(3) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص503.

(4) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص10.

(5) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د. ط، 1994، ص ب، وتُعرف أيضًا بنظرية "الأعمال اللغوية". الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، د م، تونس، د. ط، 1986، ص102، و"الأعمال القولية". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص364-367، و"الأفعال المتضمَّنة في القول"، و"الأفعال القولية". الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص ب، و"الأفعال اللّغويّة". جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص29، و"الأعمال الكلامية"، و"الإنشاء"، و"القوى المقصودة بالقول". ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، كلية الآداب، منوبة، تونس، والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص493، 496-497، 499، و"الحدث الكلامي"، و"الحدث اللغوي"، و"الإنجازية". نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص46، 59، و"أفعال الكلام". الميساوي، خليفة، خطاب الفرد . خطاب الطبقة، ضمن: أعمال ندوة قضايا المتكلم في اللغة والخطاب، جامعة القيروان، كلية الآداب، القيروان، تونس، مارس، 2004، دار المعرفة للنشر، تونس، د. ط، 2006، ص66.

حتى إنها بعد اهتمامها البالغ بها حَمَلتْ اسمها؛ فرادفتْها[1]؛ وعلى هذا فليس غريبًا إذا ما قلنا: إن نظرية الأفعال الكلامية هي الاسم الحركي للتداولية اللغوية، مع ما فيه من مجاز مرسل علاقته الجزئية. ومن ذاك الترادف والاسم الحركي نَفهم أن أهم محور في هذه التداولية هو الأفعال تلك؛ ومن ذاك كله ارتأى الباحث دراسة الأفعال الكلامية نظريًّا، وكشْفَ كيفيّةِ توظيف الكوني في رباعيته الروائية لهذه النظرية.

نظرية الأفعال الكلامية يَعدُّها جلّ الباحثين محسوبة على اللِّسانيات التداولية[2]، وقد أسّس لها أبو التداولية "جون أوستين"[3]، وهي لا تنظر إلى اللّغة على أنها أداة تواصل فقط كما هي نظْرة المدرسة الوظيفية، ولا على أنها رموز للتّعبير عن الفكر كما هي نظْرة البنيوية التحويلية، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه[4].

ميّز أوستين بين نوعيْن من الأفعال (إخبارية Constative صادقة أو كاذبة، وإنشائيّة/ أدائية Performative = ليست صادقة ولا كاذبة[5])، ثُمّ رأى أن الفعل الكلاميّ الكامل مركّب من أفعال ثلاثة، هي جوانب مختلفة لفعل كلاميّ واحد، ولا يُفصل بينها إلّا دراسيًّا[6]، وهي: فعل

---

(1) ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص163، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص41، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص43، وينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص190.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص59.

(3) ينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص50.

(4) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص11.

(5) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص16-26، وينظر: نحلة، محمود، آفاق مسعود، جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص43-44.

(6) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص33، 127-128، 133، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص45، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص104.

الكلام= الفعل اللّفظي، وقوّة فعل الكلام= الفعل الإنجازي، ولازم فعل الكلام= الفعل التأثيري[1]، وأسردها كالآتي:

1- "فعل الكلام"[2]: يعني التلفّظ بمفردات صحيحة نحويًّا، لها مَعنى مُعجمي، وتحوي غالبًا

(1) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص113، وقد تراني أَصررتُ على ترشيح هذه المصطلحات بالذات في الشرح الإجمالي فوقُ؛ بسبب أنني رأيتُ أن مصطلحات"فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام" قريبة جدًّا من مُصطلحات البلاغة العربية، إضافة إلى أنها أُولى الترجمات لمصطلحات أوستين؛ إذ هي مصطلحات قنيني في ترجمته لكتاب أوستين، أما مصطلحات"الفعل اللفظي، والإنجازي، والتأثيري" فأراها مُنسجِمة مع ما نقلتهُ قبلًا في المتن من أن أقسام الفعل الكلامي كلّها تمثّل فعلًا واحدًا، وسيأتي توثيق الجميع في هامش الصفحتيْن الآتيتيْن.

(2) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص113، ويُعرف أيضًا بـ: "العمل القولي". الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص107، و"الحدث التعبيريّ"، و"التعبير". ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق): ضِمن: الموسوعة اللغوية: م176/1، و"فعل القول" دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص24، و"الفعل التعبيريّ". عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، دارالتنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص203، و"عمل القول". ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص497، و"الفعل اللغويّ". صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص41، و"الحدث القوليّ". عبدالجليل، عبدالقادر، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، دار صفاء، عمّان، الأردن، ط1، 2006، ص193، و"فعل النطق"، =و"الفعل الكلاميّ". عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص260، و"الفعل النطقيّ"، و"العمل اللغويّ"، و"الفعل اللفظيّ". بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص187، و"الصيغة Locution. مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص50، و"فعل القول".اجعيط، نور الدين، تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص70.

عنصرًا مُحيلًا، وتُحقِّق معنًى دلاليًا عامًّا[1]. يقول أوستين: "بواسطة القول نُنجِز فعل الكلام [...] وهو اصطلاح مُختصَر يُكافئ التلفّظ بعبارةٍ ما، يكون لها معنًى ومَرجع [عُنصر مُحيل]. وهذان العنصران يُكافئان تقريبًا الدلالة في معناها القديم"[2]، وباختصار فعل الكلام هو اللّفظ المباشِر شفويًّا أو كتابيًّا[3]. (الفعل هنا قولٌ[4]).

ووَفق استقراء الباحث يكون نوع الفعل في الأفعال الكلامية المباشرة الصريحة منها تحديدًا[5] واحدًا ممًّا يأتي:

- اسم مفعول، كقولنا للتلاميذ: التلامذة منذَرون بوجوب كتابة الفروض المدرسية، أو كقولنا عند تفويض أحد ما:"بموجب هذا أنت مفوَّض بكذا"[6].
- مصدرًا دالًّا على الإنجاز، مثل: سبحان الله! حبًّا وكرامة!
- اسم فعل (خالفة إخالة)[7].

---

(1) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضمن: أهم المدارس اللسانية، ص107، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص24، وينظر: جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص30. وينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص187.

(2) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص131. بتصرّف في الضبط.

(3) ينظر: أديوان، محمد، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة وآدابها، تلمسان، الجزائر، ع1، 1994، ص39، نقلًا عن: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص189، وينظر: دايك، فان، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، د. ط، 2000، ص263، وينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص51.

(4) جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص30.

(5) احترازًا من الأفعال الكلامية المباشرة غير الصريحة (الضمنيّة)؛ لأنّها قد تحتوي هذا الفعل القضوي، مثل قولك لأحدهم: أنا أتّهمك بالبلاهة، وقد لا تحتويه، مثل قولك: يا أبله! ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص164، وسيأتي توْضيحٌ أكثرُ في المَتن عَقِب الانتهاء من فكرة هذه الفقرة، وأنوّه إلى أنّ الباحث قد سبق له توْضيح النوْعيْن" الصريح والضمني" عند سرد مصطلحات النظرية في توطئة هذا الفصل.

(6) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص6.

(7) ينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص181–182، وعن خالفة الإخالة، ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط،

- الفعل النحويّ المعروف؛ على أن يكون أمرًا في التوجيهيّات[1]، كأمرك لأحدهم: اذهبْ إلى عملك، ومضارِعًا مُثبَتًا، ضميرُه المتكلِّم مع الأفعال الإنجازية الأخرى، كقوْلك: أُقسم إنّني صادقٌ فيما قُلتُ، عدا الإعلانيات؛ إذ تشترك في صيغ الماضي والمضارع[2]، مثل، قوْل القاضي: افتُتِحتِ الجلسة، أَفتَتِحُ الجلسة، وعدا الإخباريّات التي يكون فيها الفعل ماضيًا، كقولنا: جاء الأستاذ. أمّا الانتباه المُهمّ فهو إمكانيّة جعْلِ الفعلِ مبنيًّا للمجهول في الإخباريّات والإعلانيّات. تقول: قُرِئ الكتاب، ويقول القبطان: دُشِّنت السفينة[3].
- بالجملة الاسمية في الإعلانيات، كقوْل القاضي: الجلسة مفتوحة[4].
- اسم فاعل مثل: "أنا شاكر لك مراعاتك لظروفي"[5].

أما في الأفعال الكلامية المباشرة غير الصريحة – مثل جملة: "لولا الله ثم مساعدتك لما نجحت" الدالّة على فعل الشكر المباشر، وكذلك في غير المباشرة مثل جملة: "محرِّك السيارة تعطّل" الدّالة على طلب التصليح من الآخر في سياقها– فلا يُحصَر في ما ذكرتُ مِن عَلُ.

تفصيل ذلك: في الأفعال الكلامية المباشرة غير الصريحة يُفهَم المعنى المقصود من الملفوظات الدالّة على المعنى المقصود[6]

=1973، ص113، وينظر: قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص167.

(1) ينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص163، ويوجد مطلب خاصّ بالتوجيهيات.

(2) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء، تر: عبدالقادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1992، ص85، وينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص181، وتَجدر الإشارة إلى أنه يُوجد مطلبٌ خاصّ بالإعلانيات في هذه الدراسة.

(3) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص102-103، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص76.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص75.

(5) يوجد مطلب خاصّ بالإخباريات في هذا الفصل.

(6) هي (لولا، مساعدتك، لما) في المثال أعلاه.

مِن دون التصريح بالكلمة الأساسية الدّالة(1)، أمّا في الأفعال الكلامية غير المباشرة فتكون أيُّ جملة تَحمل في محتواها ضِمنيًّا فعلًا كلاميًّا مباشرًا مُرشّحةً لأن تمتلك صحّة تصنيفها ضِمن الفعل الكلامي غير المباشر (2).

2-"قوّة فعل الكلام"(3): وهو المقصود من هذه النظرية(4)، ويعني: فَهْم الفعل الكامن في الجملة(5)، أو إنجازُ فعلٍ اجتماعيّ مقصود، ضِمن قول شيء ما(6)؛ كالتقرير، والتحذير، والطلب(7)، والوعد، والسؤال(8)، والاحتجاج(9)... وهلمّ جرًّا، علمًا بأن هذا الفعل قد يكون مباشرًا أو غير مباشر(10)، وأن الوصول إلى معناه المقصود يتطلّب اللّجوء إلى عملية الاستدلال التداولي(11).

---

(1)هي (شكرًا!) في المثال السابق (لولا الله ثم مساعدتك...)، ويوجد شاهد خاصّ بالأفعال الكلامية المباشرة غير الصريحة في هذا الفصل .

(2) يوجد في هذا الفصل مبحث خاصّ بالأفعال الكلامية غير المباشرة.

(3) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص113، وتُعرف أيضًا بـ: "العمل اللاّقولي". الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص104، و"حدث التحقيق"، و"الفعل الإنجازي". ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق): ضِمن: الموسوعة اللغوية: م176/1، و"الفعل الغرضي".عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص204، و"الفعل المتضمَّن في اللغة". صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص41، و"المعنى المقصود" Illocution. مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص50، و"الفعل الحقيقي الإنجازي". طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص104.

(4) ينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص104.

(5) ينظر: حامدة، ثقبايث، 2012، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، ص78.

(6) ينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص104.

(7) ينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص187، 194، 196.

(8) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص10، 40-41.

(9) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص123.

(10) ينظر: حمداوي، جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، مجلة العربية والترجمة، ص87.

(11) ينظر: دلكي، خالد حسين، البعد البراغماتي لنظرية تحليل الخطاب، ص205. بتصرّف.

باختصار (الفعل هنا إنجاز القصْد)(1).

3- "لازم فعل الكلام"(2)، ويعني: الأثر المترتِّب على قوْل شيء ما(3)، "قد تكون قصدتَّه فلم يقع، وقد تُحدثه على غير قصد، وقد يكون حيث قصدتَّ غيره"(4)، كالإغضاب، والإخافة، والحمل على فعل شيء، والرضا، والاستجابة للأمر، والتشجيع، والإرباك، والإضحاك، والإكراه، والصرف عن شيء، والحضّ، والإزعاج، والكبح، والصدّ، والمضايقة، والتوبيخ، والمباغتة، والتضليل، والإذلال، والطاعة، والإكراه الشخصي، والاقتناع، والذهول، والاستمالة، والتسلية، والحثّ، و...(5).

---

(1) ينظر: جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص30.

(2) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص113، 123، ويُعرف أيضًا بـ: "العمل المجاوز"، و"الخارج عن القول" و"عمل التأثير بالقول". الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص106، 109، و"الحدث التأثيريّ". ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق : البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م176/1، و"الفعل التأثيريّ". عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ص203-204، و"الفعل الناتج عن القول". صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص41، و"عمل أثر القوْل". الحباشة، صابر، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب. مقاربة عرفانية تداولية، دار زهران، عمان، ط1، 2011، ص128، و"فعل أثر التلفّظ". عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص60.

(3) ينظر: علي، محمد محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص73-74، وينظر: الحباشة، صابر، من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات، دمشق، سورية، ط1، 2009، ص28.

(4) الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص107. بتصرّف في الضبْط.

(5) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص106، وينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص113، وينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص194، 203-204، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص40، 42، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص75، وينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص202، وينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، المركز القومي للترجمة،

ويوظَّف في هذه المرحلة الحِجاج التداولي؛ إذ يَلزَم التأثير والإقناع[1]؛لأنه كي أنصحك بشيء مثلًا؛ فإنه يلزمني إقناعك[2]. (إنّ الفعل هنا باختصار أثر وتأثير[3]).

وهكذا في قوْلنا: حضر الرئيس، نجد أن المعنى المعجميّ لكل كلمة، وتركيب الكلمتيْن، والإحالة القائمة على العنصر المُحيل (الـ) كلّ هذا يحتويه الفعل اللّفظي. أما الإخبار فهو الفعل الإنجازي، أما الفعل التأثيري فيمثّله أثر هذا الإخبار من الإقناع بالسكوت، أو الحث على الامتثال بالجلوس، أو الإخافة،... إلخ.

فطِن أوستين إلى أن الفعل اللفظي لا يُعقد الكلام إلا به، وأنه ينضوي تحت علم الدلالة المعتمِد على شروط الحقيقة، وإلى أن الفعل التأثيري لا يُصاحِب الأفعال كلها؛ ومن ثَمّ فإن منه مالا تأثير له في السامع/ القارئ أصلًا؛ أضف إلى ذلك وقوع الفعل التأثيري خارج دائرة المعنى واللغة؛ لأنه يتعامل مع سبب اللفظ أو نتيجته؛ إذ إن تأثير ملفوظاتي في "الإقناع" مثلًا يقع في دائرة العوامل النفسية والاجتماعية، وأحيانًا المادّية، الخارجة في أحايينَ كثيرة عن سلطة إرادتي، ولا يرتبط ذلك بما تفوّهت به/ دوّنتُه إلّا جزئيًّا[4]. أما"الفعل الإنجازي فهو صُلب العملية اللسانية

القاهرة، ط1، 2011، ص202، وينظر: الحسن، أحمد حسن إسماعيل، 2009، الفائدة التخاطبية في النحو العربي (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص34، وينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص103، وينظر: دلكي، خالد حسين، البعد البراغماتي لنظرية تحليل الخطاب، ص173.

(1) ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص60.

(2) ينظر: دلكي، خالد حسين،2011، البعد البراغماتي لنظرية تحليل الخطاب، ص205 بتصرّف.

(3) ينظر: جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص30.

(4) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق : البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م176/1، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص46.

كلِّها"[1]. من أجل ذلك سلّط أوستين تركيزه على الفعل المتضمَّن في القول، وساعتئذٍ عرض أوستين تصنيفًا أعدّ فيه لائحة لأفعال الكلام، معتمِدًا فيه على أغراضها الإنجازية، هذه اللّائحة وهذا التصنيف يتمثّل في: أفعال القرارات التشريعية (الأحكام)، وأفعال الممارسات التشريعية (القرارات)، وأفعال ضروب الإباحة (التعهّد)، وأفعال الأوضاع السلوكية (السلوك)، وأفعال المعروضات الموصوفة (الإيضاح)[2].

أخيرًا، دخل الساحة سيرل J. R. Searle (تلميذ أوستين)؛ وزيادة في إيضاح تقسيمات الفعل الكلامي الكامل عند أوستين فقد احتوت الأفعال الكلامية عند سيرل أربعة أفعال، هي الثلاثة المذكورة قبلًا، عند الحديث عن تصنيف أوستين (اللفظي، والإنجازي، والتأثيري)[3]، ورابع أضافه عندما فصل (الإحالة) والإسناد والمعنى العام عن الفعل اللّفظي، وجمعها تحت مُسمًّى: "الفعل القضوي"، أي: قضيّة الحدث/ موضوعه، وفيه نتّكئ على الرَّبط بين المتحاورين، ونسأل: أين المُسْنَد والمُسْنَد إليه؟ وكيف نُجري الإحالة؟ وما المعنى العام؟[4]. عِلمًا بأن الإحالة قد لا توجد في بعض الأفعال الكلاميّة، مثل: مرحى! برحى! آه![5]، نجح طالبٌ فقط.

---

(1) بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص91.

(2) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص171–187، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص46. بتصرّف.

(3) ينظر: الصفحات السابقة في هذه التوطئة.

(4) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص109، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د. ط، 1992، ص25–26.

(5) ينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص105–106.

بإيجاز: صار الفعل اللّفظي يحوي الصوت/ الكتابة، والمعجم، والصرف، والنحو، أي: اللّفظ، والتركيب، والمعنى المعجمي للمفردات، وصار الفعل القضوي يحتوي: الإحالة، والإسناد، والمعنى الدلالي العام(1).

ويمكنني أن أُوضِّح إضافة سيرل الأخيرة بالمعادلة الآتية: الإسناد+ الإحالة (الربط بين المتحاورين) + المعنى الدلالي العام = القضية/ الموضوع/ الفعل القضوي.

وعلى هذه الإضافة السيرلية رتَّب سيرل الفعل الكلامي الكامل على النحو الآتي: الفعل اللفظي المعجمي الصرفي النحوي، والفعل القضوي الإسنادي الإحالي، والفعل الإنجازي القصدي الدلالي الاستدلالي، والفعل التأثيري الارتدادي (ردّة الفعل) الحجاجي التداولي.

وعلى ما بدا توًّا، أرسُم المعادَلة اللّغوية للفعل الكلامي السيرلي بالصورة الآتية: الفعل الكلامي الكامل= اللفظ + الفعل القضوي + القصد + رَدّة الفعل.

وفي إطار إضافات سيرل في أفعال الفعل الكلامي المباشر (اللّفظي، القضوي، الإنجازي، التأثيري) أيضًا أُشيرُ إلى **اثني عشر** فارقًا أو مقياسًا وضعها سيرل لتصنيف الفعل الإنجازي (قوّة فعل الكلام) هي: 1- الغرض الإنجازي: كالتأثير والالتزام. 2- اتّجاه المُطابَقة بين العلامات اللّغوية (الكلمات) والواقع: فالإخباريات، مثل: ذهب إلى عمله، تجعل القول مطابِقًا لما هو على الأرض، بينما في الوعد نجد الواقع هو الذي يُصدِّق الواعد. 3- الحالة النفسيّة: كقصد الإنجاز، والرغبة فيه، والندم. 4- درجة القوّة: أهو اقتراح أم إصرار مثلًا؟ 5- منزلة المتكلِّم؛ حتى نعرفَ أنه أمر، أو التماس، أو دعاء، أو ... إلخ. 6- مصلحة الأطراف:

---

(1) ينظر: ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص109، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د. ط، 1992، ص25-26. ينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص102.

كـ"التعزية" التي هي لصالح المخاطَب. 7- علاقة الإنجاز بالسياق الخطابي، كقولنا:"أَستنتج" وعلاقتها بما قبلها و بمابعدها. 8- طبيعة العمل عُرْفية أو لا. 9- مدى قابلية الأفعال للإنجاز: ف "أُقرّر" تؤدَّى بالقوْل. أما أفعال التفاخر والتهديد والإقناع مثلًا، فلا تُنجَز بقول:"إنّني بذلك أتفاخر"، "إنّني بذلك أُهدِّد"، "أنا أُقنعك" مثلًا، إنّما تُنجَز بتحقّقها في الواقع، أي: بقوّة فعل الكلام. 10- الاختلاف في ديمومة كوْنِها فعلَ كلام، وعدم ضرورة إنجازها فعل كلام: فنحن نحيّي بكلمة أو بحركة؛ لكن لا نعد إلّا بقوْل، ونستطيع أن نُصنِّف الأشياء بالقول: إنّني أُصنِّف كذا؛ لكنّنا لسنا مضطّرين للقول، وشبيهه: التخمين والتشخيص والاستنتاج. (فعل الكلام هنا ليس له ضرورة). 11- الأسلوب: كالإعلان والإسرار، واختلاف أسلوب أدائهما. 12- زمن المحتوى القضوي: ماضيًا، مستقبَلًا، حاضرًا(1).

هذه المقاييس أُشير إليها؛ لكن لن أُركّز عليها كثيرًا في التحليل؛ لأنني أتَّفق مع "ميلاد"، وهو يقول:"كثرة هذه المقاييس والشروط تدل على نزعة واضحة إلى التدقيق [...]، ولكنّها [...] نزعة لا تتماشى مع ما يتطلبه المنهج العلمي للتّصنيف الذي يتطلّب اعتماد ما يجمع بين ما نعمد إلى تصنيفه أكثر من اعتماد ما يفرّق بين عناصره، لأنّنا إن اعتمدنا الفوارق والاختلافات بين كلّ ما نصنّفه من عناصر انتهينا إلى أن كلّ عنصر يمثّل قمسا(2) على حده(3)"(4).

---

(1) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص63-66، وينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ص224-229، وينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص502-503، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص75-78، وينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص63-65.

(2) خطأ مطبعي في نصّه لـ (قِسْمًا).

(3) هكذا في نصها بهاء، ويعني بها: حِدَة.

(4) ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص502-503.

أيضًا واصل سيرل مسيرته التطوريّة تِلكم؛ فطوّر شروط الملاءمة/ الاستخدام عند أوستين[1]، وسمّاها **القواعد التأسّيسية** لنجاح الفعل الكلامي، واستنتج أنّنا من خلال هذه القواعد نتمكّن من التمييز بين الأفعال الكلامية المختلِفة بسهولة، ونضمن نجاح الباثّ في تحقيق أفعال الكلام بمجرَّد النّطق بها[2]. هذه القواعد التأسيسيّة هي:- **قواعد المحتوى القضوي**[3]: ويعني بها نوع المعنى وزمنه. وهنا ينبغي علينا مراعاة ورود الفعل الإنجازي داخل منطوق، حاملًا لخبر تامّ، ومراعاة الإسناد بما فيه زمن تحقيق الفعل والإحالة؛ لما لهما من ضبط للمعنى العام. - **التقديم**[4]: ويُقصد به الشُّروط المُسبَقة، كتحقيق المنفعة لأحد الأطراف قبل إنجاز الفعل الكلامي، ومعرفة مقام

(1) الشروط هي وجود إجراء عُرْفي مقبول، له أثر عُرْفي مُعيَّن، وأن يتضمَّن الإجراء نطق كلمات محدّدة، يتلفّظ بها أشخاص مُحدّدون في ظروف مُعيّنة، وأن يكون الناس مؤهّلين لتنفيذ هذا الإجراء، وأن يكون التنفيذ صحيحًا، كاملًا، ينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ص142-143، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44.

(2) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص173-174، 179، وينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي، ص61.

(3) وهي أيضًا "قواعد المحتوى الإخباري" و"قواعد المحتوى الإسنادي" و"شروط المحتوى القضوي" و"قاعدة المحتوى القضوي". ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق : البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48، 74-75، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص33-34، وينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص174، وينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص53-54، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص172، وينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص101، وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضِمن: التداوليات، ص167-168.

(4) ويُعرف أيضًا بالقواعد التحضيرية، وبشروط الصراحة، وبالشروط التمهيدية Preparatory وبالشرط التمهيدي. ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق : البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48، 74-75، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص33-34، وينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص174، وينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص53-54، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص172، وينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص101، وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي ـ التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضِمن: التداوليات، ص167-168.

المنطوق، والتحقّق من مِلكية الصلاحية والسلطة لمن يُنجِز الفعل. – **شروط الجديَّة**(1): المصداقية والإخلاص Sincerity. – **شروط جوهرية**(2) **Essential**: تتعلّق بملاءمة الفعل للسياق والموقف المحيط به، كوجوب التنفيذ في الوعد، وعدم منع المأمور من تنفيذ الأمر، كما تتعلّق بكيفية حساب الفعل الكلامي، من مثل: لمن تكون المصلحة في إنجاز هذا الفعل الكلامي أو ذاك؟ كما تتعلّق بمحاولة الملقي التأثير في المخاطَب ليُنجز الفعل.

– **القواعد الأوّلية:** الاعتقادات الخَلفيّة، كتمنّي الآمر أن يُنجَز أمرُه. – **قواعد المقصد والمواضعة:** المحدِّدة لمقاصد الملقي وكيفيّة تنفيذها عن طريق المواضعات اللّغوية(3).

(1) وتُسمّى كذلك "قواعد الأمانة" و"النزاهة" و"الإخلاص". ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48، 74-75، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص33-34، وينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص174، وينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص53-54، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص172، وينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص101، وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضِمن: التداوليات، ص167-168.

(2) ويُطلق عليها أيضًا "قواعد أساسية" و"القاعدة الأساسية" و"الشرط الأساسي" و"القاعدة الجوهرية". ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48، 74ـ75، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص33-34، وينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص174، وينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص53-54، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص172، وينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص101، وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي ـ التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضِمن: التداوليات، ص167-168.

(3) في كلّ هذه الشروط، ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48، 74-75، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص33-34، وينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص174، وينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص53-54، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص172، وينظر: بعيطش، يحي، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضِمن: التداوليات، ص101،

في إطار تلك الشروط، قدّم سيرل تصنيفًا بديلًا للأفعال الكلامية، التي قدّمها أستاذه أوستين قبلًا[1]، ومن خلال التصنيف البديل لسيرل استقرّت أنواع الأفعال الكلامية في **أصنافٍ خمسة**، هي: التقريرات، والوعديات، والطلبيات، والإعلانيات، والبوْحيات[2].

كما ارتكز تصنيف سيرل البديل فوقُ على **أُسُس منهجية** ثلاثة هي: –الفعل المتضمّن في القول/ الغرض الإنجازي illocutionary point. –اتجاه المُطابَقة Direction of fit: بمعنى: هل يتغيّر العالم نتيجة نطقك بالكلام ليساوي المحتوى القضوي؟ أم العكس؟ أم أن هناك مُطابَقة؟ أم أنه لا يحدث تغيّر أصلًا؟[3]. –شرط الإخلاص Sincerity condition: قُدرة الملقي وصِدقه[4].

تنبّه سيرل بعد إنجازه لتلك اللائحة من الأفعال، ومعالجته للإستراتيجية التلميحية[5]، تنبّه إلى حالاتٍ أُخرَ للأفعال الكلامية "يَنفذ من خلالها حدثٌ تحقيقيّ[6] [فعل إنجازي] بشكل غير

وينظر: سرحان، إدريس، التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ضِمن: التداوليات، ص167–168.

(1) سبق الحديث عنها في هذه التوطئة.

(2) ينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص25–26، وينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، منشورات الاختلاف، الجزائرالعاصمة، الجزائر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011، ص183–185، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49–50، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص105، وينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 2/182–183، 208–213.

(3) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص136–139.

(4) عن هذه الأسس، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49–50.

(5) الإستراتيجية التلميحية هي: الخِطّة (الطريقة، التدابير، العمليات) التي يُعبِّر بها المُلقي عن القصد، بما يزيد عن معنى الخطاب الحرْفي لكلامه/ كتابته، وبما يُلمِّح للمعنى الثاني المقصود، من غير ذكر القصد صراحة. ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص53، 370، 377.

(6)سبق ذكره في هذه التوطئة، وهو أحد مصطلحات الفعل الإنجازي (قوة فعل الكلام)، وللتدليل على أن المقصود به الفعل الإنجازي يقول الشريف: "والعمل غير المباشر هو عمل لا قولي غير ظاهر". الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص113، ويقول بلخير في تحليله للفعل الكلامي غير المباشر "يجب أن أراجع الامتحان" الذي يعني به القائل الرفض، ويرمز لصاحبه بـ (ع)، جوابا لمن

مباشِر بواسطة حدث آخر"[1]، مثل: هل تناولني الكتاب؟ وأنت لا تقصد المعنى الحرفي الذي هو السؤال؛ لأنّه ثانويّ عندك الآن، إنما تقصد معنًى مُبَطّنًا، صار أَوّليًّا الآن عندك، هو: طلب إحضار الكتاب لك، ومثله: قولك لقائد سيارة: سرعة السيارة جنونيّة، وأنت تقصد طلب تخفيف السرعة، ومثله: إجابتك: عندي امتحان، تقصد الرفض لمن سألك: هل تلعب معي؟... وهلمّ جرًّا.

تلك الحالات أَطلق عليها سيرل مصطلح "الأفعال الكلامية غير المباشرة". يقول سيرل:" هذه الحالات التي يُنجِز فيها المرء فعلًا كلاميًّا واحدًا بصورةِ غيرِ مباشِرةِ عن طريق إنجاز فعلٍ آخرَ بصورةِ مباشِرة، تسمّى أفعالَ الكلام غيرِ المباشِرة Indirect Speech Acts"[2].

وهكذا إذا رجعنا إلى ذاك التقسيم السيرلي الثنائي للأفعال الكلامية (المباشرة وغير المباشرة) فإننا نلمح توظيف سيرل للإستراتيجية التّلميحيّة[3]؛ إذ إن الملقي في الأفعال غير المباشِرة المأخوذة من الأفعال الكلامية المباشرة يتكلّم، يكتب جُملًا حقيقةً، لا جُملة واحدة[4]، يُلمّح فيها إلى فعله المقصود، عن طريق الفعل الكلامي المباشر ومقامه.

بذاك الخصوص كله، هذه بعض الإشارات:

طلب: "لنذهب معًا إلى المسرح"، ويرمز لصاحبه بـ (س). يقول بلخير: "يسمي "سيرل رفض (ع) لدعوة (س) بالفعل الكلامي الأولي، ولكن رفض (ع) جاء بفعل كلامي ثانوي وهو ادعاؤه بأنه يراجع للامتحان". بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص166.

(1) ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م191/1. مع تصرّف في الضبْط.

(2) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، ص185. بتصرّف في الضبْط.

(3) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص377، وقد سبق التعريف بالإستراتيجية التلميحية في هوامش هذا الفصل قبلًا.

(4) العبارة مستفادة من برنامج: "وقفات في الوقف الهبطي" للدكتور سالم الهروس في قناة مصراتة المسموعة. ليبيا. بتاريخ 2012/12/15. بتصرّف.

لحظتُ، من خلال استقرائي لكتابات التداوليين في مدوَّناتهم، لحظتُ أن كثيرًا من أمثلتهم لهذه الأفعال الكلامية، وحتى تصنيفاتِهم المعدَّلة عربيًّا يَعتريها الخلط والتناقض، وقد لحظ قبلي كثيرون ذاك الخلط والتناقض[1]؛ والذي يراه الباحث أن هذه المشكلة العلمية تُحتّم على الباحثين في التداولية اللّغوية التصدّي لها بدراسة نقدية بنّاءة تعدِّل وتفرز. وإذ إن مجال هذه الدراسة هو الوصف والتحليل والتطبيق لا النقد؛ فإن الباحث من ذاك الخلط وتلك التناقضات يكتفي بتلك التوصية، وهذه الأنموذجات:

أولها: عدّ سيرل "التعاقدات" (العقود) من الالتزاميات (الوعديات)[2]، كما عدّ نحلة "الوصية" ضِمنها أيضًا[3]، وكلّنا يعلم من خلال كفاءته الموسوعية أن التعاقدات والوصية من الإعلانيات، التي قال فيها سيرل: "لا تكون هذه التصريحات [الإعلانيات] ممكنة إلا بسبب وجود مؤسسات خارج نطاق اللغة"[4]. فكيف تُعدّ التعاقدات والوصية من الالتزاميات المعروف عنها بأنها أفعال مجرّدة من المؤسّساتية؟!

وثانيها: ما ذكره "ليش" و"توماس" من أن صنف الأحداث التوكيدية يحتوي الإخبار، ونجده في الوقت عينه يسمِّي صنفًا "الأحداث الإخبارية"[5].

وثالثها: يجعل"صحراوي" القسَم لا يخرج عن الأفعال الإخبارية أو الطّلبية[6]، في حين تجد "مزيد" يعدّه من الالتزاميات[1].

---

(1) ينظر: مثلًا: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص505-506، 575، وينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص52، وينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 2/208-213.

(2) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص183.

(3) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

(4) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص185.

(5) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م1/179.

(6) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص208.

وأخيرها: يعدّ الميساوي طلب العفو ضمن التعبيريات، مع أنه يعدّ طلب الزيارة ضمن التوجيهيات[2].

ومع هذه الفوضى المربِكة للأفعال الكلامية، والاختلاف في التحليل بين روّاد النظرية، ومنهجيّاتهم ومصطلحاتهم الضبابية، تجد نفسك عند التحليل التداولي وسط دوّامة تُصدِّع الرأس؛ لكنْ مع توقّع بصيص الأمل في الاستنارة والكلمة السواء، بدلًا من لعن الظلام؛ فتحاول أن تشعل مصباحًا. يقول براون ويول:"ولكن وجود مشاكل في تحديد الأعمال القولية ينبغي الاّ[3] يحمل بالضرورة المحلل على التخلي عن دراستها"[4].

ومع كل ما أشرتُ أريدُ التّنويه إلى أننا داخل الدرجة الثالثة من برنامج هنسن التصنيفي المحدِّد لدرجات تداولية ثلاثة لدراسة اللغة[5]، حيث فُهم أن نظرية أفعال الكلام (أو اللغة[6]) هي ما يُعرف بالدرجة الثالثة من هذا البرنامج، وفيها أبحث الدراسة النسقية للعلاقة بين العلامات اللغوية ومؤوِّليها، حيث يتعلَّق الأمر هنا بمعرفة ما يقوم به مستعملو التأويل، ومعرفة أيِّ فعل يُنجِزونَ باستعمالهم لبعض العلامات اللغوية[7]، وبالطبع أقصد بهذه العلامات الأفعال المتحقِّقة/ المنجَزة عند نطقنا لها، أي:"الأفعال الإنجازية"[8].

---

(1) ينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص52.

(2) ينظر: الميساوي، خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة دراسة في إستراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص73.

(3) (الّا) من دون همزة قطع وردتْ.

(4) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص367.

(5) سبق الحديث عن هذا البرنامج في تمهيد هذا البحث.

(6) ينظر: موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص32.

(7) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص60.

(8) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص158.

أُشير أيضًا إلى وجود عدَّة تقسيمات تخصّ الأفعال الكلامية هي تصنيفات: "ريد"، و"ريناخ"[(1)]، و"أوستين" الذي استهللتُ به هذه الفاتحة، و"فان دايك"[(2)] و"وندرلايش" و"ريكاناتي" و"ليتش"[(3)]، و"شميث"[(4)]، و"ألين بروند"[(5)]، وكلها لم تشتهر بيْن التَّداولِيين؛ لغموضها، وعدم وضوح معالمها، وعدم تطويرها[(6)]؛ لذا فقد تَمّ طرْحها جميعًا من هذه الأطروحة، وتمَّ اعتماد تصنيف سيرل؛ لأنه الأشهر[(7)]؛ ولأن تصنيفه هذا هو الأقرب للعربية، وبه نخرج من إشكال التصنيفات وتعقيداتها[(8)]؛ ولأنه هو الذي "يمثّل نضج نظرية الفعل الكلامي"[(9)]، مع مراعاة خصوصية الأفعال الكلامية العربية، واقتناع الباحث بما يكتب استدلالًا واحتجاجًا.

أصل لأقول بعد ذلك الوصْف، والاستقراء: إنني في هذا الفصل سأتّجه في الأسطر اللّاحقة إلى التحليل التداولي؛ فأوظّف لائحة سيرل للأفعال الإنجازية الكلامية المباشرة ومفهومه لغير المباشرة، كاشفًا عن تلك الأفعال من رباعية الكوني، طارحًا لها في هندساتها الأربعة، بدْءًا بالأفعال الكلامية المباشرة صِنفًا صِنفًا، وهي ملتحمة بنصوصها؛ ومأْربي هو معرفة حدود الأفق التداولي فيها، والمدى التأثيري لها في نصوصها، وختامًا بالاتجاه نحو الأفعال غير المباشرة في

(1) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص29.

(2) ينظر: دايك، فان، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، د. ط، 2000، ص239-240.

(3) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص161-162.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص158-159.

(5) ينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص158.

(6) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص29، وينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي، ص62-63.

(7) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص500.

(8) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، وينظر: ص98، وينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 208/2.

(9) بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص158.

تقسيماتها؛ أسوقها أيضًا في لُحْمتِها النَّصيّة من دون اجتثات؛ أستكشف تداوليتها في الرباعية الروائية وأُنجِز ذيْنِك التوظيف والتحليل.

تلك المنهجية مِن علُ سأطرحها في صورة مَبحثيْن وتسعة مطالب، هي كالآتي:

المبحث الأول: الأفعال الكلامية المباشرة : Direct Speech Acts

المطلب الأول: الإخباريات، **المطلب الثاني:** الوعديات، **المطلب الثالث:** الطّلبيات، **المطلب الرابع:** الإعلانيات، **المطلب الخامس:** البوْحيات.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة Indirect Speech Acts

المطلب الأول: صورة الأسلوب الخبري **المطلب الثاني:** صورة الأسلوب الإنشائي **المطلب الثالث:** الصورة المزدوجة **المطلب الرابع:** صورة الجواب غير المباشر

وهنا أُنبّه إلى أنّني في كل تلك الحدود أنظر بعيْن مائزة إلى خصوصية لغة العرب، معتمِدًا ما حرّض عليه التداولي المغربي"مقبول" من أن المعيار النهائي في تحديد تداولية هذه الأفعال هو السياق والمقام والموقف وقصدية الملقي؛ لأنها هي ما يحقِّق مكاشَفة الغرض من الملفوظ ودلالاته[1]، ومُساءلته تداوليًّا، والله المستعان!

المبحث الأول: الأفعال الكلامية المباشرة

يعرّف سيرل الأفعال الكلامية المباشِرة"[2]، معبِّرا عنها بالحَرْفية، يقول: هي "التي يتلفظ بها المرسل في خطابه،

1) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص42،53.

(2) وتُعرف أيضًا بـ:"الأحداث الكلامية المباشرة"، و"التحقيقات المباشِرة". ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م191/1، و"الأعمال القولية

وهو يعني حرفيًّا ما يقول"[1].

وعلى الرّغم من أن "براون" و"يول" لم يعرّفا الأفعال الكلامية المباشرة؛ غير أنه يمكن لنا أن نستشفّ من تبنّيهما تعريفًا لأحد التداوليين –لم يُصرّحا باسمه– يُعبّران فيه عن الأفعال بـ "الحالات". التعريف هو: فالأعمال القولية المباشرة هي تلك الحالات التي يتم فيها إنجاز عمل دالّ معين بشكل مباشر[2].

كذلك ننهج مع "فان دايك" الذي لم يعرّف الأفعال الكلامية المباشرة بشكل صريح؛ فنستنتج من تعريفه للأفعال الكلامية غير المباشرة تعريفًا على اعتبار التّفسير، هو أن الأفعال الكلامية المباشرة هي: التعبيرات التي تظهر في التفسير على أنها حدث أول فقط[3].

ويحدِّدها "نحلة" مُراعيًا فيها عُنصر المرسِل، يقول:"الأفعال الإنجازية المباشرة [...] هي التي تُطابِق قوَّتها الإنجازية مُراد المتكلِّم أى[4] يكون ما يقوله مُطابِقًا لما يعنيه"[5].

ونستشفّ لـ "طلحة" تعريفًا، يقول فيه: "وهي تلك الأفعال الكلامية التي تُؤدَّى بعبارات لغوية تحمل معناها الأصلي لا معنىً آخر يُفهم بقرائن"[1].

=المباشرة". براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص366، و"الأفعال الحَرْفية" Literal، و"الأفعال الثَّانويَّة" Secondary، و"الأفعال الإنجازية المباشرة". نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80، و"الأعمال اللغوية المباشرة" روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص58، و"الأعمال المباشرة"بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص70، و"الأفعال اللغوية المباشرة". أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري، ص6.

(1) Searl, John R :Expression and meaning. Cambridge University Press, USA ,1999,p3

نقلًا عن الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص135.

(2) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص366.

(3) ينظر: دايك، تون فان، علم النص مدخل متداخل التخصصات، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص138.

(4) كذا في الأصل، وهو يقصد بها (أي) طبعًا.

(5) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50. مع تصرّف في الضّبْط.

بعد هذه التعريفات المتماثِلة تقريبًا لو عرّجنا على ما ذُكر في توطئة البحث سلفًا لتذكَّرنا بأنه ظهرت عدّة تصنيفات للأفعال الكلامية المباشرة "التي تؤدّيها اللغة، أو التي نؤدّيها نحن باللغة"[2]؛ إلا أن ما اعتمده التداوليون جُلُّهم تصنيفَ سيرل، الذي يتّكئ على تصنيف أوستين (1962)، ويشمل: **الإخباريات، والوعديات، والطلبيات، والإعلانيات، والبوْحيات**، وهذا هو المعتمَد في هذه الأطروحة. هذا تذكيرٌ لما ذُكِر قبْلًا، أما توًّا فهذا توضيحٌ يخصّ ماهيَّة هذه الأفعال، ودراسة نظرية وتطبيقية تداولية لها من خلال رباعية الكوني.

المطلب الأول: الإخباريات Assertives

"الإخباريات"[3] صِنف من الأفعال الكلامية السيرليّة (نسبة إلى"سيرل") ، وهي المقابِل لمفهوم "الخبر" لدى البلاغيين العرب[4]، وفيها يلتزم الباثُّ بصحّة محتواه الإخباري، ولا يكتفي بتقديمه، بل يُخبِر به؛ فيؤكِّد وقوعه[5].

أما الغرض المتضمَّن في القول (الغرض الإنجازي) لهذه المجموعة الكلامية فهو "التقرير"، أو هو وصفُ الملقي واقعة معيَّنة من خلال قضية Proposition، أو هو إدراج مسؤولية الملقي

(1) طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص105.

(2) مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص52.

(3) وتُعرف أيضًا بـ: "التأكيدات". أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص66، و"التمثيليات". إيلام، كير، سيمياء المسرح والدراما، تر: رئيف كرم، المركز الثقافي العربي، د ب ر، 1992، ص257، و"التقريريات". صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص82، و"الجزميات". أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 208/2. وكلُّها عندي سواء –وإنْ عَنْونْتُ بالأولى– كلُّها تصبّ في معنىً واحد، هو: الإخبار والتقرير والجزم والتأكيد.

(4) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص82.

(5) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م179/1، وينظر: ديكرو، أوزوالد، وشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي، ص693.

عن صحة منطوقه[1]، أو جعْل الملقي مسئولًا عمّا يقول/ يكتب/ يعتقد من خلال الجملة القضوية المعبَّر عنها حِيال حالة الأشياء. عليه، فإن المعيار الوحيد للحُكم على أفعال هذا النمط هو معيار الصدق والكذب وَفق المحتوى القضوي[2]، كما أنه من خلال استخدام هذا النَّمط من الأفعال يلتزم المُخبِر بصحة محتوى إخباري معيَّن[3].

أما الشرط الافتراضي الذي تقوم عليه الإخباريات فهو امتلاك الأساسات القانونية والأخلاقية المؤيِّدة لصحة مضمونها[4].

وإذ إن "المتكلم في الجزميات يختار من بين جميع الألفاظ الممكنة في اللغة ومن بين جميع تركيباتها ألفاظًا وتركيبًا يجعل الناتج مطابقًا للعالم"[5]؛ فإن اتجاه المطابقة فيها ينطلق من الكلمات إلى العالم Words– to- world[6]، أي: "يكون القول مُطابقا للوقائع والأحداث الموجودة في العالم الخارجي"[7]، عِلمًا بأن هذه المطابَقة تكون في إطار نفْسيات المتكلم/ الكاتب الاعتقادية،

(1) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص505، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49، وينظر: Sens et expression, op. cit, p52، نقلا عن صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص10.

(2) ينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 208/2، وقد سبق التعريف بمصطلح المحتوى القضوي عند الحديث عن المصطلحات في توطئة هذا الفصل.

(3) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضمن: الموسوعة اللغوية: م179/1.

(4) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص82، 208.

(5) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص128.

(6) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص183.

(7) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص505.

والالتزامية[1]. شرط الإخلاص Sincerity في هذه الأفعال يتحقّق في النقل الأمين للحدث والتعبير الصادق فيه[2].

وهكذا تنتمي للإخباريات أفعال العَرْض والتقديم؛ فتقدَّم على أنها شروح، أو سلوك حجاجي استدلالي، أو تبيان لاستعمال ألفاظ، أو إحالات مرجعية[3]، مثل: أكّد، نفى، لاحظ، أعلم، قال، أجاب، برهن، أوّل، اعتنى، أحلته على كتاب كذا، ...[4].

وبالخصوص، يسجّل تعبير: "تباهى فلان" بالذات، على أنه من التأكيدات، إضافة إلى أنه يهمّ مصلحة المتحدِّث/ المدوِّن(على اعتبار أنه المحور في هذا التصنيف[5])، وتُعدّ "لخّص" و"استنبط" من التأكيدات، إضافة إلى إشارتها إلى بعض العلاقات بين حدث الإنجاز التأكيدي وباقي الخطاب أو سياق الإنجاز [6]، حيث الربط بين الأقوال قبلًا والأقوال بَعدًا[7].

وبناء على ما مضى؛ فإننا نستطيع باللغة من خلال توظيف هذا النّمط من الأفعال اللّغوية أن: نصنِّف، ونفسِّر، ونصف، ونُقرِّر، ونعتقد[8]، ونجزم، ونخبر، ونختتم، ونُنكر[9]، ونستنتج،

---

(1) ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 208/2.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49، وينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 208/2.

(3) ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 183/2، 213، وقد سبق التعريف بالإحالة المرجعية عند توطئة الفصل الأول في الهامش.

(4) ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 182/2-183.

(5) المحور وظيفة تداولية [...]، تُسْنَد إلى عنصر الخطاب الدَّال على الذات التي تُشكِّل محطّ الحديث. المتوكل، أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص134.

(6) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص66.

(7) ينظر: نفسه، ص65.

(8) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص183.

(9) ينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص51.

ونلخّص، ونؤكّد[1]، ونُقسِم والله إنا لصادقون، ونُقسِم ما فعلنا كذا[2]، ونفترض، ونفتخر، ونثبت، و...[3].

إذا ما ربطنا هذا النّمط من الأفعال الكلامية بحياتنا لوجدنا أن كثيرًا من **استعمالاتنا اليومية** خاصة عند الدّردشة مع الآخرين تنصب في هذه الأفعال... إليك هذا المشهد الحيوي/ الحياتي:

"رجعتُ من الجامعة مساء، وكأيّ زوجة عربيّة فور حضور زوجها من عمله، فتحتْ حرمُنا المصون تحقيقًا لي: ماذا أنجزت هذا اليوم في الجامعة ياعزيزي؟ فأخذتُ أحدِّثها، وخاطبتُ نفسي: لن تستطيعي الإفلات من الإجابة مهما فعلتِ؛ فعليكِ الامتثال والطاعة! وقدَّمتُ تقريري: يا أسيرتي! حضرتُ مناقشة رسالة ماجستير لأحد الأصدقاء، وأُعلنتْ إجازته؛ فهنّأته، ثم زرتُ أحد الأساتذة في مكتبه؛ فسألتُه عن بعض الأسئلة التي تُحيِّرني؛ فأجابني؛ فشكرته؛ ثم خرجتُ إلى مقهى الجامعة، وهناك التقيتُ بصديقي الذي كنتُ قد تواعدتُ معه البارحة على اللقاء في المقهى، ثم خرجت إلى المكتبة؛ فاستعرتُ منها مجموعة من الكتب التي تريْنها على هاته الطاولة".

الشاهد الآني في هذا الحوار وهذه الدّردشة هو استعمال الأفعال الكلامية الإخبارية المباشرة: رجعتُ، فتحتْ؛ فأخذتُ أحدِّثها[4]، خاطبتُ، لن تستطيعي، قدّمتُ، حضرتُ، زرتُ، فسألته...تحيّرني، فأجابني، خرجتُ، التقيتُ، ترينها؛ وحتى الأفعال: أُعلنتْ، فهنَّأتُه، فسألتُه،

---

(1) ينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 209/2.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص208.

(3) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص506.

(4) الفعلان المركبان صرفيًّا يُعتبرانِ فعلًا كلاميًّا واحدًا؛ لأنّني أنجز فعلًا كلاميًّا واحدًا، ينظر: دايك، فان، النص والسياق، ص286-287.

فشكرتُه، تواعدتُ، فاستعرتُ -مع أنها في الأصل ليستْ إخبارية- صارت إخبارية؛ وذلك لأنّني سُقتها بشكل تقريري إخباريٍّ، توكيدي لما حدث حقيقةً[1].

في نهاية المطاف "النظر إلى النص على أنه فعل كلامي كبير من أفعال اللسان"[2]، هو الإخبار والتقرير والتوكيد، هذا من جهة.

أما من جهة أخرى فإنّني مع استخدامي في النص لأفعال كلامية أخرى بقيَتْ دالة على الطلّب ولم تتحوّل إلى الإخبار، وهي: يا عزيزي! ماذا أنجزت؟ فعليكِ الامتثال، يا أسيرتي! مع استخدامي ذاك إلاّ أنّني أدّيْتُ فعلًا كلاميًّا جامعًا[3]هو الإخبار حسبَ ما يقول التداوليون؛ وذلك "لأن العملية التخاطبية لا تقوم على فعل كلامي واحد وإنما تتضافر الأفعال الكلامية المختلفة لتعبر عن الكفاءة التداولية للمتكلمين"[4].

المقطع الحيّ تحتُ من رواية الخسوف يُرينا كيف وظّف الكوني ذاك التنظير للأفعال الكلامية التقريرية، وما مقاصده؟

"هبت نسمة شمالية باردة. بداية الشتاء في الصحراء. ولكن الرياح الشمالية، المشبعة برطوية البحر، استمرت تهب على الواحات بسخاء هذا العام، حتى أن هذه الظاهرة استولت على اهتمام الأهالي، ورأوا فيها مؤشّرًا غيبيًا يعد بالفرج وتغيّر المناخ في الصحراء. الأهالي لايفقدون الأمل أبدًا. ويصرّون على انتظار ذلك اليوم الذي ستعود فيه الصحراء خضراء تكسوها الغابات وتخترقها الأنهار. وهم يرون في التغيرات الطارئة مؤشرًا لصدق النبوءة، فيراودهم الأمل ويفركون

(1) ينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص108.
(2) ينظر: قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي، ص62.
(3) ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص186، وينظر: فطومة، لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي"، ص596.
(4) فطومة، لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي"، ص596.

أيديهم كالأطفال، بل ويذهب الانفعال بالمتطرفين منهم فينحرون الذبائح ويسيلون دماء القرابين تعجيلًا بالفرح المنتظر"[1].

في إطار أهمية معرفة موضوع الحدث في السياق عامة والسياق التداولي خاصة[2]، وكوْنِ أحدِ الأسئلة التي تَطرحها التداولية اللغوية وتحاول الإجابة عنها هو: من يتكلّم؟ ولأجل مَن؟[3] أُعنوِن النص أعلاه، وأختارله: "تفاعل أهالي واحاتِ ليبيا مع مُناخهم الشتوي".

عند محاولة القراءة التداولية لهذا النصّ، الذي يحكيه لنا الكوني مباشَرة، وليس عبْر شخصيات روايته، ويسوقه لنا بأسلوب خبري جمالي، عند محاولة القراءة نلحظ أن الكوني يؤكِّد لنا تفاعلَ الأهالي مع طقسِ واحتهم المتغيِّر المزاج وصحرائهم القاسية؛ إذ في الإخبار تأكيد كما علمنا في التأسيس لهذا التطبيق أعلاه.

كذلك عند محاولة القراءة نتأمّل تعاون الأفعال الكلامية المباشِرة الإخبارية بشكل مُتراكِم في صُنع الحدث، زمنَ الشتاء؛ حيث ينقل لنا الكاتب من خلال هذا الرَّصّ الكَمِّي المتوازن، أعني: هبّتْ، استمرّتْ، استولتْ، ...، ينقل لنا اعتقاده كيفما كانت درجته[4]. إنه يجعلنا نعيش جوّ النص، بل وينقله لنا تراتبيًّا؛ فينطلق بنا إلى صورة الحدث القادم في حكاية الرواية، إنك تراه يُسقط في النص بَعدًا التَّراكيبَ المُناخية كما أُطلِق عليها، مثل:"موجة الرطوبة السخيّة القادمة من البحار النّائية"، و"موجات الهواء الشمالية"، و"تُخفِّف من حدَّة الشمس"، ومُفردات بيئة المُناخ: "لثام"، و"أحسَّ". تأمّل قوله بَعدًا "أزاح الشيخ غوما لثامه عن وجهه وكشف عن فمه وسحب نفسًا عميقًا

---

(1) الخسوف: 4/13-14.

(2) سبق التعريف به في هوامش الفصل الأول.

(3) ينظر: فطومة، لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي"، جامعة بسكرة، الجزائر، 15-17 نوفمبر2008، نشر جامعة بسكرة، الجزائر، 2008، ص586.

(4) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص66.

من موجة الرطوبة السخية القادمة من البحار النائية. أحس بالارتياح برغم التعب. انتصف النهار. ولكن موجات الهواء الشمالية استمرت تخفف من حدَّة الشمس. يوم نادر في الصحراء"[1].

النص الهدف الذي نعاينه توًّا يحتوي على الأفعال الكلامية المباشرة المتعدِّدة الأنماط في أصل وضْعها؛ فالفعل"يَعِد" ينتمي إلى فصيلة أفعال الوعديات؛ حيث الالتزام من الواعِد[2] و"يُصِرّ"، و"يراوِد" من نوْع أفعال الطّلبيّات؛ حيث حَمْلُ المخاطَب على فعل المطلوب[3]؛ إلا أن الكوني وهو ينقل لنا في تقريره هذا ما يمثّل الواقع الصحراوي الشتوي، باستخدام أدواته المعجمية الشكلية، أعني: الأفعال الكلامية المباشرة: هبَّتْ، استمرتْ، تهُبّ، استولتْ، رأوْا، يَعِد، يَفقدون، يُصرّون، ستعود، تكسوها، تخترقها، يروْن، فيراودهم، يَفركون، يَذهب، فينحرون، يَسيلون؛ إلا أن الكوني وهو ينقل لنا ذلك ينقله في إطار إخباري[4]؛ فهو يُخبرنا –ولا أحد غيرُه– بهبوب النِّسمة، واستمرار هبوب الرياح الشمالية، واستيلائها على اهتمام الأهالي، ويقدِّم لنا في تقريره الرؤيةَ الواعِدة للأهالي في استمرار هبوب تلك الرياح، وعدمَ فقْدِ هؤلاء للأمل، وإصرارَهم على انتظار عودة الصحراء إلى كُسْوة الغابات واختراق الأنهار، كما يجزِم رؤيتَهم لمؤشِّر صدق النبوَّة، ومراودةَ الأمل لهم، وفرْكَهم لأصابعهم، وذهابَ الانفعال بهم، ونَحرَهم الذّبائح، وسَيْلَهم دماء القرابين.

إذن الأفعال الكلامية المباشرة التقريرية الجازمة تلك تؤكِّد الشُّحنة الإخبارية للمعلومات والأفكار والقناعات التي يتعاطاها هؤلاء البدو[5] (أو بالأحرى كما يعتقدها الكوني عنهم وفيهم)؛ فهم مُجبَرون على الاهتمام بنواميس الطبيعة؛ لأنهم يأملون الفرج الذي ينزل الغيث الوفير؛ فيرتوون، ويسقون حيواناتهم، وتأكل أعشاب الغيث، ويزرعون أرضهم؛ فيأكلون ويَبيعون ويُقايضون،

---

(1) الخسوف: 4/13-14.

(2) يوجد مطلب خاص بأفعال الوعديات في هذا الفصل.

(3) هناك مطلب خاص بأفعال الطلبيات في هذا الفصل.

(4) ينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص 108.

(5) ينظر: نفسه، ص 107.

وفي تفكيرهم دائما يدور الأمل، وفي قناعتهم لابد من تقديم القرابين، والنحْر والذبح؛ حتى يستجيبَ مبدِعُ الكوْن جلّ في عُلاه!

ومن خلال استخدام الكوني تلك الأفعال في صورتها الإخبارية الإنجازية أيضًا يتَّضح لنا أنه استطاع أن ينقل لنا التغييرات الحاصلة في العالَم المحيط بأهل الواحات الليبية(1)، وكيف يعيش الأهالي حدث هبوب الرياح وهطول الغيث، أي: كيف يعيشون الحدث. إنه يريد أن يخبرنا بكيفية وجود الأشياء(2) كما يجدها هو.

إن الكوني من خلال تلك العمليات الاستدلالية التي يستعملها (أعني: استخدام اللغة، والمنطقية، وتوظيف السياق والمقام، وعرْض مواقفِ أهل الواحة ومقصديّاتهم)(3) يحاول التأثير فينا: أحيانًا بالتعاطف مع هؤلاء، وأحيانًا بالتماس العُذر لهم في قناعاتهم، وأحيانًا بمحاولة إقناعنا بحياتهم (كما هي، وإن كانت سَلبيّة) وبطبيعة أرضهم، وديْدن معيشتهم، ...، ولا نُحمّل النص أكثر، خاصّة ونحن نعلم أن الراوي من سكان الصحراء والواحات الليبيّة.

يتّضح ذلك أكثر بما نراه من توجّه حِجاجي لسلسلة الأفعال الكلامية(4) التي يَنثرها الكوني في نصّه هنا وهناك، يَعذُر فيها الأهالي؛ فبواسطة الفعل الإخباري "رأوا فيها مؤشرًا غيبيًا يعد بالفرج" يَحملك الكوني على التماس العُذر للأهالي حالَ اهتمامهم بالطبيعة، الاهتمام الذي يَحمله الفعل الكلامي"استولت على اهتمام الأهالي"، وفي انتظارهم للجنّة الدنيوية في صحرائهم، الذي يحمله الفعل اللّغوي"يصرّون على انتظار ذلك اليوم الذي ستعود فيه الصحراء خضراء"، لهم عُذْرهم بالفعل التقريري"الأهالي لا يفقدون الأمل أبدًا".

---

(1) ينظر: أبو هيف، عبد الله، اللغة والاتصال والتداولية، مجلة التعريب، د م ع، 2006، ص149.

(2) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص32.

(3) ينظر: الحباشة، صابر، تلوين الخطاب الأبعاد التداولية في شروح التلخيص (نموذج طريقة الدسوقي في الشرح)، مجلة كتابات معاصرة، د م ب ع، 2003، ص68-69.

(4) ينظر: دايك، فان، النص والسياق، ص231.

وينقل لنا الكوني عدم رضاه وِجاه الأهالي، وسخريَته من تلك السلوكيّات وهم يعيشون الحياة الطفوليّة، ويوظِّف لذلك الفعل الكلامي "يفركون أيديهم كالأطفال"؛ لكنه يخبرنا بأنهم معذورون بالفعل الكلامي "فيراودهم الأمل"، كما يحاول التأثير فينا بحمْلنا على اعتقاد[1] بأن منهم من يمكنك وصفه بالمتطرّف، طارحًا لنا ذلك بالفِعْل الكلامي الجزمي المباشر "ويذهب الانفعال بالمتطرّفين منهم"، ويوظِّف لخبره المشخَّص للحالة الفعلَ الكلامي: "فينحرون الذبائح"، والفعل: و"يسيلون دماء القرابين" والقصد عدم رضاه، وسخريته من تلك السلوكيات.

وبذلك كله أمكننا القول: إن الكوني استطاع أن يقدِّم لنا تلك الأفعال التقريرية في توظيف تداولي حجاجيّ؛ وبذاك عبَّر لنا عن وجهة نظره في تلك الطبيعة وانعكاساتها على أهل الصحراء، كما استعمل أفعاله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد، أو الادّعاء، وتقوية لوجهة نظره، وكذلك تأسيسًا لنتيجة[2] مفادها: الإنسان ابن بيئته.

وهذا **نصّ آخر** من رباعية الكوني أسوق فيه شاهدًا تطبيقيًّا آخر نقرؤه قراءة تداولية؛ لكن هذه المرة من الكوني وهو يتقمّص إحدى شخصياته، إليك النص وشاهده:

"سكت [مهمدو] ويدأ يخلط الشاي . قال دون مبالاة:

- هل تعرف من وراء هذه الدعاية؟

أضاف دون أن ينتظر جوابا

---

(1) ينظر: أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ص131، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص109.

(2) ينظر:

Eemeren and Rob Grootendorst: Analyzing argumentative discourse, In Robert Trapp and Janice Schuetz (ed) perspectives on argumentation,pp86-106. Frans H. Van,

نقلًا عن الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص482.

– عبد الله الجاروف.ابن الشيخ عاشور عميل القائمقام الذي دفنه الناس حيًّا في الأرض عندما ثاروا ضد البك.

هز غوما رأسه المتوج بعمامة بيضاء، وتمتم بصوت هامس:

– فهمت. فهمت"[(1)].

نلحظ أن قول الكوني على لسان مهمّدو: "–عبد الله الجاروف. ابن الشيخ عاشور عميل القائمقام الذي دفنه الناس حيًّا في الأرض عندما ثاروا ضد البك"، وتتمّته: "هو من وراء هذه الدّعاية" المفهومة من خلال السياق الداخلي اللغويّ، قد أدّى فعلًا كلاميًّا تقريريًّا؛ لأن الكوني وهو يتحدّث على لسان العرّاف يكون قد وصفَ حدث الدّعاية من غير ادّعاء بتغيير شيء في الواقع[(2)]؛ وعلى هذا فقوة الكلام التحقيقي (الإنجاز) عنده هنا هي التأكيد[(3)].

وعندما قال الكوني على لسان العرّاف:"–عبد الله الجاروف.ابن الشيخ عاشور عميل القائمقام الذي دفنه الناس حيًّا في الأرض عندما ثاروا ضد البك". لم يكتفِ بتقديم حدث الإخبار، بل إنه أكّد واقعية هذا الحدث، ومن هنا فالتأكيد فعلٌ أيضًا[(4)].

ومع بساطة التأكيد في الاستخدام إلّا أنه يغيِّر مقام الخطاب حتى من شخصيات الرواية؛ فالعرّاف تقع عليه مسؤولية ما قال لو أنه اكتشف أن عبارته التي أخطر بها خاطئة، وأنه وقع من ثَمّ في الخطأ، كما يغيِّر التأكيد مقام المتحدَّث إليه غوما، فهو لا يستطيع من الآن فصاعدًا إنكار

---

(1) الخسوف: 74/3.

(2) ينظر: ديكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي، ص692.

(3) ينظر: نفسه، ص696.

(4) ينظر: نفسه، ص693.

الحدث المؤكَّد من غير تبنّيه وِجاه المتكلِّم مهمّدو موقفًا معارضًا وعصيانًا عقليًّا[1]، بمعنى أن يكون مقصده تكذيب العرّاف، أو إغضابه، أو مُخالفته رغبةً في المخالَفة، أو ... هلّم جرًّا.

الملاحظ أخيرًا كثرةُ توظيفِ الكوني لهذا النَّمط من الأفعال؛ حيث تأتي في المرتبة الأولى الموظَّفة في الرواية، والعلّة في رأيي هي: تعمدّ الكوني استخدام الأسلوب المباشر أكثر من استنطاق شخصياته.

المطلب الثاني: الوَعْديّات[2] Commissives

الهدف الإنجازي من أفعال الوعديّات هو التزام المرسِل بأفعال مُستقبليّة[3]، أو إجبار المتكلِّم على فعل شيء مُستقبليّ[4]، والاتّجاه المُطابَقي فيها مماثِلٌ للأمريّات؛ إذ هو من العالَم إلى القول[5] world-to-Words؛ حيث ينطلق الواعد(المسؤول عن المطابقة) ليغيِّر شيئًا في الواقع طبقًا لقوله، ومن ثَمّ يتطابق الواقع والقول[6].

---

(1) ينظر: ديكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي، ص693.

(2) المصطلح استعمله: إيلام: ينظر: إيلام، كير، سيمياء المسرح والدراما، تر: رئيف كرم، المركز الثقافي العربي، د ب ر، 1992، ص258، وتُعرف أيضًا بـ: "الأفعال الالتزامية"، ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص158، وبـ: "الأفعال الإلزامية"، ينظر: فطومة، لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي"، ص592، وبـ: "الالتزاميات"، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50، وبـ: "التعهّديّات"، ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م179/1، وبـ: "أفعال الوعد، ينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص27، ولا مُشاحّة في الاصطلاح، وما توسيمُ الباحثِ العنوانَ بالمُرادِف المُصطلحيّ الأوّل إلّا لضرورة داعي اختيارِ عَنْونةٍ لا غيرُ.

(3) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م179/1، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص158.

(4) ينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 210/2.

(5) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص506.

(6) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص30، 127–128.

أما الشرط العام للمحتوى القضوي في التعهديات فهو وُقوع الوعد للموعوْد مُستقبلًا[1]، وأما الشّرط المُعِدّ لها فهو قدرة الواعد على ما كلَّف به نفسه[2]، أما عن الحالة النّفسيّة المعبَّر عنها في الالتزاميات فهي القصد[3] intention، والأخير هو أيضًا شرْط الإخلاص في هذا النّمط من الأفعال القولية[4]،"فكل وعد [...] هو تعبير عن قصد فعل شيء ما"[5].

إذن من خلال أفعال الوعد أستطيع باللغة أن: أُهدد وأَنذُر[6]، وأضْمن، وأُبرم اتَّفاقًا[7]، ونستطيع أن نَعد، ونتعهَّد، ونلتزم، ونتحمّل، ونحمِل مسؤوليّة، ونأخذ على عاتقنا[8].

وهكذا فإن الأفعال الالتزامية توظَّف تداوليًا في تعبيرات كثيرة منها: قبول وجهة نظر معيَّنة، ورغبة في الحجاج من عدمه، ودعمًا للمرسِل في الدّفاع عن موْقفه، وتعبيرًا عن الموافقة على مناصرة دعوى أو معاداتها، واتّخاذًا لقرار ببدء نقاش وموافقة على قوانينه[9]؛ إذ جميع هذه التعبيرات وهذه الأفعال تستلزم الالتزام، "التزام من جانب المتكلم بأن يتعهد بسلوك الفعل الممثل في المضمون القضوي"[10].

(1) ينظر: نفسه، ص30، وينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص507، وينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 210/2.

(2) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31.

(3) ينظر: نفسه، ص31.

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

(5) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص184.

(6) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص184.

(7) ينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص27.

(8) ينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص51.

(9) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص482.

(10) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص183.

وإذا ما ربطنا هذا النَّمط من الأفعال **بسلوكنا الحيوي/ الحياتي** لوجدنا شواهد كثيرة، منها: أوصلني مُشرفي إلى شُقّتي ذات مرّة؛ فقلتُ له: نَزالِ عندنا، وجلاسِ على كراسينا، وشرابِ قهوتنا، فقال لي: في موعد آخر إن شاء الله؛ فقلت له:أعتمدُ هذا؟ فقال: اعتمدْ.

هنا ووَفْقًا لنظريّة الأفعال اللغوية أعتبر أن مُشرفي لم يقل:"أعدك" فقط، إنّما أنجزَ فِعل وعْد، أي: فعل أداء بتعبير أوستين[1]؛ لأن"المتكلِّم عندما ينطق بالفعل (أعد) فإنما يلتزم بوعدٍ يقطعه على نفسه بمجرَّد النطق بالكلمة"[2]؛ وذلك اعتمادًا على المَقام المتمثِّل في الموْقف الذي اتّفقنا فيه، والمعرفة المشتركة التي تخص حيْثيات الاتّفاق، والدِّين والعُرف اللذيْن يُجبِران مُشرفي بالتّكرّم بزيارتي بناء على تفوّهه بمفهوم الوعد، واعتمادًا على السياق الدّاخلي اللّغوي لملفوظ المُشرِف. يقول فان دايك: "الاستعمال اللُّغوي ليس إبراز منطوق لغوي ما فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيَّن أيضًا في الوقت نفسه"[3].

ومباشرة إلى الخسوف، تُرى هل وظَّف الكوني في رباعيته تلك الاستعمالات التّداولية لفعل الوعد؟ هذا **مشهد حيٌّ** من الرواية نسرده، ونُحلِّله تداوليًّا:

"حل الغروب فرأى قرص الشمس الغارب محاطا باللون الأخضر فعرف أن نهار الغد سيكون قائضا. تمطّى خارج الخيمة ثم تناول عكازه وذهب يتفقد الطفل [حفيده آيس] في البيت المجاور. وجد العجوز منهمكة في الصلاة على بعد أمتار من المدخل. جلس بجوار الطفل وقد لاحظ زرقة خفيفة تكتسح شفتيه، ولكنه قال له مطمئنًا:

– الحمد لله، صحتك تبدو بخير.. لقد شفيت تمامًا.

جلس الطفل في فراشه، مسندًا ظهره إلى العمود المركزي وقال في عتاب:

---

(1) ينظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص180.

(2) الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص180.

(3) دايك، فان، علم النص، ص118. بتصرّف في الضبْط.

- متى تقص لي حكاية البئر؟ لقد وعدتني من زمان. اتذكر؟[1]

- نعم. اذكر[2]. سوف أقص عليك الحكاية بعد أن تغادر الفراش. سنذهب إلى الجبل ونتغدى هناك. ربما غدًا أو بعد الغد، ذلك يعتمد على صحتك" [3].

قصة الحدث في هذا النّص تأتي بآلتين سرديتيْن مختلفتيْن: تبدأ مباشِرة من الكوني وتنتهي بطريقة غير مباشرة من خلال شخصيتيْن روائيتيْن، وهي تتحدّث عن وعْد قطعه غوما لحفيده آيس قبل مدّة زمنية، عِلمًا بأن الكوني لم يذكر مُسبقًا هذا الوعد ولا زمنه في الصفحات السابقة للنّص، لا عن طريق أسلوبه الإخباري المباشر ولاعن طريق استنطاق شخصياته، وعلى كلٍّ فهذا الوعد هو أن يروي الجد لحفيده حكاية بئر أطلانتس الذي تُقيم حوله القبيلة في الصحراء الليبية؛ لكن الحفيد شعر أن جَدّه تأخّر في إنجاز وعده له، وأن الوقت مناسب الآن لإنجازه؛ فأنجز معه وعدًا آخر في هذا الموْقف الذي ساقه الكوني في هذا النّص.

الشّاهد التّداوليّ المستهدَف هو قول غوما لحفيده: "سوف أقص عليك الحكاية بعد أن تغادر الفراش".

عندما نقرأ نحن المتلقّين الخارجيين (القرّاء) حدث الوعْد في النّص قراءة تداولية، ونركّز على محورية الوعد فيه، يتوجّب علينا ابتداء ألّا ننسى أن الكوني قصَد بوعيٍ أو من دون وعيٍ أن نوظّف الأداة التّداولية "معرفة العالم"؛ فنضع في حُسباننا أن غوما عندما وعد حفيده بالقصّ فإن ذاك الوعد صار مُلزِمًا لغوما وواجبًا عليه بحُكم الدِّين والعُرف؛ فنعي هنا أن عبارة الشاهد: "سوف أقص عليك الحكاية بعد أن تغادر الفراش" قد استخدمها الكوني في الوعد نتيجة للمضمون الوصفي الظاهر للجملة التي تبدو أنها تشير إلى أن الواعد غوما مستمر في وعده؛ ولذا فإن عمل الكلام

(1) الصواب أن تكون همزة الاستفهام همزة قطع هكذا: "أتذكر؟".

(2) "أذكر"همزة قطع، هذا هو الصواب؛ لأنها همزة المتكلّم.

(3) الخسوف: 41/1-42.

التحقيقي (المعنى القصدي) لم ينجَز إلا عن طريق طقوس اجتماعية، تعزو إلى مثل هذه الصياغة، التي استخدمها الكوني في هذه الظروف[1].

كما أنه تَطلّب منّا عند نطق غوما بالوعد عِلْمنا بقدرته على الإيفاء بوعده، أو على الأقل لدينا سببٌ لافتراض قدرته هذه؛ ومن ثَمّ فقد أدّى فِعل الوعد[2]، كما أنه تطلّب منا أن نضع في حُسباننا أن تكون لدينا معرفة خلفية بالاهتمام الخاص الذي يُبديه حفيد غوما لهذا الموضوع وهذه القضية[3].

مع ذاك الاعتبار يُرينا الكوني كيف أن الحفيد يحُسّ بقيمة القصّة وأنها شائقة مثيرة، كما يحاول جعْلنا عيْش الجو النّفسي الصَّعب للطّفل؛ حيث يعيش الطّفل همّ حالة الانتظار، انتظار بفارغ الصبر، وما أصعب الانتظار! ومن المنتظِر؟ طفل! نقرأ ذلك نظمًا ومقامًا؛ حيث يخبرنا الكوني بإلحاح الحفيد البادي في نبرة الطّفل وهو يُذكّر جدّه بوعده إياه:"وقال في عتاب"، كما يجعلنا الكوني من أجل ذلك نستمع إلى"آيس" وهو يُنجز أحداثًا مركَّبة ثلاثة، هي: فعل الكلام الاستفهامي المباشِر الأول المصدَّر بالدّليل الإنجازي Illocutionary indicator (متى) الدّالّة على الاستفهام الحقيقي الطّلبي[4]: قول الحفيد:"متى تقص لي حكاية البئر؟"، والفعل الكلامي المباشر الإخباري التّوكيدي: قول الطّفل: "لقد وعدتني من زمان"، وفعل الاستفهام الكلامي المباشر الثّاني، قول آيس: "أتذكر؟" المصدَّر بالدّليل الإنجازي illocutionary indicator الهمزة، حيث تدل هذه السّابقة

---

(1) ينظر: ديكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي، ص693-694.

(2) ينظر: نفسه، ص693.

(3) ينظر: دايك، فان، علم النص، ص119.

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51، 81، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص114، وطبيعة الاستفهام الحقيقي هي اقتصار الإجابة فيه على أدوات الإجابة (نعم أو لا،...)، واقتصاره على قصد واحد هو طلب الإجابة، حيث لا يتعدّاه إلى الإنكار أو التعجّب مثلًا، ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص114، وينظر: الحباشة، صابر، من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، ص22.

الصّرفية على الاستفهام الطّلبي الحقيقي التّصديقي أي: طلب تعيين النّسبة، وهنا نضع في حُسباننا وجود الفكرة المُسبَقة لديْنا عن المُسْتفهَم عنه (وعْد القصّ) عند تذكير آيس لجدّه مُستفهِمًا[1]، مع اعتبارنا أيضًا لما في هذا الطّلب الحقيقي والتَّصديق من إعطاء لفُرصة الاختيار الاستجوابي –كما أسمّيها–:"نعم" أو"لا" لغوما، ولاشكّ أن اعتبارنا وحسباننا ذيْنك يَدخلان في ما يُسمّيه سيرل معيار "الشّروط المعِدَّة"[2].

ولو عرّجْنا على ما يسمّيه سيرل "الشروط التأسّيسية" للفعل الكلامي[3]، أي: شروط نجاح فعل الوعد الذي ساقه الكوني في النّص السابق من خلال شخصيته المحورية غوما لخرجنا بالآتي:

- توفّر قاعدة **المحتوى القضوي**/ الإخباري أي: نوع المعنى الأولي، وزمن إنجازه: حيث إننا نجد أن الكوني ساق لنا من خلال نصه وعْدًا، مطلوبٌ من الشخصية غوما فِعله في المستقبل.
- تحقّق الشرط التّمهيدي/القاعدة **التّحضيرية:** حيث إنه من خلال النَّظم والمقام اللّذيْن ساقهما الكوني تأكّد لديْنا –نحن المتلقّين– أن غوما معتقِد بقُدرته على إنجاز الوعد، أيّ أنه مؤهَّل لتنفيذه، وأن الحفيد متأكِّد من قدرة جدّه على إنجاز وعده.
- وجود شرط **الجدّية:** يعلمنا الكوني بأن الجَدّ جادٌّ في ملفوظه، والحفيد يرغب فعلًا في إنجاز وعد جدّه له، وبقوّة تأدية جدّه لفعل الوعْد، بدليل قالَب فعل الإلحاح الذي أعطاه الكوني لسياق الفعل.

---

(1) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51، 81، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص113-114.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص114، وقد سبق التّعريف بمصطلح"الشّروط المعِدّة" عند الحديث عن المصطلحات في توطئة هذا الفصل.

(3) سبقتْ الإشارة إليها في هذا الفصل عند التوطئة.

- ورود الشرط **الأساسي:** إعلام الكوني لنا بمحاولة آيس الواضحة في التأثير على جدّه لإنجاز هذا الفعل من خلال استنطاق آيس، وهو يستخدم الأفعال الكلامية المساعدة[1]، أعني: فعلي الاستفهام، وفعل الإخبار، وفهْمنا من خلال سرد الكوني للحدث أن التزام الجد بوعده صاروعدًا، يجب عليه تنفيذه.
- توفّر القواعد **الأوّلية:** تمثّلت في الاعتقادات الخَلفيّة التي أعطانا إياها الكوني، من تمنّي الحفيد أن يُنجِز جدُّه وعدَه له.
- قواعد **المقصد والمواضعة:** حيث يسخِّر الكوني لمقصد إنجاز فعل الوعد وكيفية تنفيذه كل الدّوال اللّغوية في الحدث[2].

من كل ما سبق نعي بأن الكوني نجح فعلًا في تحقيق فعله الإنجازي؛ إذ استطاع تحقيق غرضه المتضمَّن الذي ألبسه لشخصيته غوما من خلال تحقّق تلك الشروط، مع ملاحظة أن الكوني أرانا لاحقًا أن الشيخ غوما قد التزم بوعده فعلًا في الواقع؛ حيث خرج مع حفيده وقصّ عليه الحكاية[3]، كما نعي بأن فعل الوعد المنجَز كان صحيحًا؛ إذ كان في صالح المتلقي الحفيد[4].

ولي أن أذكر أخيرًا من خلال الاستقصاء والإحصاء العيْني العادي -والحال عدم الاستفادة من نسخة أكترونية كما وضّحتُ في مقدِّمة البحث- الذي قمتُ به أن استخدام الكوني لهذه الأفعال الالتزامية الكلامية المباشرة قليلٌ جدًّا، وربّما راجع ذلك إلى المنهجية التي اتّخذها لعمله السّردي هذا؛ حيث فضّل فيه كثيرًا أن يكون هو فيه الراوي المباشر لا شخصياته.

---

(1) دايك، فان، النص والسياق، ص240.

(2) هذا التحليل مُستفاد من مَراجع الشروط التأسيسية التي استخدمتُها في الصفحات قبلًا.

(3) ينظر: الخسوف: 46/1.

(4) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص20. بتصرّف.

المطلب الثالث: الطّلبيات[1] Directives:

"الطّلبيات" نمط من الأفعال الإنجازية المباشِرة "تخلق أسبابًا للمخاطَب كي يؤدّي المطلوب منه"[2]، كما أنها "تُحسَب كمحاولات لإحراز تأثيرٍ ما عبْر فِعْل المستمع"[3]؛ حيث إن الغرض منها: حَمْل المتلقي بدرجات العلوّ، أو الدّنوّ، أو المماثَلة –أي: وَفْق الشروط المعِدّة[4] Preparatory conditions حسب مصطلحات سيرل[5] –على إنجاز فعل مخصوص[6]، بمعنى أنه: "يمكن لهذه الأوامر أن تنطلق من [الإغراء و[7]] الاقتراح الخجول، لتصل إلى المطالبة الإجبارية"[8]، أو أن الغرض منها هو محاولة توجيه السامع/ القارئ إلى عمل فِعل معيَّن[9]، و باختصار: الغرض هنا

(1) استخدمه الطبطبائي، ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31، وتُعرف أيضًا بـ: "الأمريات" و"الأوامر"، ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص66، و"التوجيهيات"، ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31. الهامش، و"التوجيهات"، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49، و"الأحداث الإرشادية"، ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م179/1، والباحث مع أنه مُقتنِع بأن جميع أولالك التسمياتِ مترادِفاتٌ اصطلاحية، بدليل أنه سيَستخدم الجميع في التنظير والتطبيق؛ مع ذاك الاقتناع إلّا أنه يفضِّل ترجمة "الطلبيات" على غيرها من الترجمات الأُخر؛ لملْحظ تداوليّ دقيق هو: أن الطّلب يحتوي جميعَ هاته الترجمات؛ حيث إن في الأمر طلبًا، وفي التوجيه طلبٌ أيضًا، كذلك هو الإرشاد طلبٌ، وليس العكس صحيحًا؛ لأن الطّلب لا يكون أمرًا فقط، ولا يكون توْجيهًا بسٍّ، ولا يكون إرشادًا وكفى، بل قد يكون التماسًا، وقد يكون دعاء، وهلمّ جرًّا؛ وعليه؛ فاختيار العنْوَنة مقصودٌ هنا.

(2) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31. بتصرّف في الضبط.

(3) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية، م179/1. بتصرّف في الضبط.

(4) سبق تعريفها في توطئة هذا الفصل.

(5) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص75، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص158.

(6) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص506.

(7) ينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ص233.

(8) أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص66.

(9) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49

هو الطّلب[1]؛ وعليْه، أولًا: وِجهة الإنجاز هنا تقوم على حصول الملقي على قيام المتلقي بشيء ما[2]، وعليْه، ثانيًا: يُعتبر المضمون القضوي على الدوام هو إنجاز الفعل من طرف السامع/ القارئ[3]، أيّ أن الأخير هو المسؤول عن إحداث المطابَقة[4].

وبخصوص اتّجاه المطابَقة في هذا الغرض الإنجازي فهو من العالَم إلى القول[5] World- to- Words؛ أي "أن العالم ينبغي أن يكون مطابِقا للقول، أو بعبارة أخرى: "يُطلَب مُطابَقته للقول""[6]، حيث من المُفترَض حدوث تغيير في الواقع، بمجرَّد حدوث الطلب من الملقي.

أما الشّرط المُعِدّ لهذا النمط من الأفعال فهو قدرة المتلقي على تنفيذ ما طُلب الآمر منه[7]، وأما شرط الإخلاص فيها فيتمثّل في المصداقية، والرغبة في التنفيذ عند المخاطَب[8]، ومن ثَم فإن الحالة النفسية المعبَّر عنها في الأمريات هي الإرادة أو الرغبة[9] Want or desire، "فكل توجيه هو تعبير عن رغبة في أن يفعل المستمع الفعل المُوَجَّه"[10]، أو رجاء الطالب في قيام المستمع/ القارئ بشيء[11]، وأما الشرط العام للمحتوى القضوي فهو أن يعبِّر المعنى العام عن فعل مستقبلي للمتحدَّث إليه[12].

---

(1) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31.
(2) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص66.
(3) ينظر: نفسه، ص67.
(4) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31.
(5) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.
(6) ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص506. مع تصرّف في الضّبْط.
(7) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31.
(8) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.
(9) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31.
(10) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، تر: صلاح إسماعيل، ص183.
(11) ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي، 209/2.
(12) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31.

إذن من خلال هذا الصّنف من الأفعال الكلامية نستطيع باللغة أن: نأمر، وننهى، ونطلب، ونرجو، ونسأل عن شيء نعرفه ، ونتوسّل، ونتضرّع، وندعو، ونصرّ، ونُلح[1]، ونُعطي التعليمات، ونستفهم[2] عن شيء لا نعرفه ألبتة، ونلتمس من فلان، وننصح[3]، ونستعطف، ونشجّع[4]، ونستدعي، ونتحدّى (حيث طلبُ المواجَهة بالدّليل أو بغيره "طلب الحِجاج"، أو الدفاع عن وجهة النظر[5])، ونستجوب[6]، ونسمح (نطلب مع شيء من حرية التنفيذ من عدمه)، ونستعطف، ونناشد، ونلتمس[7]، ونُخيِّر (نطلب فعلَ عملٍ واحد من عديد أشياء)، ونقترح، ونمنع (طلبُ عدمِ فعل)[8]، ونُقْسِم: والله لتفعل كذا[9]، ونعترض (نطلب مخالفة ما هو واقع)، ونقترح (نطلب مع درجة من التّواضع واللِّين)، ونستجدي، وندعو لعمل شيء، ونكلِّف بفعل كذا، ونُحذِّر (طلبُ تجنّب، ونهي، ووعيد)، ونبتهل، ونحتجّ، ونعترض[10] (أطلب عدم كذا)، ونوجِّه، ونستأذن، ونستسمح.

نربط هذا النّمط من الأفعال الكلامية المباشرة **باستعمالاتنا** اليومية من خلال المشاهد الآتية:

- قلتُ لأحد أبنائي: أنت مخيَّر بين مشاهدة التلفاز وتصفّح الشبكة العنكبوتيّة.
- دخل علي أحد الزملاء بكتاب فقال لي: أنصحك بقراءة هذا.

---

(1) ينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص52.
(2) ينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 209/2.
(3) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص506.
(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.
(5) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص482.
(6) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص67.
(7) ينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ص233.
(8) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص154، 390، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص158.
(9) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص208.
(10) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص336-338.

- قلتُ لأحد الطّفيلين: أحذّرك من الدّخول إلى زنقتنا مرّة أخرى.
- ذهبتُ لحضور مباراة كرة قدم في أحد الملاعب فرأيتُ الجمهور يردّد: يا حي يا قيوم سويحلي (اسم فريق) يفوز اليوم!
- دخل شرطي على صاحب المتجر الذي بجوارنا فقال له: أنت مطلوب في المغفر.

نلحظ مِن علُ حمْلُ السياقاتِ لعديد الأفعال القوليّة الطّلبيّة المباشِرة، وهي:

أنصحك: فعل نصح، أحذّرك: فعل تحذير، يا حي يا قيوم سويحلي يفوز اليوم!: فعل تشجيع غير صريح، أنت مطلوب في المغفر: فعل استدعاء غير صريح.

هل وظّف الكوني في رباعيته الروائية هذه الأفعال؟ وإن وظّفها جدلًا، فهل أدّت المقصد التداولي الذي سيقت من أجله فعلًا؟ نستكشف ذلك من خلال الشاهد الروائيّ الكونيّ تحتُ.

"فعانى في الأيام التالية صراعًا قاسيًا حتى يكتم رغبته في استشارة مهمدو بما يجب أن يفعله لاسترداد آيس، واستطاع أن يتراجع عن هذه الفكرة بالاعتزال في الغابة والتوقف عن زيارة العرّاف عدة أيام. قال لنفسه:" لن يكون شابًا[1] قليل الخبرة بالحياة مثل أمود أكثر منّي صبرًا وهو الذي رفض الخضوع للحزن والعودة إلى البيت لتقبل التعازي في ابنه مرجحًا بذلك كفة الواجب. حتى أنه رفع عقيرته بالغناء في المساء". وعندما ذهب لزيارة مهمدو بعد عدّة أيام ظل العرّاف يحدجه بنظرات متسائلة طوال الوقت فأيقن أن مهمدو قد اكتشف ما حاول أن يخفيه عنه فقال له بلهجة غامضة:" لست مؤهلًا كي أسدي لك النصح ولكنني أعرف أن الصبر أمر كفيل بتحقيق المعجزة". لم يعلّق بكلمة في حين نهض العرّاف لممارسة الوضوء استعدادًا لصلاة المغرب"[2].

---

(1) الصواب "شابٌّ" بالرّفع على أنه اسم كان.

(2) الخسوف: 153/2.

قصة الحدث مِن علُ يسردها لنا الكوني في أسلوب مباشر، وفي أسلوب غير مباشر عن طريق شخصياته الرّوائية، وهي باختصار تتضمَّن أن: "غوما" بعد زواج حفيده آيس من المرأة السيئة السمعة"باتا" صار قلقًا، وهو في حيْرة من أمره، ماذا يفعل؟ وبعد تردّد خرج إلى صديقه العرّاف "مهمّدو" يطلب منه النّصيحة بهذا الخصوص، وعند وصوله له في مغارته فاجأه مهمّدو بمعرفة هذا القلق وأعطاه نصيحته قبل أن يطلبها منه.

الشاهد التّداولي الذي نريد قراءته هنا هو النصيحة التي أوردها الكاتب على لسان مهمّدو، أو بالأحري الفعل الكلامي المباشر الطّلبي الذي أنجزه مهمّدو، الذي قوّته الإنجازية هي النّصيحة، وهو: *"الصبر أمر كفيل بتحقيق المعجزة"، وقد ورد هذا الفعل مباشِرًا* صريحًا؛ حيث قدّم له الكوني بعبارة لمهمّدو هي: *"لست مؤهلًا كي أسدي لك النصح"*... كما أخبرنا الكوني أن إنجاز العرّاف لهذ الفعل قد جاء في ظروف نظرات متسائلة تلتْها لهجة غامضة، ولم يوضّح الكوني هذه الظّروف؛ لكن فيما يبدو لي وَفْقًا لموقف التلفّظ ومقامه ونظمه أن تعبير النظرات المتسائلة مقصده فيه: طرْح ُأسئلة كثيرة؛ وأما اللّهجة الغامضة فيقصد بها إنجاز نصيحة بنبرة غير واضحة، يمكن أن تكون حزينة! أو مصبِّرة! أو ثائرة! أم...، وعلى كلٍّ فكلُّ هذه الظروف(الأصوات والحركات) لا تعدّ فعلًا لغويًّا[1]، وإن أمكن عدّها ضِمن القواعد التداولية في الشروط التأسيسيّة التداولية السيرلية فيما يُعرف بوضعية المتخاطبين[2].

وإذا عُدنا إلى فعل النّصيحة الذي أنجزه الكوني عن طريق شخصية العرّاف توًّا، بعد أن تطرّقنا إلى ظروف الإنجاز التي وضَعنا فيها الكوني أيضًا لوجدنا أن المحتوى الإخباري للنصيحة

---

(1) ينظر: التجديثي، نزار، نظرية لسانيات التواصل لزيغفريد شميث، علامات في النقد، د م، م10، ع37، 2000، ص398–399، نقلًا عن مقابلة، جمال، وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية "قراءة تداولية ثقافية"، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م2، ع2، 2006، ص46.

(2) ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص174، وقد سبق الحديث عن القواعد التأسيسية في توطئة هذا الفصل.

التي ساقها لنا الكوني عن طريق شخصية العرّاف قد حملتْ طلبًا، وإنْ جعل سيرل النصح قريبًا مِن الخبر، ولم يعترف بكوْنه طلبًا، يقول: "إن نُصْحك ليس محاولة لحَملك على فعل شيء بمعنى الطّلب منك؛ فالنُّصح شيء يُشبه إخبارك بشيء يكون في أفضل مَصالحك"[(1)]، وسواء اتّفقنا مع سيرل أو لم نتّفق هنا فالنُّصح عملٌ قد أنجزه العرّاف توًّا، وهو عمل مُستقبليٌّ مطلوبٌ من غوما[(2)]، وقد سيق مصحوبًا بشرْط التأدّب، وبتقديم مباشر؛ ما أدخله في إنجاز النّصيحة.

أما اعتقاد مهمّدو بأن تنفيذ هذه النَّصيحة سيرجع على المستمع/ الشيخ غوما بالفائدة (لأن غوما إذا قام بأي عمل آخر يمكن أن يزداد الأمر سوءًا؛ حيث إن آيسَ وباتا متمسِّكان جدًّا بزواجهما) وعدم وضوح رؤية التَّنفيذ في الأحوال العادية سواء للنّاصح/ مهمّدو أو للمنصوح غوما فهما ما يمثِّل الشروط التحضيرية[(3)]؛ حيث إن الناصح/ مهمّدو مُجبَر على التأكُّد من قدرة غوما على تنفيذ النّصيحة قبل إسداء النصح، وعلى انتظار فترة من الوقت لاقتناع المنصوح/ غوما، وإعطائه فترة كافية للتفكير، وفترة للتنفيذ.

أما صدق الناصح العرّاف مع غوما في نصيحته إليه، واعتقاد العرّاف بأن تنفيذ هذه النصيحة سيُفيد غوما فهذا شرط أمانة[(4)].

---

(1) ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م178/1. مع تصرّف في الضبْط. ولم يشر المؤلّفان من أيّ كتاب نقلا هذا النص، ولم أجده في كُتُب سيرل التي تحت يدي؛ فالعُهدة على المؤلّفيْن.

(2) التحليل مستفاد، ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م178/1.

(3) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م178/1.

(4) ينظر: نفسه.

أخيرًا، يأتي عمل مهمّدو على جَعْل تنفيذ النصيحة في مصلحة غوما، وعملُ الأخير على الاستفادة من النصيحة بأقصى طاقة ممكنة، هذا العمل يبقى شرطًا أساسيًّا في إنجاح عملية النُّصح برمِّتها[1].

ولانطباق تلك الشروط، أعني شروط الفعل الناجع على فعل مهمّدو، وبعد تفحّص تلك العمليات الاستدلالية يمكننا القول: إن فِعل مهمّدو الناصحِ قد تمّ بنجاح، إذ عبّر مهمّدو في ملفوظه عن اعتقاده بأن هناك مبِّررًا كافيًا لتنفيذ نصحه، وهو الخروج من هذا القلق والضيق الذي يراه مهمّدو على الشيخ غوما[2]، خاصّة مع رغبة غوما الواضحة في إنشاء النصح من دون طلب غوما ضِنُّضنًا[3].

ونتجه تحتُ إلى دور هذا النّمط من الأفعال الكلامية في الحجاج، ونختار **الاستفهام** الذي يعدّ من أنجع الأفعال اللغوية حِجاجًا[4]، كما في المشهد الآتي الذي يقصّه الكوني في رباعيته، ويتدّخل بأسلوبه المباشر بين الفيْنة والأخرى كما عوّدنا، يوضّح المقام التداولي وتصرّفات شخصياته.

في هذا المشهد يسرد لنا الكوني التّحقيق الذي فتحه الجنرال بالبو للشيخ غوما عند وقوعه في أسر الإيطاليين في معركة محروقة[5].

– هل كنت تنتظر أن تقتل جنديًا واحدًا ببندقيتك العثمانية البدائية؟

أجاب غوما بعد تردد:

– ولكنني قتلت جنديًّا أو اثنين..

---

(1) ينظر: نفسه: م178/1-179.

(2) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص338.

(3) ينظر: دايك، فان، النص والسياق، ص133.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص483.

(5) ينظر: الخسوف: 80/3-84.

ابتسم الجنرال بتهكم وعاد يقول ملوّحًا بالعصا التي يقف على رأسها الثعبان:

– قتل جندي لا يعني إحراز النّصر . قل لي بشرف: هل كنت تنتظر نصرًا؟

نكّس غوما رأسه وقال باستسلام:

– لا.

هنا توقف الطلياني واقترب بوجهه نحوه شاهرًا الثعبان المقزز الذي يجلس في نهاية عصاته السحرية وقال جاحظ العينين:

– لماذا تحاربوننا إذن؟

صرّ على أسنانه وأضاف:

– لم أسمع ولم أقرأ في تاريخ الحروب أن احتكم فريق إلى السلاح دون أن يكون له أمل في النصر. فلماذا ترفعون السلاح في وجوهنا مادمتم لا تطمعون في النصر؟

قال غوما بهدوء وهو يسحب لثامه على طرف أنفه

– هذا واجبنا. كنا نؤدي واجبنا فقط.

– هذا غباء. هذه ليست بطولة . لا يمشي في الركب الذي يتحرك نحو العدم والموت إلّا البلهاء أمثالكم!" (1).

من خلال قراءتنا التداولية لفعل الاستفهام فوقُ نلحظ استناد بالبو إلى تضخيم الاختلاف حول مشروعية قتال الليبيين للإيطاليين، خاصة أن غوما لا يتَّفق مع بالبو في إقرار كل الأجوبة(2).

---

(1) الخسوف: 3/90-91.

(2) ينظر: القارصي، محمد علي: البلاغة والحجاج ضِمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د. ط، 1999، ص399، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص483.

نلحظ أيضًا أن فعل الاستفهام في المناسبَة نفسها، أعني: التحقيق السابق الذي سرده لنا الكوني، وذكرتُ قصّته مِن علٍ، نلحظ أنه قد لطّف الاختلاف بين الطّرفيْن، مع أن غوما يميل إلى الإقرار بجواب مُخالِف لبالبو[1]. إليك مشهد آخر من رباعية الكوني.

"قال [بالبو] متفكرًا:

- بدو بلهاء! تدفعون بأنفسكم للتهلكة[2] وتتوهمون أنكم تؤدون الواجب. الواجب في الدفاع عن ماذا:؟ عن صحراء عارية لا أول لها ولا آخر. هئ - هئ - هئ - هئ...

- الصحراء هي الحرية!

- هئ - هئ - هئ... الصحراء هي الحرية!

- لا نستطيع أن نحتمل الحياة بدون[3] صحراء!

- هئ - هئ - هئ... قالوا لي أنك[4] شجاع ولكنهم لم يقولوا لي أنك[5] حكيم أيضًا! يا لكم من ماكرين بلهاء!

صمت غوما فاقترح الجنرال وهو يلوّح أمام وجهه بثعبانه اللزج:

---

(1) ينظر: القارصي، محمد علي: البلاغة والحجاج ضمن أهم نظريات الحجاج، ص399، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص483-484.

(2) الصواب: "تدفعون بأنفسكم إلى"؛ لأن الفعل "دفع" يتعدّى بـ: "إلى"، ينظر: ابن القطّاع، أبو القاسم علي بن جعفر، كتاب الأفعال، ضبط: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد بيضون، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص170، وينظر: الأحمدي، موسى بن محمد، معجم الأفعال المتعدية بحرف، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص101-102، وينظر: فيقانو، انطون، معجم تعدّي الأفعال، دار المراد، بيروت، لبنان، د. ط، 1998، ص147-148.

(3) الصواب أن نقول: "من دون" أو "دون"، ينظر: الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مقابلة: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1992. ص451، وينظر: إسبر، محمد سعيد، وجنيدي، بلال، الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، دار العودة، بيروت، ط1، 1981، ص488.

(4) الصحيح: "إنك" بكسر الهمزة؛ لأن "إن" سُبقتْ بقوْل. ينظر: ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل، تح: محمد قناوي، ومحمد خليفة، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، د. ط، 1973: 1/215-216.

(5) الصحيح: "إنك" بكسر الهمزة؛ لأن "إنّ" سبقها قول. ينظر: الهامش أعلاه.

- لدي اقتراح: لماذا لا تتركوا لنا الشريط الساحلي وتذهبوا لتمارسوا الحرية في الصحراء؟

أعقب ذلك بضحكة ساخرة.

انكمش غوما في كرسيه. قال:

- نحن لم نعبر البحر ونأتي إلى دياركم.

- ولكنكم حاربتمونا في الشواطئ.

- هذا واجبنا.

- ها قد عدنا إلى خرافة الواجب.

- لا نستطيع أن نطمئن إلى وجودكم خلف ظهورنا. لابد أن نترك خلف ظهورنا صحراء من الماء أو صحراء من الرمل. الحرية لا تطيب إلا إذا توفر هذا الشرط!

- أنت فيلسوف أيضًا. أين تعلمت كل هذا؟ على أيدي الصوفيين الدراويش؟"[1]***.***

نلحظ في الحوار الذي ساقه لنا الكوني أعلاه أنه وظّف الفعل الحجاجي "الاستفهام"؛ إذ أعطى للمحاجِجيْن الاستفادة من شرط من شروط التّداول اللغوي[2]، أعني: الإستراتيجية التداولية "الإقناع"[3]؛ إذ كان هدف شخصيّتيْه بالبو وغوما هو إقناع أحدهما للآخر؛ إلّا أنهما لم ينجحا طبعًا في تحقيق هذا الفعل الحجاجي، حيث استمر بالبو في قتال الليبيين، واستمر غوما في قتال الطليان؛ لكن ما كان له وقْع واضح على الأرض بعد تلك الحوارات الحجاجية هو تأثير غوما على بالبو؛ حيث يذكر لنا الكوني ضِمنًا أن بالبو قد أطلق سراح غوما بعد استجوابه بفترة وجيزة[4].

---

(1) الخسوف: 3/91-92.

(2) سبق التّعرّض لشروط التّداول اللغوي في تمهيد هذه الأطروحة.

(3) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص444-446.

(4) الخسوف: 3/94.

وبما أننا ندرس هنا توظيف الأفعال الكلامية المباشرة، صِنف التوجيهات؛ فهذه مناسبَة لنوظّف نقطة عامة في الأفعال الكلامية؛ لكنها في نمط الأفعال التوجيهية أكثر وضوحًا، وهي إنجاز فعليْن كلاميّيْن في وقت واحد. اقرأ الشاهد الآتي في المشهد الرباعي الروائي تحتُ لُطفًا:

"اقترب [السجّان] من آيس المسجي على أرضية الإسمنت مسندًا ظهره الى الجدار فقفز الدوس وحال بينهما. قال وهو يرتعد:

- إياك أن تلمسه! لا تقترب!"[1].

لاحظ أنه من خلال استعمال الكوني للفعليْن الكلامييْن المباشريْن الصريحيْن، صِنفا النهي: "- إياك أن تلمسه! لا تقترب!" استطاع عن طريق شخصيته "الدوس" أن ينجز أكثر من فعل في وقت واحد[2]؛ حيث إنه في حقيقة الأمر لم ينهَ فقط، بل أمر أيضا؛ ذلك أن لسان حاله يقول: لا تلمس آيسَ، لا تقترب منه، وابتعد عنه. يقول الشهري:"يستطيع المرسِل أن يُنجِز أكثر من فعل من الأفعال اللغويّة في آن واحد، إذا اعتمد على الثنائيَّات المُتضادّة التي تنتمي إلى صنف واحد، كما في إنجاز فعل الأمر وفعل النهي في آن واحد من خلال التَّلفّظ بأحدهما. ومما يُيسِّر ذلك أنّهما ينتميان إلى صنف الأفعال التَّوجيهيَّة"[3].

بمعنى أوضح، أنّنا نفهم: بقوْل الكوني على لسان الدّوس للسّجان: "لا تقترب" الأمر بالابتعاد، والنّهي عن الاقتراب، في حين لو استخدم: "اقترب" فمعناه أنه أمره بالاقتراب، ونهاه عن الابتعاد.

---

(1) الخسوف: 39/4، وقد وردت الكلمات "أرضية، الاسمنت، إلى" من دون همزة قطع في نصّها.

(2) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص389.

(3) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص389. مع تصرّف في الضّبط.

ولا شك أن ذاك تصورٌ تداوليّ[1] يُدخلنا فيما يعُرف بـ: "ألعاب اللّغة" التي أشار إليها فتجنشتين[2] L. Wittgenstein؛ حيث البعد التداولي الحُرّ في الاستخدام اللّغوي (المعنى هو الاستعمال)[3] Meaning Is Use، والطرق المتنوّعة في التبليغ، والقصد الذي نرمي إليه من وراء توظيفنا لكلمة معيّنة في سياق الحديث، وتوضيح المعنى، وإيضاح الفروق بين اللّغة واللّغو[4]؛ ما يلِج بنا –في نهاية المَطاف– إلى الفلسفة اللّغوية.

الملاحظ أخيرًا في الرواية كثرةُ استخدام الكوني لأفعال التوجيهيات على لسان شخصياته؛ إذ يأتي في المرتبة الثانية بعد الأفعال الإخباريّة؛ وربّما يكون ذلك راجعًا إلى طبيعة الحياة بصفة عامّة فيما أرى؛ حيث إننا نعيش مع الآخرين نبتغي منهم عديد المَطالب، كما أن طبيعة الحياة الصحراوية البدوية الصعبة الجافّة انعكستْ على أهل الصحراء فجعلتهم يتعاملون مع بعضهم بعضا بشكل مباشر من دون تحفّظ في التوجيهات.

المطلب الرابع: الإعلانيات[5] Declarations

---

(1) التصوّر التداولي هو رؤية تنظر إلى الخطاب ليس على اعتباره تتابعًا جمليًّا وكلًّا دلاليًّا متماسكًا فحسْب وإنما هو أيضًا سيرورة تواصلية دلالية لا تنفكّ عن المقام التواصلي الذي تمّ إنتاجها فيه. ينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص15، علمًا بأن الخطاب مصطلح فضفاض متعدّد المفاهيم؛ لكن ما يعتمده الباحث هو اعتبار الخطاب نصًّا، حيث النص هو: هو نسيج من الكلمات المدوّنة أو المسموعة المتتالية، أقله كلمتان (جملة)". ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص12، 19، وينظر: بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص17–22، وينظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص18.

(2) ينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص179–185.

(3) ينظر: زيدان، محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2002، ص51–58، وينظر: بوقرة، نعمان، اللسانيات العامة، ص179–185.

(4) ينظر: نفسه.

(5) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50، و تُعرف أيضًا بالإيقاعيات. ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31، وبـ: "الإدلاءات". ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص68، و"الأفعال التّصريحيَّة". ينظر: فطومة، لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي"، ص592، و"التصريحات". ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع

الإعلانيات صِنف من الأفعال الكلامية السيرلية، يَحُدُّها الباحث بأنها: "الأفعال اللغوية التي يَعتمِد الأداء الناجح فيها على أحد أطرافها في إيقاع التَّقارب أو المطابَقة بين القضيّة التي يحتويها (= المضمون القضوي) والواقع"(1).

الغرض من الإعلانيات هو إحداث تغيير في الواقع، بحيث يطابق الواقع المُحتوى القضوي (المعنى الأوَّلي للقضية/ الموضوع(2)) بمجرَّد الإنشاء الناجح للفعل الكلامي، ويتم ذلك استنادًا إلى غير المؤسّسة اللغوية(3)؛ ولكن طبعًا بواسطة اللغة؛ حيث تُشترط الصّيغة والمقام(4). وعلى كلٍّ يُشترط في هذا النَّمط من الأفعال الإنجازيّة؛ حتى يُنْجَز كامِلًا، ويصيرَ عملًا ناجحًا، يُشترَط وجودُ مؤسَّسة اجتماعيّة معتمَدة عُرفًا، تقول أرمينكو: "إذ إن وجود المؤسَّسة ضروري في إنجاز الإدلاء بنجاح"(5)، وأَعني بالمؤسَّسة: الكنيسة عند النصارى، والقانون، والدستور، والمِلكيّة الخاصة، والألعاب وقوانينها، والمقاولات(6)، والمسجد عند المسلمين، والمعبد عند اليهود، ورئيس الدولة،

الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، ص185، وينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص507، وينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 211/2، وكُلّها لدى الباحث بميزان مُصطلحيٍّ واحد؛ إذ إنها جميعًا إدلاء، وإعلان، وتصريح، وإيقاع معنى بلفظ يقارنه في الوجود بمجرَّد التلفّظ بها. ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص76. أي: يقع فعلها بمجرّد التلفّظ بها في مؤسّستها. ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص98.

(1) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص68، وينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص34.

(2) سبق التعريف بمصطلح "المحتوى القضوي"عند الحديث عن الإخباريات.

(3) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص103، وينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 175/2.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص77.

(5) أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص68.

(6) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص68.

والمحكمة، والهيئة الإعلامية، أو أي مكان عُرفي اجتماعي؛ بحيث تَعْتمِد هذه المؤسَّسة الإنشاء النَّاجح لهذا الفعل اللغوي، وتَعتبره إحداثًا للتغيير المطلوب[1].

أما اتّجاه المطابَقة هنا فهو الاتّجاه المزدوج Double Direction of fit، من القول إلى الواقع، ومن الواقع إلى القول، بمعنى أنه: يتحقّق نجاح المطابَقة بتغيُّر الواقع، أو تعديله؛ ليُطابِق المحتوى القضوي بتمثيل العالم بأنه تغيَّرَ أو تعدّلَ على هذا الاتّجاه[2]؛ إذ يَصدر على الأرض حُكم من الطّرف الأول يَقبَله الطرف الثاني، عُنْوة أو عن طيب خاطر، ويكون التَّغيير حاصلًا عند الجانبيْن، والنتيجة هي: "حالة من حالات الواقع توجد في العالم لم تكن موجودة من قبل"[3].

وعليه، فإن التَّصريحات تتماز عن غيرها من الأفعال اللغوية بأن إنجازها بنجاح يتحقَّق بمطابقة مُحتواها القضوي للعالم المَعيش[4]، حيث يكفي تغييرك لواقع العزوبيّة ولو بشكل مبدئي عند المسلمين، ثم يُتبَع ما في العُرْف غير اللغوي، كالمهر والإشهار... يكفي سماعك من وليّ المرأة لفظة: "قبلتُ" للدخول في فِعل الزواج ، أي أن الأداء الناجح للأفعال التصريحية يقود إلى التَّناظر بين المحتوى الإخباري والعالم الخارجي[5].

بخصوص المُحتوى القضوي للإيقاعيات فإنه يخلو من أي شرط خاص[6]، كالإخلاص مثلًا[7]؛ حيث إنه لا يمكن مثلًا: أن يَكذِب من يصرِّح في قناة إعلامية، أو يُعلن حرْبًا، أو يعيِّن

---

(1) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص31-32.

(2) ينظر: نفسه، ص29-32، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50، وينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي، 211/2.

(3) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، ص185.

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

(5) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م179/1.

(6) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص68، وينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص32.

(7) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

شخصًا في وظيفة ما[1]؛ لأن فِعله قد أُنجز، وانتهى بمُجرّد نُطْقه له، وحتى في حالة عُدوله نقول: إنه تراجع/ عدَل، ولا نقول: إنه كذِب.

ومن خلال هذه الإعلانيات نستطيع باللغة أن: نُعلن، ونزوّج، ونطلّق، ونُسمّي، ونحكم بكذا، ونوقّع عقْدًا، ونُعيِّن شخصًا، أو نَفصِله من عمله، ونمنح، ونبيع، ونَرهن، ونُقرض[2]، ونُقايض، ونشتري.

أما **الاستعمالات اليومية** للإعلانيات فتتّضح في المشهد الآتي:

- "خرجتُ من البيت إلى الدّكان المُجاور لبيتي؛ فقلتُ للبائع بكم تبيعني هذا الخُضار؟ فقال: بعشرةِ قروش؛ فقلتُ: خذ عَشرتك[3]، ثُم ذهبتُ إلى مسئول في مصلحة حكومية؛ فقلت له: هل تعيِّن فلانًا في مصلحتك؛ فقال: أعيّن، ثم ذهبت إلى المصرف لشراء سيارة حديثة؛ فقال لي الموظَّف: هل ترهن سيارتك القديمة؟ فقلتُ أرهنُ، ثم حضرتُ عقدَ زواجِ جاري، وهو يقول: قبلتُ، ثُم رجعتُ إلى البيت؛ وإذ بالمذيع في التلفاز يقول: نعلن لكم الآن أسماء الفائزين بالمسابقة".

هذه الاستعمالات اليومية في حياتنا مكتظّة بالأفعال الكلامية الإعلانية المباشِرة: خذ عشرتك = اشتريتُ، أعيّن، أرهنُ، قبلتُ، نعلن، والملاحظ في هذه الأفعال أنّها مؤسّساتية غير لغوية.

المقطع الآتي من رواية الكوني الخسوف أطبِّق عليه مانترثه سلفًا؛ حتّى تتَّضح أكثر:

"- الحق أن لدي بندقية أريدك أن تصنع كعبها من الذهب الخالص وفوهتها الأمامية بالفضة.أريد عملًا متقنًا..

هرش الزنجي رأسه وفكر لحظات قبل أن يقول:

(1) ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 212/2.
(2) ينظر: مزيد، بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، ص52.
(3) ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص173.

– تقول أن[1] الكعب كله من الذهب الخالص؟

– نعم. أريده من الذهب الخالص. كم سيكلف ذلك؟

عاد الزنجي يهرش رأسه، وتراجع خطوتين إلى الخلف وقال بتردد:

– هذا سيكلف غاليًا يا سيدنا الشيخ [غوما]. الذهب نادر هذه الأيام.. التجار القادمون من كانو يبيعونه غاليًا جدًا. تستطيع أن تسأل.

قال الشيخ في نفسه:"لقد بدأت مساومات التجار" ثم سارع يقول مشجعًا:

– لا أريد أن أسأل أحدًا.كم تريد؟ لدي فرنكات فرنسية.. هل تقبل فرنكات فرنسية؟

لوح الزنجي بيده في الهواء وقال وقد استعاد حيويته:

– وما عساني أفعل بالفرنكات الفرنسية يا سيدنا الشيخ؟ لا أنوي الذهاب إلى بلادهم. ولا أريد أن ألجأ إلى جانت أو وهران. لو مكثوا هنا لاحتجت إليها، ولكنك طردتهم وخلصتنا من شرهم..

– حسنًا.. حسنًا، سأقايضك بناقة. هل تكفي ناقة؟

تردد الزنجي قبل أن يقول:

– الحق أن ناقة واحدة لا تكفي. ناقتان. سأفعل ذلك ليس بأقل من ناقتين. سيكون عملًا متقنًا حقًا يا سيدنا الشيخ.

قال الشيخ وهو ينهض: لك ما أردت. فلتكن ناقتان. سوف أبعث لك بالبندقية مع أحد أتباعي.

انحنى له الزنجي في احترام. ولكنه التفت وقال مستدركًا:

لقد نسيت.لا تنس أن تكتب عليها اسم أخواد شيخ الفوغاس. إنها هدية للشيخ أخواد"[2].

---

(1) "أن" هكذا هي في نصّها.

(2) الخسوف: 1/104–105.

قصّة الحدث تحكي مراسم عقد صفقة مُقايَضة بين الشيخ غوما وزنجي لم يذكر الكوني اسمه في الرواية، تقضي المقايضة بحصول الزّنجي على ناقتين من الشيخ مقابل أن يصنع للشيخ كعبًا مذهَّبًا وفوَّهة مفضَّضة لبندقية سيُهديها الشيخ غوما لصديقه الشيخ أخواد.

أما الشاهد التداولي الموافِق لموضوعنا فهو الصيغة التي اختارها الكوني لقول الشيخ للزّنجي، **وهي: "لك ما أردت، فلتكن ناقتان"**؛ إذ إننا بسماعنا/ بقراءتنا لهذه الصيغة، نقرأ اعتماد فعل كلامي مباشِر غير صريح، ونؤوّل صريحه بـ: "أُقايض"، ويشهد المتلقي مع الكوني هنا عقد الصّفقة في مؤسَّسة المجتمع والأعراف والعادات والتّقاليد الصّحراوية اللّيبية.

إذن هذه العبارة: "لك ما أردت، فلتكن ناقتان" أدّى من خلالها الكوني عبر تقمّص شخصيّتِه المحورية الشيخ غوما فِعلًا كلاميًّا مباشِرًا إنجازيًّا، وهو فعلٌ من نوع الإعلانيّات الذي يُكتفى فيه بالتّلفظ؛ حتّى يتحقّق وينجح؛ ومن هنا فإنّنا لا ننتظر تحقّق هذا الفعل على الأرض، خاصّة أنه مدعوم بعُرْفِ مؤسَّسةِ العادات والتّقاليد الحازمة التي يصعب مُخالفتها؛ ما يعني قيام هذا النّوع من الأفعال، أقصد: الإيقاعيّات "على وضع غير لساني هو العُرف من شأنه تغيير الحالة القائمة إلى حالة مُستجدة"(1)؛ وعليه فإن هذا الفعل ناجح، وأن الصّفقة التي أرادها الكوني وأعطاها لشخصيّته غوما تمّتْ بمجرَّد الموافقة الشرطية للزّنجي، أعني شَرْطَه وما كان فيه من أخذ وردّ، واستدلال واحتجاج؛ وصولًا إلى الاقتناع بـ: ناقتين اثنتين بدلًا من ناقة واحدة.

– أُجري تلك العمليّة التّداولية بشكل أوضح كالآتي:

---

(1)بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص158.

فعل التَّلفّظ هو: "لك ما أردت، فلتكن ناقتان"، وقد كان حسَب الأصول الصوتية والنحويّة والمُعجمية العربية؛ حيث الحروف العربية المكتوبة على نهج الخطّ العربي، والتّركيب الصّحيح، والمعنى المُعجمى المفهوم لكل كلمة.

أما الإسناد والإحالة والمعنى القضوي فقد تحقّقتْ بالمُسنَد إليه المعطِي المقايِض الرَّئيس المرسِل وهو الشيخ غوما، والمسنَد المُعطَى القابِض المستقبِل وهو الزِّنجيّ، والإحالة اللغوية النّصية في "لك"، حيث الضمير الكاف العنصر المُحيل يُحيل على الزنجي إحالة داخليّة قبليَّة، والضمير التاء العنصر المُحيل في قوله:"أردتَ" الذي يُحيل فيه الكوني على الزّنجيّ إحالة لغويّة نصيّة داخلية قبلية، في معنى قضوي هو إنجاز صفقة مقايَضة.

ومن ثَمّ يكون الفعل الإنجازي المقصود هو إعلان عن مقايَضة[1]. بعد هذه العمليات الاستدلالية التّداولية بمقدِّماتها ومُدخلاتِها تأتي ردّة الفعل ومُخرجات تلك العمليّات، أو ما يُعرف بالفعل التأثيري، حيث كان تأثير غوما على الزّنجيّ واضحًا باستجابة الزّنجي لإتمام صفقة المقايَضة معه كما عرفنا من النّصّ[2].

الملاحظ أخيرًا في الرواية قلة استخدام الكوني لهذا النّمط من الأفعال، وربّما راجع ذلك إلى المنهجية التي اتّخذها الكوني لعمله السّردي هذا؛ حيث فضّل فيه كثيرًا أن يكون هو الراوي المباشر.

(1) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص158. بتصرّف.

(2) مصطلح "ردّة الفعل" مُأخوذ من الشهري. ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص75.

المطلب الخامس: البوْحيات[1] Expressives

البوْحيات أحد أنماط الأفعال القولية المباشرة، الغرض الإنجازي منه هو: التعبير عن مؤْقف حِيال الحدث الذي يُعبِّر عنه موضوعه[2]، بشرط عقد النيّة والصدق في محتوى الخطاب عن ذاك المؤْقف الخاص[3]، أو التعبير عمَّا نحسّ به من حالات انفعالية خاصة وِجاهَ القضايا المخصوصة المُمثِّلة لمضمون القول[4]، أو لنقل: التّعبير عن الحالة النّفسيّة المحدَّدة في شرط الصراحة[5] Sincerity condition إزاء الحدث الممثَّل في المحتوى القضوي[6]، أي: "التعبير عن المؤْقف النَّفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص"[7]، وعليه؛ فالأحداث الكلامية هنا تُحسَب تعبيرًا عن حالة نفسية معيَّنة[8].

---

(1) المصطلح اختاره الطبطبائي، وصحراوي، ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص32، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص83، وتُعرف البوْحيات أيضًا بـ: "الأفعال التعبيرية"، ينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص27، وينظر: فطومة، لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي"، ص592، و"التعبيريات"، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50، و"التعبيرات"، ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م179/1، و"الإفصاحات"، ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص507، وجميعها لدى الباحث بمستوىً مُصطلحيّ واحد؛ حيث يحدث مع الكل بوْح، وتعبير، وإفصاح.

(2) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص32.

(3) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص158.

(4) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص507.

(5) سبق التعريف به في توطئة هذا الفصل.

(6) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص22-34،24.

(7) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

(8) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م179/1.

أما اتّجاه المطابَقة في إنجاز الأفعال التعبيرية فهو الاتّجاه الفارغ The null or empty direction of fit، حيث يقع القول مع افتراض حصول المطابَقة سلفًا[1]، أيّ أن الإفصاحات صِفرية المطابقة؛ لأن المتحدِّث/ الكاتب لا يحاول جعْل الملفوظ مُطابِقًا للواقع، ولا جعْل الواقع مُطابقًا للملفوظ[2]، خاصّة أن الصدق مع موضوع الإفصاحات لا يمكن امتحانه؛ إذ لا يمكن إظهاره في العالم الخارجي[3].

فيما يتعلّق بشروط المحتوى القضوي لهذه التعبيريات فإنّه لا يوجد شرط عام محدَّد؛ لكن القضايا التي تتضمّنها أكثر التَّعبيرات ترتبط بالمتلقّي والملقي[4]، بمعنى: أن مضمونها القضوي يشكِّل خاصيّة للملقي أو المتلقي[5]، أما الشرط المُعِدّ لمعظم البوحيات فهو تحقُّق المحتوى القضوي مُسبقًا؛ إذ إن الملقي إنما يُعبِّر عن حالة نفسية يشعر بها وِجاه الحدث المفروض تحقّقه[6].

إذن من خلال هذا البوْحيّات نستطيع باللغة أن: نعتذر، ونأسف، ونهنِّئ، ونُعزّي، ونشكر، ونرحِّب، ونشكو من فلان أو من شيء، ونمدح، ونذُمّ[7]، ونُجامل، ونتلطَّف، ونَنْدم،

---

(1) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص29، 32.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

(3) ينظر: ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية، ص507.

(4) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص32.

(5) ينظر: أزاييط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 211/2.

(6) ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص32-33.

(7) يضمّ الطبطبائي أفعال المدح والذم إلى الإخباريات بحُجّة إخبارها عن الحُسن والرداءة، ينظر: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص100؛ إلا أنني أميل إلى تصنيف مزيد، ينظر: مزيد، بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، ص52؛ إذ تبنيّتُ رأيه في الدراسة؛ لأنني أرى أن فيها بوْحا وتعبيرًا ملحوظًا أكثر من الإخبار الذي يمكن أن يكون؛ لكنه يحتاج إلى عمق إدراك لملاحظته واستشفافه.

ونمتنّ[1]، ونُواسي[2]، ونعبِّر عن شعورنا، ونبوح بأسرارنا.

هذه مشاهد حيّة حياتيّة/ **حيوِيّة نستعملها يوميًّا** في حياتنا أربطها بهذه الإفصاحات الكلامية المباشرة:

- دخلتُ القاعة متأخّرًا؛ فقلتُ لأستاذي المحاضِر: أعتذر عن التأخير.
- دخل جاري القفص الذهبي فصافحتُه، وقلتُ له في خيمة العرس: مبارك**!** مبارك**!**
- طلب مني أحد الزملاء خدمة؛ فاعتذرتُ؛ لكنّه لم يقبل عذري، وأخذ يقول لي: أنا ساعدتُك بكذا وكذا، وأنا من قدّم لك كيْت وكيْت.
- جاءني ضيْف في بيتي؛ فقلتُ له: حللتم أهلًا ونزلتم سهلًا**!**
- انتقل مِن رحمة الله إلى رحمة الله قريبٌ لأحد الأصدقاء؛ فزرتُه، وقلتُ له: لله ما أخذ ولله ما أبقى**!**

الأفعال الكلامية المباشرة: "أعتذر": فعلٌ صريح للاعتذار، "مبارك مبارك**!**": فعلٌ مُبَطَّن للتهنئة، "أنا ساعدتُك بكذا وكذا، وأنا من قدّم لك كيْت وكيْت": فعلٌ مبطَّن للامتنان، "حللتم أهلًا ونزلتم سهلًا**!**" فعلٌ مبطَّن للترحيب، "لله ما أخذ ولله ما أبقى**!**" فعل مبطَّن للتعزية.

مباشرة إلى الكوني ورباعيته في هذا المشهد الحيّ، وهو يوظِّف ذاك النّمط من الأفعال:

"- تناول أخواد البندقية، وشرع يقلبها بين يديه مبهوتًا، سرت رعشة في أصابعه وهو يتحسس النقوش الرقيقة، والرسوم المحفورة في الفضة، وفي قطعة الذهب الملصقة إلى الكعب. قال دون أن يرفع رأسه:

(1) ينظر: مزيد، بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، ص52.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

- هذه تحفة! هذه ليست بندقية ياشيخ غوما! هذه تحفة نادرة!

تمتم غوما:

هذه للذكرى بدل بندقيتك التي بلغني أن الصدأ أكلها. المرحوم جبور أخبرني بذلك.

قال أخواد وهو يرفع رأسه عن البندقية لأول مرة.

- ولكن هذه ليست بندقية يا شيخ غوما! إنها تحفة! إنها ثروة! ثم إنني كنت أمزح عندما قلت ذلك للمرحوم عندما جاءني بخطابك الأخير من غدامس! تلك كانت مزحة!

- أعرف اعتبر البندقية دعابة أيضًا مني!

ضحك أخواد بعصبية قائلًا:

- ***ولكن هذه دعابة باهظة الثمن يا شيخنا.***
- ***إنها ذكرى حرب غات! لولا مساعدتك لما استطعنا اقتحام القلعة خاصة بعد مصرع الشيخ جبور. العطش كان أقسى من قذائف المدافع في ذلك اليوم.***
- ***لم أفعل إلّا الواجب.***

ثم عاد يقلب البندقية بين يديه قبل أن يقول:

أعاهدك أن أشترك بها في المعارك القادمة.

ثم ضحك من أعماقه وأضاف:

- إن العدو الذي ستصيبه رصاصة من هذه البندقية سيكون محظوظًا يا شيخ غوما. سوف يكون سعيدًا وسيذهب إلى الجنة!!" (1).

قصّة الحدث هنا التي يسردها لنا الكوني مباشرة أحيانًا، ويستنطق فيها أحيانًا شخصياته أحايينَ أخرى تحكي أن الشيخ غوما قدَّم تذكارًا ماديًّا هو بندقية مذهَّبة الكعب مُفضَّضة الفوّهة

(1) الخسوف: 1/140-141.

وشُكرا معنويًا للشيخ أخواد مقابل مُشاركته له في حربه ضد الفرنسيين في مدينة غات اللّيبية رغم امتلاك الأخير بُندقيّة، وإن كانت قديمة صدئة[1].

ما يهُمّنا هنا هو شاهدنا التداولي، أي: فعل الشّكر المعنوي، الذي يُلبسه الكوني لشخصيته غوما؛ فيجعله قائلًا له، أعني قوله:" *لولا مساعدتك لما استطعنا اقتحام القلعة خاصة بعد مصرع الشيخ جبور*"[2].

تلك العبارة هي حَمْلٌ للفعل الكلامي المباشر"الشّكر" مُبطَّنًا، أي: غير صريح، وفي هذا يقول بلخير: "إن نصا بأكمله قد يحمل دلالة الشكر[...] دون أن يحمل ذلك النص أفعالا صريحة دالة على الشكر[...] بل نجد فيه أفعالا أخرى، يراعي فيها المتكلم حال الخطاب، لتصل إلى المتكلم على الشكل المقصود، ويؤوله المخاطب كما أراده المتكلم. وهذا من شأنه أن يؤثر في المخاطب. هذا كثير في المناسبات العائلية، أو المناسبات الرسمية التي تسعى فيها شخصية ما إلى التأثير في الجمهور، باستعمالها لعدد من الأفعال الكلامية المباشرة التي تأخذ صبغة اللامباشرة، بنفس طريقة استعمال الأديب للأسلوب المجازي [...] ليجعل من كلامه أكثر تأثيرا مما هو عليه إذا صبغ بأسلوب صريح"[3].

"لولا مساعدتك لما استطعنا اقتحام القلعة خاصة بعد مصرع الشيخ جبور". إذن هذا هو اللفظ الذي يصوغه لنا الكوني مُدوَّنًا، ويمكن أن نسمعه متكلَّمًا به، ويستنطق به غوما، وهو تركيبٌ موافق لنظام الأصوات العربية، والخط العربيّ، وموافق كذلك لتراكيب القواعد النّحوية العربية، ويحمل معنى مُعجميًّا عربيًّا معروفًا هو الثّناء وذِكْر إحسان الشخص.

---

(1) ينظر: الخسوف: 89/1.

(2) رصَد بلخير شاهدًا مُشابِها لهذا الشاهد يُمكن العودة إليه، ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص187.

(3) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص187.

إذن يتوجّه غوما إلى أخواد بشعور نبيل يُعبِّر عنه الكوني بواسطة عبارة:" ***لولا مساعدتك لما استطعنا اقتحام القلعة خاصة بعد مصرع الشيخ جبور***، وهو تركيب يصوغه، يجعله يقوم بفعل الشكر(1)، وفيه نجد إحالتيْن لغويتيْن، الأولى: تتمثَّل في العنصر المُحيل/ المورفيم/ الضمير الكاف في "مساعدتك" الذي يُحيل على أخواد إحالة نصية داخلية قبلية، والثانية نجدها في دالّة "استطعنا"، حيث العنصر المُحيل، السابقة الصرفية، الضمير النون الذي يُحيل على المجاهدين الليبيين إحالة خارجية مقامية تُفهم من المقام وسياق النّص؛ لأنها لم تُذكر في النّص.

وهكذا نرى خطوات كيفية إنجاز الكوني في خطابه لفعل الشكر عن طريق تقمّص شخصيّته غوما؛ حيث يشكر غوما أخواد، ويعترف له بحُسْن صنيعه معه؛ لأنه قدَّم له خِدمة هي مساعدته في حرب غات ضد الغزاة الفرنسيس.

تلفَّظ غوما لأخواد بمفهوم معنىً عامٍّ هو الشكر، والإسناد والربط بين المتحاوريْن بذاك الشعور النبيل يحقّق القصد والمعنى الدّلالي والمحتوى القضوي.

عِلمًا بأن إنجاز الشّكر هذا مُدرَج ضِمْن مُخرَجات مؤسَّسة المجتمع، أيّ أن فعل الشكر فعلٌ اجتماعي/ مُجتمعي؛ إذ من خلال وجودِ غوما داخل مجتمع الصحراء والواحات والنجع والبداوة اكتسب خبرةَ كيف يَدِين لأخواد عندما يقدِّم له خدمة؟ وكيف يعترف له بجَميله معه؟

تلك المقدِّمات الاستدلالية التداولية الواردة خلْف السياقات التداولية للكوني ونصّه، تقود المتلقّي الخارجي إلى مُخرجاتِ عمليةِ الحِجاج التَّداولي الهادف؛ حيث نفهم من وراء تعبيرات الكوني تتالي الأغراض التأثيرية وراء الفعل الكلامي الإنجازي المباشِر (فعل الشّكر) كالآتي:

أولها: قبول أخواد الهديّة الباهظة الثّمن(البندقية) بعد تردّدٍ في القبول كاد أن يكون رفضًا في قول أخواد: *"- ولكن هذه ليست بندقية يا شيخ غوما! إنها تحفة! إنها ثروة! ثم إنني كنت أمزح*

---

(1) ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص163.

عندما قلت ذلك للمرحوم عندما جاءني بخطابك الأخير من غدامس! تلك كانت مزحة! "، وقوله:" *–ولكن هذه دعابة باهظة الثمن يا شيخنا "*، وقوله:"*– لم أفعل إلاّ الواجب"*.

كما أنّنا نفهم غرضًا تأثيريًّا ثانيًا هو: إدخال البهجة على أخواد[1]، وقد ساقه لنا الكوني بأسلوب مباشر منه، بقوله: "ثم ضحك من أعماقه".

وغرضًا تأثيريًّا ثالثًا هو: تشجيع أخواد بالاستمرار في خدماته لغوما[2]؛ حيث نتج عنه فِعلٌ وعديٌّ التزاميّ كلاميّ مباشر صدر عن أخواد هو فعل التعهّد؛ حيث قال أخواد: "أعاهدك أن أشترك بها في المعارك القادمة".

وهكذا نرى أنه عبْر الإفصاحات يكون المحتوى الإخباري (نوع المعنى الأوّلي، وزمن إنجازه) هو تقديم الشكر في الزّمن الحاضر بالنسبة للمتكلّم (غوما)[3]، والقاعدة التمهيدية التحضيرية (شروط ما قبل الفعل/ الأداء) هي إدراك المتكلِّم/ غوما/ الشاكر أن أخواد/ المخاطَب/ المقدَّم إليه الشكر قد قدّم له فائدة يُشكر فعلًا عليها[4]، وقاعدة الإخلاص/ الأمانة فيها: أن الطرف الأول "غوما" قد اعترف بجميل الطرف الثاني "أخواد" معه وهو مساعدته له في الحرب؛ فقدّره له حقّ قدره، من خلال التلفّظ بالشكر[5]، والقاعدة الأساسية (كيفية حساب الحدث الكلامي) هي أن الطرف الأول "غوما" عبّر عن امتنانه للطرف الثاني "أخواد"[6].

---

(1) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص74. بتصرّف.

(2) ينظر: عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ص203. بتصرّف

(3) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1.

(4) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26.

(5) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26.

(6) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م177/1، وينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص26.

الملاحظ أخيرًا استقصاءً قلّة توظيف الكوني لهذا النَّمط من الأفعال، إن لم نقل ندرة التوظيف، والعلّة في رأيي هي: تعمدّ الكوني استخدام الأسلوب المباشر أكثر من استنطاق شخصيات

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة

يعرِّف سيرل الأفعال الكلامية غير المباشرة(1)، متَّكِئًا على المحتوى الإسنادي، يقول: "وهناك حالات يتمكن فيها المتكلم من قول جملة ويريد بها معناها الظاهر، ويدل ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير"(2).

كما يعرِّفها بالوصف قائلًا:" هذه الحالات التي ينجز فيها المرء فعلًا كلاميًا واحدًا بصورة غير مباشرة عن طريق إنجاز فعل آخر بصورة مباشرة، تسمى أفعال الكلام غير المباشرة Indirect Speech Acts"(3).

---

(1) تُعرف الأفعال الكلامية غير المباشِرة indirect أيضًا بـ: "الخطاب المنقول" و"الأفعال اللّغوية غير المشتقة"، ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني: 237/2، و"الأحداث الكلامية غير المباشرة"، ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م191/1، و"التّحقيقات غير المباشرة" ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م191/1، و"الأعمال القولية غير المباشرة"، ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص366، و"الأفعال غير الحرْفية" Non–literal، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80، و"الأفعال" "الأوّلية" Primary، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80، و"الأفعال الإنجازية غير المباشرة"، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50، و"الأعمال اللغوية غير المباشرة"، ينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص58، و"الأعمال غير المباشرة"، ينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص70، و"الأفعال اللغوية غير المباشرة"، ينظر: أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري، ص6.

(2) J. L. Searle. Op. Cit, p71 ، نقلًا عن بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص164.

(3) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، ص185.

وهذا ما يتبنّاه "ليش وتوماس"، يقولان: "والأحداث الكلامية غير المباشِرة وَفق كلمات سيرل هي: حالات يَنفذ من خلالها حدثٌ تحقيقي [فعل إنجازي] بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر "(1).

وهو تعريف مماثِل لما تبنّاه "براون" و"يول"؛ إذ يقولان: "فالأعمال القولية غير المباشرة هي تلك "الحالات التي يتم فيه إنجاز عمل دالّ معين بشكل غير مباشر عن طريق إنجاز عمل آخر "(2).

ويضْبطها "فان دايك" على اعتبار التّفسير، يقول: هي"التعبيرات التي تظهر في التفسير الأول على أنها حدث أول، ولكنها تظهر في التفسير الثاني على أنها حدث تالٍ"(3).

ويحدِّدها "نحلة" مُراعيًا فيها عُنصر المرسِل، يقول: "أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالِف فيها قوَّتها الإنجازية مُراد المتكلِّم"(4).

في حين يُعرِّفها "الشهري" مُقيَّدة بأفعال أخرى، يقول: "الأفعال اللغوية غير المباشِرة هي التي يُنجِزها المُلقي باستعمال أفعال لغوية أخرى"(5).

ويَحُدّها "طلحة" بتقييد معناها بالقرائن، يقول: "وهي تلك الأفعال الكلامية التي تُؤدَّى بعبارات لغوية، صُرفتْ عن معناها الأصلي إلى معنى آخر يُفهم بقرائن أخرى سياقية(6)،

---

(1) ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م191/1. بتصرّف في الضبط.
(2) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص366.
(3) دايك، فان، علم النص مدخل متداخل التخصصات، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص138.
(4) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50-51. مع تصرّف في الضّبْط.
(5) الشهري، عبدالهادي بن ظافر بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص388-339. مع تصرّف في الضبط.
(6) القرائن السياقية هي مجموعة من العناصر اللِّسانية المُعتمِدة على السياق المكاني والزماني لعملية التلفّظ الجارية بين المتكلمين، تُحدّد الظروف الخاصة للتلفّظ، وتبيّن الشروط اللّازمة لفعل القول ضمن سياق تواصل

وغير سياقية[1]"[2].

ولعلّ من نافلة القول أن نقول: إننا نتحرّك عند التحليل التداولي لهذه الأفعال في مساحتين هما: مساحة المعنى الثانوي (المعنى الدلالي الظاهري غير المقصود)، ونتركها للدّلاليّين يكشفون أغوارها؛ ولكننا نستهدي بها مرآةً ، نستكشف بها المساحة الثانية، التي هي مساحة المعنى المقامي التداولي الإنجازي المقصود العميق[3]، ونستخدم لها كشفًا عن تداوليّتها الآلة التداولية المعروفة "الحجاج التداولي"؛ إذ يَلزمنا التأثير والإقناع[4].

وفي اعتقاد الباحث أن ذاك هو السبب الذي دعا سيرل أن يطلق على الأفعال الكلامية غير المباشرة مصطلح "الأفعال الكلامية الأوّلية غير الجانبية"[5]. وهنا أتوقّف مسجِّلًا إنكار الشريف أوّليّة هذه الأفعال، وهو يقول: "والعمل غير المباشر هو عمل لا قولي غير ظاهر وليس بأوّلي، من حيث إن القول الدال عليه لا يدل عليه مباشرة وإنما يدل على عمل يخالفه: كأن تسأل شخصا هل عنده نقود، وانت[6] تعني طلب الاعارة[7]"[8]؛ لكن الباحث يُؤوِّل مقصود المترجمين

مُعيّن؛ ومن ثَمَّ فهي لا يتحدّد مرجعها إلّا بوجود المتكلّمين في وضعية التلفّظ والتواصل المتبادل، وهي: الضمائر بما فيها المِلكيّة، وأسماء الإشارة، والظروف، وألفاظ القرابة، وصيغ التعجّب، وصيغ الحُكم (الحياة امتحان،...)، وزمن الأفعال، وأفعال الشك واليقين والوجوب والقدرة والافتراض والعلم (ما أظنّ هذا...)، وصيغ النّداء، وأسماء الزمن (العُمر، ...)، وصيغ الزمن (نهار، زمن، ...)، واسم المكان (المقهى،...)، والأفعال المكانية (أستوطن موتي،...)، والصيغ المكانية المجرّدة (العالم، القرية،...). ينظر: مقال د. جميل حمداوي، من أجل مقاربة قرائنية لديوان"غنج المجاز"لجمال أزراغيد. الشبكة العنكبوتية، 27/ مايو/ 2011. موقع دروب www.doroob.com.

(1) القرائن غير السياقية هي كل القرائن التي لا ترجع إلى السياق في فهمها كالقرائن العُرفية المجتمعية، والقرائن العقلية المنطقية، ينظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب: 1161/2.

(2) طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص105. بتصرّف في الضبط.

(3) ينظر: سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، ص185.

(4) ينظر: دلكي، خالد حسين،2011، البعد البراغماتي لنظرية تحليل الخطاب" التخاطب في القصص القرآني أنموذجا"(رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص203، 205. بتصرّف.

(5) ينظر: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص166، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص172-175.

(6) هكذا وردتْ في النصّ من غير همزة قطع.

(7) من غير همزة قطع في نصّها هكذا.

(8) الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص113.

لمصطلح سيرل بالقول: إنهم يعنون بـ"الأوّلية": المقصودة أوّلًا من مُنجزِها في سياقها؛ وهي من ثَم تحمل قوّتيْن إنجازيّتيْن: أوليّة، مقصودة، وهي طلب الإعارة، وقوّة ثانية، أصلية، غير مقصودة، صارتْ ثانويّة عند المنجِز، وهي السؤال، بدليل أن المخاطَب لو قال لك: نعم عندي نقود؛ لقلتَ له: أنا لم أقصد سؤالك، إنما قصدتُ الإعارة، وبدليل آخر هو أن المخاطب لو فَهِم مقصودك الأوّل هذا، وأراد أن يتهرّب لتحوَّل إلى فعل غير مباشر، يعني الرفض، وهو: أُريد أن أشتري كذا.

كما أنّني أستأنس بعبارة لأوستين، يتبيّن فيها أن الأوّلي يُقابل الصريح؛ فنفهم أن الأوّلي (غير المباشر، الضمْني) يُقابل المباشر الصريح. يقول أوستين:"الّا ان تمييزنا [...] بين العبارات الإنشائية البدائية الاولية وبين العبارات الانشائية الصريحة قد ظل سالما"[1].

وعن تلك الأوّليّة يقول بدوح: "وأضاف سورل أن هذه الإستراتيجيّة الاستدلاليّة[2] تشتغل كلّما كانت هناك أفعال لغويّة غيرُ مباشِرة؛ فعن طريق هذه الإستراتيجية يتمكّن المتلقّي، في البداية، من تبيان الاختلاف الموجود بين الهدف الإنجازي الأَوّلي والهدف الإنجازي الحرْفي ثُمّ ينتقل بعد ذلك إلى تحديد الهدف الأَوّلي"[3].

وهذا تنويه أخير يخّص مصطلح الأوليّة أيضًا، وهو: إن هذا المعنى الأوّلي المقصود المبطّن، وهذا السلوك اللّغوي –إن جاز التعبير– ليس غريبًا في العربية، فهو يُشبه التورية عند البلاغيين، حيث المعنى الظاهري الأصلي الثانوي غير المقصود عند المنجِز، والمعنى المقصود الأوّلي عنده.

---

(1) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص173، والملاحظ أن كلمات: الا، ان، الاولية، الانشائية، وردت من دون همزة قطع في نصّها هكذا.

(2) الإستراتيجية الاستدلالية هي العمليات المنطقيّة التي تمكّننا من استنتاج المعاني المسكوت عنها، انطلاقًا من المحتوى الحرْفي للملفوظ. ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص151.

(3) بدوح، حسن، المحاورة، ص175.

وبعد إيضاحِ أوّليّة الأفعال الكلامية غير المباشرة (الأفعال الكلامية الأوّلية غير الجانبية) بالأمثلة فوقُ، والردِّ على إنكار أوّليّتها أتوقّف عند مصطلح "غير الجانبية"، فأوضّحه، بأن سيرل يعني به: عدم إمكانيّة أن يتفرّع منها فعل كلاميّ آخر، بعكس الأفعال الكلامية المباشرة التي هي أصل الأفعال الكلامية غير المباشرة، أي: تفرّعت منها الأفعال الكلامية غير المباشرة، ودليله قوْلُ سيرل: "هذه الحالات التي يُنجِز فيها المرء فعلًا كلاميًّا واحدًا بصورة غيرِ مباشِرة عن طريق إنجاز فعلٍ آخرَ بصورة مباشِرة، تسمّى أفعالَ الكلام غيرِ المباشرة Indirect Speech Acts"[(1)].

أما عن اعتماد سيرل في تمييزه بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة؛ فقد كان "على تحديد الوقْع التأثيري المقصود لقول معيَّن في مناسَبة استعمال معيَّنة"[(2)].

ومن خلال مدارسة التداوليين لتلك الأفعال المباشرة وغير المباشرة استنتجوا أن **المائز** بينها يكون في نقاط هي:

- المباشِرة تشتمل على قوّة إنجازية واحدة (فعل إنجازي) هي المعنى الحرفي (قصد الملقي= المعنى الحرفي فقط[(3)])، أما غير المباشِرة فتحتوي على قوّتين إنجازيّتيْن (المعنى الحرفي+ المعنى المبطّن المقصود[(4)])[(5)].
- كما أن في المباشِرة ينطق الملقي بجملة يطابق معناها الحقيقي القصدي، أي: يتطابق فيها القول الشفوي أو المدوَّن مع الإنجاز/ السلوك/ القصد/ الإنشاء، أما في الأفعال الكلامية
-

(1) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، ص185. بتصرّف في الضبْط.

(2) براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص366.

(3) ينظر: الزهري، نعيمة، الإنشاء وأساليبه بين ألفية ابن مالك والنحو الوظيفي، ضِمن: التداوليات، ص526.

(4) ينظر: نفسه.

(5) ينظر: صحراوي، مسعود، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي (أطروحة دكتوراه)، ص97، نقلا عن طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ص105.

غير المباشرة فيستنبط المستمع/ القارئ المعنى المقصود من مجموع أوضاع التواصل(1).

- أن القوة الإنجازية للأقوال المباشرة تؤخذ مباشرة من التركيب نفسه؛ ومن ثَمّ فهي تظل ملازمة لها في مختلف السياقات والمقامات والمواقف، ولا يمكن إلغاؤها؛ لأنها ذاتية و تمثّل الدلالة الأولى للفعل.

- في حين نجد أن القوة الإنجازية للأحداث غير المباشرة لا نستنتجها إلا عبر استدلالات تداولية متفاوتة البساطة والتعقيد، كما أنها تُوكل إلى سياقات ومقامات ومواقف معيَّنة لا تظهر إلّا فيها، وفي الوقت عينه يمكن إلغاؤها(2) "كما هو شأن القوة"الالتماس" بالنسبة للجملة [هل تصاحبني إلى المسرح] التي يمكن أن تؤوَّل على أساس أنها دالة على السؤال إذا وردت مقصودًا بها مجرد الاستفسار عن إمكان مصاحبة المخاطب المتكلمَ إلى المسرح"(3)، أو عند عدم تحقيقها؛ إذ يبقى الفعل مقصورًا على فعله الإنجازي/ قوَّته الإنجازية الأصلية "الاستفهام مثلًا" عند عدم تحقيق إنجاز الطلب الالتماسي على الأرض من المتلقي.

وأوضِّح أكثر لكل ما استُنتِج أعلاه بجملة "أعدك بالمذاكرة"، حيث تمثّل فعلًا كلاميًّا مباشِرًا، ولها قوّة حرْفيّة، إنجازية واحدة، هي إنجاز الوعد، وهذا هو القصد فيها أيضًا، وهو مأخوذ من التركيب مباشَرة، وملازمٌ له في أيّ سياق، ولا يُلغى، أما إن تحوّل إلى فعل غير مباشِر في حالة قصد المزح مثلًا فإن قَصْد الوعد يصير ذا معنى ثانويّ ولا يُلغى.

---

(1) ينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص27–28.

(2) ينظر: المتوكل، أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص22–25، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص83. بتصرّف.

(3) المتوكل، أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص23.

أيضًا أُوضح بجملة"تعطّلتْ السيارة"، بقصد طلب إصلاحها، حيث تمثّل فعلًا كلاميًّا غير مباشِر، له قوّتان: قوّة حرفيّة غير مقصودة ثانوية عند المنجِز هي الإخبار، وقوّة مقصودة مبطَّنة هي الطلب، تُستدلّ من المقام ، والموْقف، والسياق اللّغوي، خاصّة الصوتي، أعني النبر والتنغيم.

وبناءً على اسقراء الباحث لماهية الأفعال الكلامية غير المباشرة يرى الباحث علميًّا ومنهجيًّا وفنيًّا ضرورة تقسيم هذه الأفعال؛ وحيث إن سيرل لم يقم بهذا التقسيم، والحال أنني اعتمدتُ تصنيفه للأفعال الكلامية تصنيفًا رئيسًا؛ وحيث إن سيرل لم يقم بهذا فقد استفدتُ من تقسيم صادوك لها؛ أعني: تقسيمه للأفعال غير المباشرة (أسئلة خبرية وأسئلة أمرية)[1].

وحيث إن الأفعال القولية غير المباشرة قد لا تكون في صورة أسئلة؛ بلهَ أنها لا تكون في صورة أمر فقط، حيث إنها يمكن أن تكون نداء(يا ألله!)، أو تمنّيًا(هل من صديق؟!)[2]، أو....؛ فقد عدّل الباحث تقسيم صادوك إلى:

- أفعال كلامية غير مباشرة في صورة الأسلوب الخبريّ، ومختصَرًا: "صورة الأسلوب الخبريّ".
- أفعال كلامية غير مباشِرة في صورة الأسلوب الإنشائي، ومختصَرًا: "صورة الأسلوب الإنشائي".

أيضًا استفدتُ من فان دايك وهو يقول: "وسلسلة الأحداث يطلق عليها لفظ متوالية إذا ترابطت فيها الأحداث ترابطا عليا. والعلاقة العلية (أو الإجرائية) يمكن أن توجد لها صور مختلفة.

---

(1) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م191/1.

(2) ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 223/2، 231.

وأيضا فكل حدث يتسبب في الحدث التالي له أو كل تال (مرتبط ارتباطا عليا) يتسبب في الحدث التالي(أو أيضا متوالية من الأحداث)"[1].

وعبارته: "وتقوم الأفعال المركبة على وجود أفعال بسيطة. ويتعرف كل فعل بسيط بكونه فعلا إنجازيًا حال حصوله على أثر واحد مراد"[2].

ونصّه: "والفارق بين الفعل المركب وسلسلة الأفعال هو أن الفعل المركب تكون له نتيجة مخططة قصدا ومحددة بوضوح [...] وقد يوجد غرض معين في سلسلة الأفعال البسيطة أو المركبة"[3].

بعد هذه الاستفادة لاحظتُ من خلال استقرائي للأفعال الكلامية غير المباشرة التي استخدمها الكوني في روايته أفعالا كلامية غير مباشرة متلاحقة بشكل ترتيبيّ، تحمل الطابع الإنشائي والخبري، أو الإنشائي والإنشائي؛ فأسميتها: "الأفعال الكلامية غير المباشرة المزدوجة".

كما استفاد الباحث من إشارة لنحلة تُفيد بلفتة لسيرل إلى نوع آخر مُعتمِد على الاستلزام الحواري[4]، وقد عنونه الباحث بـ: "أفعال كلامية غير مباشرة في صورة جواب غير مباشر".

وعليه؛ فإن النوْعين:

- **صورة الأسلوب الخبريّ.**
- **صورة الأسلوب الإنشائيّ**، النوْعين تيْنِك المستنتَجيْن من "صادوك" سيمثِّلان المطلبيْن الأول والثاني لهذا المبحث.

يليهما المفهوم من عبارات فان دايك: **الصورة المزدوجة** مطلبًا ثالثًا.

---

(1) دايك، فان، النص والسياق، ص231.

(2) نفسه، ص239.

(3) نفسه، ص240.

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص83-84.

وما لفت إليه "نحلة": **صورة الجواب غير المباشر**. مطلبًا رابعًا.

أبدأ تحليلي التداولي بالمطلب الأول. والله المستعانّ!

المطلب الأول: صورة الأسلوب الخبري:

يمكن أن أوضح مفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة في صورة الأسلوب الخبري بالقول: إنها أفعال كلامية غير مباشرة، نُنجزها في صورة خبر، يحتمل الصدق أو الكذب؛ لكنه يحمل في طيّاته مقصدًا طلبيًّا، أو دلالة تهكميّة، ينتزعها المتلقّي من خلال السياق بما فيه الموقف الدائر في إطار مقام المقول.

من استعمالات هذا الصنف من الأفعال القولية غير المباشرة **في حياتنا اليومية** الصورة الآتية التي عشتُها بنفسي: في أحد الأيام خرجتُ بسيارتي لزيارة قريبتي، وعند وصولي منطقة سكنها وأنا في سيارتي طبعًا؛ إذ بأحد جيرانها يخرج من بيته، وهو يقول لي: عجلة السيارة! عجلة السيارة! عجلة السيارة تدور! عندها انتبهتُ، وقلتُ: ماذا يقصد هذا الرجل؟ وطبعًا من خلال الموْقف، والسياق اللّغوي، وقسمات وجهه، وضحكه، فهمتُ أنه يريد أن يؤدّي فعلًا كلاميًّا غير مباشر هو التَّهكُّم والسُّخرية، خاصّة أن علاقتي به كانت مهزوزة، ويكبرني بالسنِّ كثيرًا؛ ما لا يسمح بفعل الدّعابة معي والتأثير عليّ بإدخال البهجة عليّ؛ فما كانتْ ردّة فعلي إلّا أن جاملتُه وضحكتُ له.

وإذا ما عرّجنا على الرباعية نجد أن الكوني ينثر هذا النوع من الأفعال الكلامية غير المباشرة في رباعيته عبْر شخصياته بشكل واضح.

في الأسطر تحتُ نتابع الأنظار التداولية لهذا النوع من الأفعال القولية غير المباشرة من خلال مشاهد حيّة من الرواية.

"كانت علاقته [كونسا] بالشحاد المقعد، الأعمى، حميمة.

منذ يومين جاءه القاضي وأخذه من يده كي يبتعد به عن المتسول وقال له:

- ***بلغني أنك تنوي الدخول في التصوف. إعلم(1) أن اعتناق الإسلام لا يعني ترك الدنيا والهروب إلى التصوّف. الإمام عليّ يقول: "إعمل(2) لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا". فهل فهمتني؟***

أجاب كونسا بأنه لا ينوي التصوف ولايريد غير الطمأنينة"؟ هنا هتف الزيرجداني:

- ***أرأيت؟ ها أنت تتحدث بلغة الدراويش. الطمأنينة لا توجد إلا في قاموسهم. النبي يحث على أن تعمل للدنيا..***

ولكن كونسا كان قد انسلَّ ودخل الأزقة المظلمة وترك القاضي واقفًا. ضرب الزيرجداني كفًّا بكف وصاح:" لا حول الله(3). حقا ان(4) جيرانه من الدنيا السفلية استطاعوا أن يؤثروا في عقله!". التفت يمينًا ويسارًا وقال بصوت مسموع:" يشيعون مسؤوليتي عما حدث للرجل. لست مسؤولًا إذا تدروش الممسوسون!"" (5).

يسوق لنا الكوني في نصّه مِن علُ كيفيّةَ فهمِ كونسا مقالة القاضي عن الإسلام والتصوّف؛ أعني شاهدنا التداوليّ: "-بلغني أنك تنوي الدخول في التصوف. اعلم أن اعتناق الإسلام لا يعني

---

(1) الصحيح: "اعلم "بهمزة وصل ؛ لأنه أمر من الثلاثي.

(2) الصواب: "اعمل" أمرٌ من الثلاثي من دون همزة.

(3) يقول فقهاء الشريعة لا يجوز التفوّه بهذا التعبير؛ لأن معناه -حاش لله- إنكار الحوْل لله، جلّ في علاه! والصواب أن نقول: لا حول إلّا بالله. والله أعلم. ينظر: مقال بعنوان: محمد بن صالح العيثمين، موقع ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki.

(4) "ان" كُتبتْ من دون همزة قطع، والصواب "إن" بهمزة قطع مكسورة.

(5) الخسوف: 3/116-117.

ترك الدنيا والهروب إلى التصوّف. الإمام عليّ يقول: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا"".

حيث يوضِّح لنا أن كونسا لم يفهم من عبارة القاضي الإخبار، أو تأكيد معلومة، أو إقرارًا على الاعتراف بشيء، أو سؤالًا عن شيء إنما فَهِم كونسا من قول القاضي أنه أنجز معه فعلًا كلاميًّا غير مباشر في أسلوب خبري هو طلبُ عدمِ التّصوّف، أو بصورة أدقّ: نُصْحه بعدم الدّخول في التّصوّف.

وبإمكان المتلقّي أن يَفهم أن القوّة الإنجازية المُستلزَمة في الفعل الإنجازيّ (الطّلب) هنا هي النُّصح، لا الأمر ولا النهي؛ حيث لا توجد للقاضي سُلطة على كونسا فيما يخصّ سلوك التّصوّف على الأقلّ، وأن يَفهم أنها أيضًا ليستْ التماسًا؛ إذ ظروف إنجاز القاضي لفعله خالية من مظاهر الواسمة الطّلبيّة، مثل: "من فضلك"، أو "لوسمحتْ"(1)، أو ما يُسمّيه الباحث "دالّة التأدّب"، مثل: هلّا، ألا، بل ما يُلحظ في أداء القاضي استخدامه دوالّ عُنف، أعني: استخدامه لدالّتيْ: "بلغني" و"اعلم".

كما يمكننا نحن المتلقّين استنتاج هذا الطّلب من خلال الموقف الذي سرده لنا الكوني، وهو إبعاد القاضي لكونسا عن المتسوِّل الذي ارتبط معه كثيرًا؛ حتّى أقام معه علاقة مُلازَمة؛ حيث إن هذه العلاقة سلوك معروفٌ من أبجديات سلوك المتصوّفين الذين يتركون أمور دنياهم ويقضون جلّ وقتهم في الروحانيّات ومجالَسة الضعفاء كما فهمنا من الكوني من خلال السياق الدّاخلي للحدث وموقفه ومقامه، كما أنّنا نستنتج هذا الطّلب من خلال الاستلزام الحواري بين الشخصيتيْن، وحديث المناسَبة بين الإسلام والتصوّف، الذي أسنده الكوني لشخصيته "القاضي الزبرجداني".

(1) سبقتْ الإشارة إليها في توطئة هذا الفصل.

أما دليل فَهْمِ كونسا لهذا المطلب من الزبرجداني فهو ما أخبرنا به الكوني بعد ذلك من أن كونسا ردّ عليه بإنكاره زعْم تصوّفه.

والواضح أن الفعل الكلامي الطّلبي غير المباشر لم يتحقّق؛ إذ ساق لنا الكوني في نهاية المقابلَة موقف كونسا العملي من طلب القاضي، وهو أن كونسا انسلّ إلى الأزقّة وترك القاضي واقفًا، وأثبت الكوني ذلك أيضًا بتحدّث الزبرجداني عن جيران كونسا من الجنّ، ثمّ بتبرّئ القاضي أيضًا من كونسا، وعن تحقّق الفعل الكلامي من عدمه، يقول بلخير: "فإذا توقف المخاطب عن فعل ما نهي عنه فإن الفعل الكلامي يكون قد تحقق من جراء ذلك"(1).

وألفتُ الانتباه هنا إلى أنه من خلال توظيف الكوني للإستراتيجية التّلميحية (وذلك بالتلميح بأنك تريد من المتلقّي إنجازه(2)) لطَلَبه ظهرتْ فِطنته إلى عدم مناسَبة إنجاز فعله الطّلبي بشكل مباشر؛ حيث عدلَ القاضي عن محاولة إرغام كونسا أو إحراجه؛ وذلك بأن منحه فرصة رفْضِ ما بلغه عنه من تصوّف، وفرصة المناورة باللغة، وفي كلّ ذلك باختصار: حفظ لماء الوجه، أعني: التأدّب(3)؛ وعليه، أولًا: فقد استعمل الكوني لإنجاز فِعله وسائلَ غير مباشِرة كالأسلوب الخبري، والاستفهام؛ حتّى صار فعله الكلامي غير المباشر ضِمن ما يُعرف عند التداوليين بـ: التوجيه المركَّب(4)، وعليه، ثانيًا: فهمنا أن التّأدّب في إنجاز هذا الفعل التّوجيهي هو الدّافع الأساسي

---

(1) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص178-179.

(2) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص394.

(3) ينظر: نفسه، ص373.

(4) التوجيه المركَّب هو استعمال أكثر من أسلوب في سياق واحد، من أجل أداء فِعل التّوجيه؛ وذلك حتى يعضد أحدهما الآخر ويفسّره ويحدّده، وهو خاصّ بأفعال التوجيه، ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص363-365.

لتوظيف إستراتيجية، هي الإستراتيجية غير المباشِرة[1] أعني: توظيف"خطة تحتاج من المرسِل إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى المَقصد"[2].

المطلب الثاني: صورة الأسلوب الإنشائيّ:

علّ من نافلة القول أن أستهلّ بتوضيح مفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة في صورة الأسلوب الإنشائي؛ فأقول: إنها أعمال قولية غير مباشرة تُنجزها في صورة إنشاء، أي أن الأسلوب هنا: لا يحتمل الصدق أو الكذب؛ إذ يكون استفهامًا أو تعّجبًا ؛ لكنه يحمل معه مقصدًا طلبيًّا، أو دلالة تهكميّة، يكتشفها المتلقّي من خلال السياق اللّغوي والمقام، بما فيه الموقف الدائر فيه مقام المقول.

من استعمالات هذا الصنف من الأفعال القولية غير المباشرة **في حياتنا اليومية** الصّورة الآتية: عندما نكون في الشارع أو في المصرف أو في أي مكان عام أو في البيت، ونقول باللّهجة العاميّة غير الفصيحة، نقول لمن هو أمامنا ونعرف أن معه قلمًا: "ممكنْ القلم؟" بنبرة الاستفهام، وأحيانا بمصاحبة الإشارة بأحد أصابعنا إلى القلم نفسه. وقد نستخدم معه واسمة الطّلب/اللّاحقة الإنجازية[3]، أعني: من فضلك، أو لو سمحت!

السؤال التداولي هنا هو كيف عرف المخاطَب أننا نؤدّي معه فعلًا كلاميًّا هو الطّلب قوّته الإنجازية هي الالتماس، مع أننا لم نصرّح بالطّلب أصلًا؟ وكيف وثِقنا بفهمه لنا مِن دون التصريح بما نريد، مع أننا ظاهر الأمر نستفهم؟ هذا ما نريد تفسيره تداوليًّا في هذا المطلب.

---

(1) ينظر: Searl, John R: Expression and meaning. Cambridge University Press,1999 pp31-32 نقلًا عن الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص392.

(2) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص369.

(3) سبقتْ الإشارة إليها في توطئة هذا الفصل.

لا نُجانِب الصواب إذا ما قلنا: إن إبراهيم الكوني ينثر هذا النوع من الأفعال الكلامية غير المباشرة في رباعيته عبْر شخصيّاته بشكل واضح.

في الأسطر تحتُ نتابع الأنظار التداولية لهذا النوع من الأفعال من خلال مشهد يَعرض فيه الكوني حوارًا بين شخصيتيْن من شخصياته الرئيسة هما الجاروف والإمام الساطور، ويتدّخل فيه الكوني محاولًا بهذا التدخّل الاستعاضة به عما فقده نصّه المسجَّل من مصاحَبات صوتية مؤثِّرة في المعنى. اقرأ المشهد لُطفًا:

"***عاد الجاروف يلقي بالسؤال:***

- ***أقصد كم معك من الحمير لحمل الأثقال؟ هل تستطيع أن تعيرني حمارًا أو إثنين[1]؟***
- ***تمتم الساطور بتردد:***
- ***لا أظن. أمتعتي كثيرة والوليّة كل ساعة تأتيني بصرة جديدة من المخزن وتؤكد على أهميتها. أكوام الأمتعة ترتفع في ساحة البيت كتلال الرمل"[2].***

من المشهد الذي قرأناه توًّا نلحظ أن عبارة الشاهد التداولي:"*هل تستطيع أن تعيرني حمارًا أو اثنين*؟"تحمل ملفوظًا ثنائيَّ الدلالة: دلالة ظاهرية مباشِرة، ويشكِّلها محتواها القضوي، أي: السؤال عن استطاعة، وقوَّتها الإنجازية الحرْفية، وهي قوّة السؤال بموجب الأسلوب المؤشَّر له

---

(1) من الألفاظ المعروفة في لغة العرب على أنها مسموعة بهمزة وصل لفظ "اثنين"، وقد وردتْ في الطبعة بهمزة قطع فنقلتهُا كما هي.

(2) الخسوف: 135/3.

بالدّالة اللسانية"هل"، وشبه اللسانية"التنغيم"[1]، ودلالة ضِمنيَّة عميقة غير مباشرة هي: الطّلب بقوَّة إنجازية مستلزَمة هي: التماس الجاروف من الساطور أن يعيره حمارًا أو اثنيْن[2]. أجلَّكم الله!

أيضًا من المشهد الذي قرأناه توًّا نلحظ إجرائيًّا/ استدلاليًّا أن عبارة الشاهد التداولي: "*هل تستطيع أن تعيرني* حمارًا *أو اثنين*"تتعلَّق بقُدرة المتلقّي "الساطور" على إنجاز ما طلبه "الجاروف" منه[3]، أما شكلًا لغويًّا فهي مُفتتَحة باشتقاق فعل دالّ على قدرة واستطاعة[4].

ومن كلّ ما سبق نستطيع القول: إن التواصل التداولي الذي أنجزه الكوني مع المتلقّي، والذي ساقه لنا الكوني بين الجاروف والساطور، ومن خلاله تَمّ الانتقال من الفعل الإنجازي المباشر الأصلي إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الموظّف، هذا التواصل قد تحقَّق من خلال الاستعانة بأساسيْن هما:

- المعرفة المشترَكة التي يشترك فيها الكوني مع المتلقّين سواء كانت هذه المعرفة لسانية كتركيب الملفوظ ومعناه المعجمي ودلالته على السؤال أولًا ثم على الطلب ثانيًا، أي: المستويات اللّسانية[5]، وغير اللسانية كالموقف والمقام والمقاصد والإفادة[6]، أي: كلّ ما ينضوي تحت السياق الخارجي.
- قدرات المتلقي "الساطور" العقلية والاستدلالية العامة، واعتماد مبدأ التعاون الحواري[7].

(1) سبقتْ الإشارة إلى مصطلحي: "شبه اللسانية" و"التنغيم" في الفصل الثاني عند الحديث عن الكفاءات التأويلية والاقتضاء التداولي.

(2) في هذا التحليل، ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص391، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص173.

(3) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص393-394، وينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص70، وينظر: بنعيسى، أزاييط، الخطاب اللساني العربي: 245/2.

(4) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص393-394.

(5) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص41.

(6) ينظر: نفسه، ص52.

(7) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص173-174.

بمعنى أوضِّح: استخدم الكوني لإنجاز الساطور (الطلب/ النّصح) فعليْن كلاميّيْن، هما:

أحدهما: دلالي مباشر وهو الاستفهام، حيث تدل عليه صيغة المنطوق نفسها.

والآخر: تداولي غير مباشِر وهو الطَّلب، حيث يحتاج كل متلقٍّ إلى وضع الملفوظ في مقامه؛ حتى يفهمه من جميع حيْثياته(1).

وقد تَمَّ إنجاز الفعليْن بوساطة علاقة تعاون غرايسية غير مقصودة بين الطّرفين أقصد الكوني والمتلقّي؛ حيث وَثِق الكوني من أن المتلقّي سيتمكّن من تأويل المنطوق تأويلًا مناسبًا للنّظم والمقام، ويوجِد العلاقة الرابطة بين الاستفهام والطلب؛ وذلك اعتمادًا على معرفة المتلقّي بالعالم خاصة معرفته الثقافية؛ حتّى يصل المتلقّي عن طريق هذا الاستدلال التداولي إلى مقصد شخصيّة الكوني، وهي الطَّلب/ النّصح(2).

وهكذا رأينا توظيف الكوني للفعل الكلامي الطلبي غير المباشر عن طريق شخصيّته الروائية "الجاروف"؛ فبدلًا من أن يقدِّم طلبه بشكل مباشر وفظّ رأيناه قد استفهم عن حالة الحدث الذي جعل طلبه ممكنًا(3).

يمكننا أن نستنتج أيضًا أن الكوني عن طريق شخصيته "الجاروف" قد أنجز طلبًا من خلال طرح تساؤل حول شرط أمانة (تنفيذ هذا العمل بدقّة وأمانة) يعتمد على المتلقّي. في حين لو قال: "**أرغب في أن تعيرني**" فإنّه حقّق طلبًا يدخل من خلال تأكيد شرط أمانة يعتمد على الراوي(4).

---

(1) في كلّ ما سبق عن الأساسيْن، ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص174.

(2) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص368-369.

(3) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص72.

(4) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م192/1.

ونستنتج أيضًا أن البنية العميقة Deep Structure (على حدّ تعبير تشومسكي) في شاهدنا توًّا هي فعل إنجازي، هو: أطلب منك أن تعيرني[1]، على اعتبار أن عبارة الشاهد التداولي: "*هل تستطيع أن تعيرني حمارًا أو اثنين*؟" عبارة استفهامية في معناها الدّلالي؛ لكنها توجيهية في قوَّتها الإنجازية المُستلزَمة التداولية[2]؛ ولذلك فإن الّلامباشَرة في هذا الفعل ومثيلِه هي مسألة تدريجيّة تنطلق من المعرفة المشترَكة بين الطرفيْن الكوني والمتلقّي، وتعتمد على مقدار عمليات الاستدلال التداولي المبرْمَجة على تلفّظ سياق بعينه، وعلى مبدأ التأدّب، ومبادئ غرايس[3]، التي يجب اعتمادها لاشتقاق التحقيق/الإنجاز/غير المباشر من المعنى الدلالي[4].

وعليه، لو فسّرنا تداوليًّا[5] لماذا لجأ الكوني إلى عدم المباشَرة في حديثه معنا بخصوص طلب شخصيّته "الجاروف"؟ لوجدنا أن السبب هو إرادته في أن يُريَنا أن هذا الاستخدام موجود ضِمن العادات والطّبائع الاجتماعية المُتعارَف عليها في المُجتمع الصحراوي، ومن خلال توظيفه

(1) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م192/1، وينظر: روبول، آن، وموشلار جاك، التداولية اليوم، ص35، وينظر: بنعيسى، أزاييط، الخطاب اللساني العربي: 245/2.

(2) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م193/1.

(3) سبق الحديث عنها في الفصل الثاني عند الكفاءة التداولية والاستلزام الحواري.

(4) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م192/1-193، وينظر: مبحث الاستدلال التداولي في الفصل الثاني.

(5) بناء على استقرائي أعرّف التفسير التداولي بأنّه: "تشريحُ آليّةِ كل ما يقوم في إطار التداولية"، أو هو "شرح كيفية توظيف مفاهيم التداولية"، ينظر: ساسي، عمار، منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص224، وينظر: اجعيط، نور الدين، تداوليات الخطاب السياسي، ص80-82.

يحصُل صاحبُه على ميزة تخاطبية اجتماعية، هي كسْب احترام الآخرين؛ إذ يُعدّ هذا الطالب مؤدّبًا في طلبه مع الآخرين[1].

المطلب الثالث: الصورة المزدوجة

الأفعال الكلامية غير المباشرة المزدوجة هي أفعال كلامية غير مباشرة متلاحِقة، تُصاغ بشكل تراتبيّ، تحمل الطابع الانشائيّ والخبريّ، أو الإنشائيّ والإنشائيّ.

ومن أمثلة **استعمالها في حياتنا اليومية**، ولستُ من أنصار العامية؛ ولكنّني أربط بالواقع ليس غيرُ، من أمثلتها: قولنا: عندما نستخدم زاجِرينَ قوّة إنجازية أولى هي الاستفهام في سياق معيّن يحمل موْقف إنكارنا لما يقوم به أحدهم، قولنا في اللهجة الليبية: "إنت بعكَلك[2]؟**!** هذي تصرّفات اعويلة" = "هل أنت بعقلك؟ هذه تصرفات أطفال". أو عندما نقول:"دير هذا. شن بيقول الخلق عليك؟**!** "= "اعمل هذا. ماذا سيقول الناس عنك؟**!** ونحن هنا في مثاليْنا طبعًا ليس مقصدنا الرئيس أن نَستفِهم أو أن نُخبِر، إنما نؤدّي فعلًا إنجازيًّا غير مباشر/ قوّة إنجازية ثانية مقصودة هي: طلب التوقّف عن شيء.

هذا مشهد يسوقه الكوني يستخدم فيه أفعالًا كلاميّة غير مباشرة متلاحقة، على لسان شخصيّته المحورية "غوما" ، وهو يطلب من ابنه الوحيد "أسوف" التوقّف عن استجدائه، وذلك عند محاولة انتزاع الابن قالون الماء من والده؛ لأن في ذلك ضعفًا لا يليق بالرجال كما يستنطق الكوني شخصيته غوما بذلك. هذا الحوار تَمّ في إحدى معاركهم مع الطليان، وهنا نُجريه تداوليًّا. اسمع النص فضلًا:

---

(1) ينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضمن الموسوعة اللغوية، م193/1-194.

(2) "**إنت بعكَلك؟!**" يشير الأصواتيون إلى أن رمز القاف اليمنية أو الليبية هو حرف الكاف وعليه شرْطة، ينظر: مقال بعنوان:غين أم قاف أم جيم أم كاف. 2008/5، موقع ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki

- *"فقد الولد صوابه وقال بلهجة اعتبرها غوما في تلك اللحظة تطاولًا ووقاحة:*

- *رأيتك في الصباح تدس غالون الماء تحت كمّك!*

التفت نحوه فأضاف الشاب بإلحاح وعيناه كساهما البياض:

- *أعطني جرعة واحدة! جرعة واحدة فقط!*

داس غوما على قلبه حتى انبثق منه الدم وقال محاولًا ألا يفقد عقله:

- ***لا يليق بالأبناء أن يخاطبوا الآباء بهذه اللغة. هل جننت؟***

- *أريد قطرة! قطرة بدل الجرعة!*

حاول أن يبلع ريقه ففشل. أضاف بصعوبة وهو يستجمع كل قواه:

- *كي أبلل ريقي!*

- *هذا جنون. أين الرجولة؟ هل فقدت الرجولة ؟ هذه لغة النساء!*(1).

في النّص أعلاه يورد الكوني أفعالًا كلامية غير مباشرة مزدوجة، متلاحِقة، يصوغها بشكل تراتبيّ، تحمل الطابعيْن الانشائيّ والخبريّ؛ وعليه فهو شاهدُنا التداوليّ الخاصّ، ألا وهو قول الكوني وهو متقمّص لشخصيّته غوما، وهو يقول لابنه:

"لا يليق بالأبناء أن يخاطبوا الآباء بهذه اللغة. هل جننت؟

شاهد تداوليّ مزدوج؛ أعني ورود الاستفهام والإخبار مُتلاحقيْن؛ إذ إن غوما لا يخبر ولا يعطي رأيه لابنه ولا يستفهم فقط، بل إنه يحمل في ملفوظه هذا قصدًا رئيسًا هو إنجاز فعل كلامي غير مباشر هو طلب غوما من ابنه التوقّف عن الإلحاح في طلب الماء.

---

(1) الخسوف: 88/3.

ومن هنا فقد أدّى الكوني عن طريق شخصيّته المحورية "الشيخ غوما" فعلًا إنجازيًّا غير مباشر، في شكليْن مُختلفيْن مُجتمعيْن؛ ما يعطيهما قوة إنجازية مُستلزَمة واحدة هي الزّجر في الإنجاز(الطلب) كالآتي:

تكون القوّة الإنجازية الأولى (المعنى الحرْفي) لهذا الفعل المزدوج في آن واحد هي: الإخبار والاستفهام الطّلبي التصديقي الحقيقي، مصدَّرًا بالدليل الإنجازي illocutionary indicator (هل)، ومع هذا النّوْع من الاستفهام يكون للمسؤول حريّة الاختيار في أن يجيب بـ: "نعم" أو"لا"؛ بناء على فكرته المُسبَقة عن المُسْتفهَم عنه(1).

لكن هذي القوّة الإنجازية الأصلية الأولى هي غير مُراد غوما الأساس؛ لأن المُراد الأساسيّ وَفقًا لمُجريات الحديث ومقامه هي طلبٌ فيه زجر، أي أن: الكوني أنجز بوساطة هاته القوّة معنى فِعْل إنجازيٍّ مباشِر، تمثّل هذا المعنى في قول الكوني على لسان شخصيّته غوما وهو يقول لابنه: توقّف عن مثل هذه الرعونة(2)، أي: الطّلب، وهذا هو المعنى الثاني"القوّة الإنجازية الثانية المقصودة المُستلزمة"، أو ما يسمّيه سيرل معنى المتكلِّم(3) Speaker meaning.

وهكذا نلحظ أن الفعل الإنجازي غير المباشِر(الطلب) لم يقدِّم أيّ إضافة لمعنى القوّة الإنجازية الأولى (الخبر والاستفهام)(4)، بل أتْحفنا بمعنًى جديد مُغايِر للقوّة الإنجازية الأولى.

---

(1) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51، 81، وينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص114.

(2) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51.

(3) سبقتْ الإشارة إلى المصطلح السيرلي "معنى المتكلِّم" في توطئة الفصل الثاني.

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51.

هذا المعنى الجديد المُغايِر –مع أننا لا ننكر أنّه انسلخ من القوّة الإنجازية الأولى[1]– تمثَّل في بِنية تركيبية ذهنية، أي: "بنية عميقة"[2] Deep Structure وَفْقًا للتوليديين التحويليين، مُخزَّنة في ذاكرة المعطي، أي: في "اللغة" وَفقًا للبنيويين.

أما دليل هذا المعنى الجديد المُغايِر فهو أن أسوف لو لوّح برأسه علامة للرّفض أو القبول[3] أو أجاب بـ "نعم" أو "لا"، وَفْقا لفهْمه للقوّة الإنجازيّة الأولى لأنجز فعلًا لغويًّا فاشلًا؛ ومن ثم دخل في مفهوم الخطأ التداولي[4]؛ لأنه لم يحقِّق الفائدة المرجوّة من الفعل المقول، وهي الإنجاز، أي: التوقّف[5].

(1) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص84، وينظر: تعريف سيرل لها في توطئة هذا الفصل.

(2) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البراغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص109، وإنْ خالفتُ سيرل، والعُهدة على "أرمينكو" في معرض حديثها عن الأفعال اللغوية غير المباشِرة، وهي تقول: "من ثَمّ، يُلِحّ سيرل على تأكيد أنه لا حُجَّة إلى "مسلَّمة محادثية" [القواعد الخطابية]، كما يقول بذلك كوردون [...]، أو إلى"بنيات عميقة"، كما عند روس". أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص72. مع تصرّف في الضبْط، وقد سبق الحديث عن المسلّمات المحادثية/ التحاورية في الفصل الثاني عند الحديث عن الكفاءة التداولية.

(3) المعروف أنه يمكننا إدراج الأفعال شبه اللّسانية كالإيماءات وقسمات الوجه والإشارة(لغة الجسم= Body Language) في تحليل الأفعال الكلامية عند ورودها أثناء النطق؛ لأنها ذات دلالة قوية. ينظر: الواعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص146، وينظر: عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص63، وقد اختلف التداوليون في اعتبار الحركات الجسمية فعلًا كلاميًّا بين معارض ومؤيّد بشرط القصد، ينظر: دايك، فان، النص والسياق، ص235، وينظر: جمال، وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية، ص46، والباحث يرى أنها غير أفعال كلامية؛ إذ إنها وإن أدّتْ فعلًا إنجازيّا وفعلًا تأثيريًّا إلّا أنها لم تؤدِّ الفعل اللّفظي الأساس الأول في الأفعال الكلامية، وقد يحتجّ أحدٌ بلغة الإشارة التي ينجِز من خلالها الصم والبكم أفعالهم؛ فيُردّ عليه بأنه يكفي أن نقول: إن اللّسانيين قد عدّوا لغة الإشارة أصواتًا غير لغوية (لا لغة) مماثِلة بذلك لأصوات الببغاء، وأصوات الجمادات، والموسيقى؛ لأن جميعها صفرية المفردات، ينظر: الواعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، ص146، 162، كما أن لغة الإشارة تحتاج إلى تعلّم واكتساب حتى من أبناء اللّغة الواحدة؛ ومن ثَمّ فهي ليست لغة طبيعية.

(4) ينظر: أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، ص567.

(5) ينظر: الحباشة، صابر، من قضايا الفكر اللساني، ص22.

ومن ثَمّ فالسؤال المحيِّر الآن حقًّا هو ما الذي يمنعنا من ذاك التأويل الخاطئ؟ أعني: اعتبار أن القوّة الإنجازية الأولي (الإخبار و الاستفهام) هي المقصودة؟

المانع هو ببساطة المستوى التداولي[1]؛ حيث يدرس هذا المستوى الفعل الكلامي الذي أنشأه الكوني/ غوما باستنتاج أن الكوني إن ينشئ طلبًا في صورة الأمر بشكل زاجر؛ لأنّنا نحن المتلقّين لو أوَّلنا قوله على أنه إخبار أو استفهام حقيقي يطلب الإجابة بـ: "نعم" أو "لا" لوَقعنا في معنًى لا يلائم مقصده في سياقه وموقفه[2] كما اتّفقْنا فوقُ.

وذاك التأويل الخاطئ لو أسقطناه على شخصيّتي الموْقف الروائي (غوما وأسوف) لقلنا: إنه يُرغم الشيخ غوما بعْدًا إلى الانتقال في حواره مع ابنه إلى الفعل اللّغوي المباشر، وهو: توقّفْ[3].

وهكذا من خلال توظيف الكوني لكفاءته التداولية وتطبيق هذا الحدث الكلامي غير المباشر عبْر شخصيتيْه استطاع أن يتواصل معنا بأكثر ممّا تحدَّث به في الواقع؛ إذ اتّكأ على خلفيّتنا المعرفيّة المشترَكة، سواء اللغوية، أعني: المفردات ومستوياتها اللسانية، أو غير اللّغوية كالإيماءات والوضع الجسمي والمسافة الاجتماعية (منزلة الباثّ من المتقبّل) في هذا الموقف[4]، بمعنى أنه: وظّف السياق، والمقام، والموقف في مُساعدته لإيصال مقصده إليْنا.

---

(1) سبق التعريف بالمستوى التداولي، ينظر: مطلب الأقوال المضمرة في الفصل الثاني.

(2) ينظر: الحباشة، صابر، من قضايا الفكر اللساني، ص22.

(3) ينظر: نفسه، ص22.

(4) ينظر:

Searl, John R: Expression and meaning. Cambridge University Press,1999 pp31-32

نقلًا عن الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص392، وينظر: القارصي، محمد علي: البلاغة والحجاج ضِمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي، صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د. ط، 1999، ص399.

وعليه، فإن الكوني لم يقتصر عند استعمال فعله اللّغوي غير المباشِر على توظيف كفاءته العامة، العقلية منها والاستنتاجية، وكفاءته اللغوية، بأن اكتفى بملفوظه الصحيح صوْتًا، وصرفًا، وتركيبًا، ودلالة، بل أردفه بكثير من العوامل المخزَّنة في قوالب/ تعابير الكفاءة التداولية(1).

كما أنّ الكوني بلَّغنا من خلال توظيف هذا الفعل اللغوي غير المباشر (وهو حُكم يصدق على أيّ فعل لغوي غير مباشر مماثل) عبر شخصيتيْه غوما وأسوف بأن ما يقوله/ يكتبه فِعلًا، يعتمد على الخَلفيّة الإخباريّة المتبادَلة والمتقاسَمة، وعلى الإخبار اللساني المعتمِد على الدّوال ومستوياتها اللّغوية، وغير اللساني المعتمِد على القرائن الحالية والمعارف المشتركة2، وعلى قدرة الاستدلال العقلي للمتلقي(3).

ومن كل ما سبق نفهم أنه في حالة هذا الفعل القولي غير المباشر الدّال على الطلب(ولا يمنع أن يكون في غير الطلب أيضًا) كان المحتوى المقصود مطابِقًا للشرط الضروري لإنجاز فعل القول، أي أن: الطلب وهو المحتوى المقصود في الشاهد ينتمي إلى حدودنا وقدراتنا(4).

وطبعًا لا يفوتنا أيضًا اعتبار عبارة الكوني التي أوردها على لسان غوما أيضًا في هذا النص: "**أين الرجولة؟ هل فقدت الرجولة ؟ هذه لغة النساء!**"؛ إذ لا يستفهم غوما ولا يخبر بأن هذه لغة نساء فقط، وإن كان ذلك قوة إنجازية أولى؛ لكنّ حقيقة قصده الرئيس أنه ينجز فعلًا كلاميًّا غير مباشر أيضًا هو الطلب، بقوّة إنجازية مستلزَمة هي الزّجر.

وأخيرًا هذه ملاحظة فنّية تخصّ هذا النص الذي حاولتُ قراءته تداوليًّا توًّا، وأخرجت منه ديْنك الشاهديْن، هذه الملاحظة إجابة لسؤال قد يخطُر على المتلقي هنا، هو: لم لم تدمج الشاهديْن

---

(1) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص392، وقد سبق الحديث عن هذه الكفاءات التأويلية في توطئة الفصل الثاني.

(2) تمَّ التّطرّق إليها قبْلًا في توطئة الفصل الثاني عند الحديث عن الكفاءات.

(3) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص72.

(4) ينظر: دايك، فان، النص والسياق، ص271.

معًا وتُريحنا؟ فأجيب بأنه نظرًا لشعوري بأن دمج ديْنك الشاهديْن في التحليل قد يسبّب ربكة في الفهم رأيتُ فصلهما.

المطلب الرابع: صورة الجواب غير المباشر

بادئ بدء أنوّه إلى أن عنوَنة هذا المطلب: "أفعال كلامية غير مباشرة في صورة جواب غير مباشر"، أو اختصارًا:"صورة الجواب غير المباشر"، هي مُستوحاة من تعريف لـ "نحلة" بهذا النَّمط من الأفعال، يقول فيه:"لفت سيرل إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية غير المباشرة يرتبط بما يسمّى الاستلزام الحواري Conversational Implicature، وأصبح الآن نظرية متكاملة في إطار التداولية والنحو الوظيفي. ويتّضح هذا النوع من الأفعال من المحاورة القصيرة الآتية بين طالب وصديقه:

أ- ألا تزورني الليلة؟

ب-سأمتحن صباح غد"(1).

والباحث إذ يتحفّظ على تعبير نحلة "يرتبط بما يسمى الاستلزام الحواري"؛ لأن كل الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة مرتبطة بالاستلزام الحواري شئنا أم أبيْنا، بل إن الحلول التي اقترحها سيرل في إشكال: كيف نقول شيئًا ونقصد شيئًا آخر؟ وكيف فهم المخاطَب ما نريد ونحن لم نتفوّه بما نريد؟ الحلول اعتمدتْ عنده على الاستلزام الحواري، وكنتُ قد تطرّقتُ إلى ذلك عند تحليلي للأفعال الكلامية في هذا الفصل، ربما كان على نحلة القول:"يرتبط هذا النوع بما يسمى الاستلزام الحواري أكثر من غيره"، والباحث إذ يتحفّظ يقترح تسمية هذا النوع بـ: "أفعال كلامية غير مباشرة في صورة جواب غير مباشر".

مباشرة أتجه الآن إلى التطبيق والتوظيف والتحليل في نصوص رباعية الكوني:

---

(1) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص82-83.

"*قالت [باتا] باسمة:*

- *آ... عريسي [آيس]. بماذا جئتني؟*
- *خالتي تقول ان[1] هذا نصيبك من خبز العيد الذي أعدته البارحة.*
- *خبز التنور. هذا ألذ خبز وهي أحسن من يتقن صنعه! تشرب حليبًا أم لبنًا؟*

هزّ رأسه علامة الرفض وهو يجلس على الكليم بجوارها:

- *لقد شربت.*
- *ربما خبز بالسمن؟*
- *لقد تناولت الإفطار"[2].*

من خلال هذا النص الحواري يوظِّف الكوني –وعبْر شخصيّتيْه– فعليْن كلاميين غير مباشريْن صنف: الجواب غير المباشر، هما:

– الفعل الكلامي الأول، صنف الجواب غير المباشر، هو قول الكوني الذي أنطق به آيس: "لقد شربت"؛ الصادر من آيس ردًّا عن سؤال باتا: تشرب حليبًا أم لبنًا؟ إذ هو جواب غير مباشر، يُماثل فعل الرفض، ومنه نفهم أن آيس يتحدَّث جمُلًا لا كلمتيْن؛ إذ يقصد: لا أريد أن أشرب أيًّا منهما؛ لأنني شربتُ حليبًا ولبنًا قبل قليل، قبل مجيئي.

الواضح أن الردّ الذي استنطق به الكوني آيس ليس جوابًا مباشرًا عن طلب باتا؛ لكن نفهم منه –نحن المتلقين– أمران: أحدهما مباشر حرفي دلالي وهو الإخبار بشُرب آيس قبْلًا، والآخر غير مباشر قصديّ ضِمنيّ تداوليّ وهو رفض شرب الحليب أو اللبن، أيّ أن آيس أنجز فعل الرفض من خلال قوله: "لقد شربت".

---

(1) "ان" بهمزة وصل هكذا في نصها، والصواب "إن" بهمزة قطع مكسورة؛ لأنها سُبقتْ بقول.

(2) الخسوف: 80/1.

ومع هذه القراءة التداولية ومتابعةً لمساءلة النص لا تُنكر دور الإيماءات الحركية في فهم معنى الرفض، التي خبَّرنا عنها الكوني بقوله: "*هَزّ رأسه علامة الرفض*"؛ لكن يبقى إنجاز الفعل الكلامي غير المباشر (الجواب غير المباشر) في هذا الموقف عاملًا أساسيًّا، منهيًا لأيّ تردّد في فهم الفعل الكلامي غير المباشر، أعني: الرفض[1].

– الفعل الكلامي الثاني غير المباشر، صنف الجواب غير المباشر، هو: قول الكوني على لسان آيس أيضًا: "لقد تناولت الإفطار"؛ الصادر من آيس ردًّا عن سؤال باتا أيضًا: "ربما خبز بالسمن؟"؛ إذ هو جواب غير مباشر يُماثل فعل الرفض أو الاعتذار كالفعل الكلاميّ الأول الذي أدّاه، ومنه نفهم أن آيس يتحدَّث جمُلًا لا جملة واحدة ، ويقصد: لا أريد خبزًا بالسمن؛ لأني تناولتُ إفطاري قبل قليل، قبل مجيئي؛ فشبعتُ، ولا أريد أي أكل.

الواضح أن الردّ الذي أنطق به الكوني آيس ليس جوابًا مباشرًا عن طلب باتا؛ لكن فَهم منه المتلقّي الأول (باتا) وفهمنا منه –نحن المتلقين الخارجيين– أمران:

أحدهما: مباشر حرفي دلالي وهو الإخبار بتناول إفطار آيس.

والآخر: غير مباشر قصديّ ضِمنيّ تداوليّ وهو رفض شُرب الحليب أو اللبن أو الاعتذار عنهما، أيّ أن آيس أنجز فعل الرفض أو الاعتذار من خلال قوله:"لقد تناولت الإفطار"[2].

وإذا ما أدركنا أن الكوني بوعي منه أو من غير وعي استطاع من خلال نصّه السابق توظيف الإستراتيجية الاستدلالية السيرلية[3]، واستطاع أن يضع من خلالها أسس كيفية تلفّظ أسوف

---

(1) سبق الحديث عن دور الحركات الجسمية في فهم الأفعال الكلامية في هوامش هذا الفصل، عند المطلب الثالث من هذا المبحث.

(2) التحليل السابق مُستفاد، ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص84.

(3) إستراتيجية الاستدلال وضعها سيرل محاولًا بواسطتها توضيح كيف يمكن أن نقول شيئًا ونحن نريد شيئًا آخر؟ وكيف يفهم المتلقي ما نريد ونحن لم نقل له ما نقصد؟ وهذه الإستراتيجية تقوم على بيان اختلاف الهدف اللّاقولي الأوّلي عن الهدف الحَرْفي، ثمّ على استنتاج الهدف اللّاقولي الأوّلي، وهي تتكوّن من عشر نقاط تمثِّل نسقًا من

بشيء وهو يريد شيئًا آخر، إذا ما أدركنا ذلك استطعنا أن نقرِّر: أن تلك الإستراتيجية قد سمحتْ للمتلقّي الدَّاخلي "باتا" وللمتلقِّين الخارجيين "كلّ القرَّاء" بالتأكيد على أن مناسَبة إخبار أسوف بأنه تناول إفطاره مختلفة عن مناسبة رفضه للدّعوة، كما سمحتْ لنا جميعًا بتعيين المناسَبة الحرْفية (الإخبار)، وبتحديد المعنى المقصود (الرّفض أو الاعتذار) على أنه هدف التعاون الحواري التخاطبي(1).

إذن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف تمكنّا من الانتقال من فهم الفعل الكلامي المباشر (الاستفهام) إلى الفعل الكلامي غير المباشر (الرفض أو الاعتذار)؟

للإجابة عن هذا التساؤل نطبِّق الإستراتيجية الاستدلالية السيرلية، التي أشرتُ إليها مِن علُ؛ في مراحلها/ خطواتها العشْرة على شاهدنا الأخير: "*لقد تناولت الإفطار*" من داخل نصّه كالآتي هي:

1- اقترحتْ باتا على أسوفَ أن تحضر له خبزا بالسمن فأجابها بأنه تناول إفطاره (حوار واقعي).

2- افترضتْ باتا تعاون أسوف معها؛ بأن يعرف الأخير أن هناك مقصدًا من وراء سؤْلها؛ وعليه؛ فسيكون جواب أسوفَ مناسبًا، بغضّ الطَّرف عن كونه إيجابيًّا بالقبول أو سلبيًّا بالرفض (مبادئ التعاون الغرايسي).

3- الجواب المناسب من أسوف قد يكون موافقة، أو رفضًا، أو اقتراحًا مُضادًّا، أو استفسارًا، أو... (نظرية الأفعال الكلامية).

القواعد الاستدلالية التي توضح كيفية قدرة المتلقّي على استنتاج الفعل غير المباشر المنجَز في مقام معيَّن. ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص166، وينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص69، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص174-175، وينظر: بنعيسى، أزاييط، الخطاب اللساني العربي: 2/249-250.

(1) ينظر: بنعيسى، أزاييط، الخطاب اللساني العربي: 2/249.

4- لكن المنطوق "لقد تناولتُ الإفطار" لا يعبّر في معناه الحرْفي عن أي شيء من تلك الأجوبة مِن علُ، وهذا يعني أنه لا يمثِّل ردًّا ملائمًا.

5- من المحتمل إذن أن أسوفَ يريد أن يقول أكثر ممّا نطق به، وستفترض باتا أن ردّ أسوف ردّ مناسب، وأن هدفه الإنجازي القصدي مُخالف للهدف الإنجازي الحرْفي.

6- تَعرف باتا أنه لا يمكن تناول فطوريْن في وقت واحد حسب قدرة الإنسان الطبيعي (معرفة خلفية).

7- من المحتمَل إذن أنه لا يمكن لأسوفَ تناول فطوريْن في وقت واحد.

8- تعرف باتا أنك إذا أردتَ أن تُطاع فاطلب المُستطاع، وبتعبير سيرل نقول: إنها تعلم أن أحد الشروط التمهيدية لقبول أيّ دعوة هو القدرة على إنجاز الفعل الذي يدل عليه المحتوى القضوي (نظرية الأفعال الكلامية).

9- تستنتج باتا أن أسوفَ بتفوّهه بتناول الإفطار تفوّه بشيء يفيد أنه ليس باستطاعته تناول الأكل.

10- الغرض القصدي لأسوف إذن هي رفض الدعوة(1).

وهذا **تنويه** يخصّ هذه الخطوات وهو أنه يجب علينا ألّا نعتبر هذه الخطوات أمرًا مقدَّسًا لا يمكن اختراقه؛ فقد أشار سيرل إلى أن عدد هذه الخطوات ليس ثابتًا؛ إذ يمكن أن يقلّ أو يزيد؛ وذلك حسَب الفعل الكلامي المراد إنجازه. كما أن نتيجة هذا الاستدلال احتمالية؛ ذلك أن الكوني يمكن أن يجعل أسوفَ في شاهدنا يواصل الحوار وَفقًا للمعنى المباشر، كأن يقول مثلًا: يجب عليّ ألّا أكثر من الأكل؛ لكن مع ذلك سأتناول خبزًا بالسمن؛ لكن ما يجب علينا التيقّن منه أن هذه

(1) في كل هذه الخطوات، ينظر: بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص166-167، وينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص174-175، وينظر: بنعيسى، أزابيط، الخطاب اللساني العربي: 2/249-250.

الإستراتيجية الاستدلالية التداولية تُفعَّل كلما كانت هناك أفعال قولية غير مباشرة؛ ذلك أنه عن طريق هذه الإستراتيجية تمكّنّا -نحن المتلقّين- بدءًا من معرفة الفيْصل بين الغرض الإنجازي الأصلي الدلالي والغرض الإنجازي القصدي التداولي، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى تعيين الغرض القصدي التداولي[1].

من كل ما سبق تتّضح أهميّة أفعال اللّغة في تحليل حوارات الرواية؛ إذ المواجَهة مباشرة بين طرفيْن، وفي هذه المواجَهة تقوم اللغة بوظيفتها المؤثِّرة في رسم مصالح الأفكار، والمصالح، والهويّات، والانتماءات، والولاءات، وربما في تأجيل الصراعات، أو تعليقها، أو تفاديها[2]، ومن هنا تظهر أهمية نظرية الأفعال الكلامية للمُحلِّل في كوْنها تَمدّه بتفسير للكيْفيّة التي تجعل بعض الأقوال من خطاب الحوار غير المُترابط ظاهريًّا على مستوى الأدوات يُشكِّل سلسلة مُتماسِكة معنويًّا[3].

وهاته بعض الملاحظات العامّة التي ارتأى الباحث طرحها ومناقشتها في نهاية هذا الفصل:

أولًا: المشكلة هنا فعلًا هي كيف تقول أو تكتب شيئًا وتريد شيئًا آخر؟ ثُمّ كيف يكون ممكنًا أن يسمع/ يرى المتلقي شيئًا له معنًى ويفهم منه معنًى آخر[4]؟ يقول التداوليون: إن الحل يكمن في نهج مبدأ التعاون الحواري الغرايسي[5]، حيث "من الممكن من وجهة نظر"غرايس" إعطاء أسباب لماذا تجد من الأنسب إذا رغبت من شخص أن يقوم بشيء ما من أجلك، أن تسأله

---

(1) ينظر: بدوح، حسن، المحاورة، ص174-175.

(2) ينظر: مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص54.

(3) ينظر: براون، جوليان، ومن معه، تحليل الخطاب، ص367.

(4) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص82.

(5) ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33-34، 82، وكنتُ قد خصَّصتُ لمبدأ التعاون الغرايسي مطلبًا كاملًا في الفصل السابق.

فيما إذا كان ممكنًا بالنسبة له فعل ذلك أم لا [الانتقال من المباشَرةِ إلى اللّامباشرة[1]]"[2]، وبما أسماه سيرل "إستراتيجية الاستنتاج" inference strategy عند السامع، التي تمكِّنه من الوصول إلى المعنى غير المباشر بعد عشر خطوات من الاستدلال التداولي[3]، بمعنى: أن نفهم أن الملقي يعطي معلومات لا تتجاوز سياقها، تكون واضحة ومختصرة وصادقة ومناسِبة؛ فإذا شعر المتلقّي بأن الملقي انتهك هذه الحِكم قام بعملية استنتاج المعنى المقصود[4]، و من هنا يأتي تعاون الباثّ مع المُتقبِّل واضحًا في ثقة الباثّ بالمتقبِّل بأنه سيتمكّن من تأويل ما قال تأويلًا مناسِبًا للسياق والمقام مُوظِّفًا الأخير آلية معرفته بالعالَم[5]، وعلى كلٍّ يُفهم من نظرية الأفعال الكلامية أنه: حيث التهكُّم، أو الدعوة العادية لفعل شيء، أو الدّعابة والمزاح، أو عدم وجود القدرة الكافية لدى المُلقي في التعبير عن نفسه بشكل مباشر، أو عدم القدرة على الطلب المباشر؛ تأدّبًا/ خوْفًا، أو توَقّع التجويز (مِن جَوَز وجائزة) بميزة تخاطبيّة اجتماعية، أو المراوغة في الحديث والتمتّع بفرصة الانسحاب، أو الاستمتاع بلذّة الكلام، أو إظهار التفوّق أمام الجمهور، حيث ذلك كله يكون موْقع الأفعال الكلامية غير المباشرة، وتوظيف اللّامباشَرة[6].

---

(1) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص114.

(2) ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م192/1.

(3) ينظر: دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص31-32، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص82، وقد سبق التعريف بهذه الإستراتيجية، والتّطرّق إلى هذا الحل في هذا الفصل.

(4) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، تقديم عام للاتجاه البرغماتي، ضِمن: أهم المدارس اللسانية، ص114.

(5) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص368-369.

(6) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص71، وينظر: ليش، جيفري، وتوماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) ضِمن: الموسوعة اللغوية: م193/1، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51، وينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص79.

ثانيًا: لابدّ من إشارةٍ في المنهجية التداولية –إن جاز المصطلَح– إلى ملاحَظة التداخل في تصنيف الأفعال أحيانًا، حيث إن "الإدلاءات" يمكن أن تتحوَّل إلى "إخباريات"؛ فبدلًا من "بِعتُ" الإدلائية في سياق داخلي لغوي هو تلفّظي أنا بهذا الفعل، وسياق خارجي اجتماعي معيَّن هو توْقيعي أنا برعاية رسميّة مؤسّستية عُرْفيَّة معتبَرة غير لغوية وموقف خارجي معيَّن هو عند إتمام الصفقة، قد يتحوَّل هذا الفعل إلى فعل كلامي إخباري في سياق داخلي لغوي آخر هو تلفّظي أنا بصيغة "بعتُ" في سياق خارجي اجتماعي هو وسَط حشود الناس في الشارع أو المنزل مثلًا، في موقف خارجي معيَّن هو فوْر انتهاء عقد الصفقة. تقول أرمينكو: "في الأخير نُشير إلى حالة تتقاطع فيها الإدلاءات مع التأكيدات، ففي بعض المواقف المحدَّدة مؤسَّساتيًا، لا نُؤكِّد فقط ما هي عليه الأحداث، بل نحن في حاجة إلى سُلطة تعلن عن قرار لما هي عليه الأحداث. لهذا يوجَد قُضاة [...]؛ لأن أقوالهم تُعدّ تأكيدات لـ: [...]، و"أنت مُجرِم"[(1)]، ويقول الطبطبائي:"يشير سيرل إلى مجموعة خاصّة من الأفعال المتضمَّنة في القول، التي يُرجعها إلى الإيقاعات، ويَصِفها بكوْنها تمثِّل منطقة تداخل مع التقريرات. وأمثلة هذه المجموعة تشتمل على قرارات القُضاة، مثل:"المُتَّهم مُذنِب" وقرارات الحكَّام في المباريات الرياضية"هذه إصابة"[(2)]، ويقول أزابيط: "غير أنه يلاحظ أن التَّصريحات [...] تتقاسم شرط صدق "الجزميّات" [...]، فمثلا: قد يَكذِب حَكم مقابَلة كرة القدم في حُكمه، ولكن لا يكذب من يُصرِّح أو يُعلن حرْبا، أو يعيِّن شخصًا في مَهمَّة ما [...] لذلك تتوَلَّد من هذا التقاطع فئة من الأفعال التصريحية الجزميَّة"[(3)].

---

(1) ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص68–69. بتصرّف في الضبْط.

(2) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص35. بتصرّف في الضبْط.

(3) ينظر: أزابيط، بنعيسى، الخطاب اللساني العربي: 212/2. بتصرّف في الضبْط.

والباحث إذ يعي هذا، تَراه لم يُشِر إلى هذا الصنف من الأفعال، وتسمياته في هذا البحث؛ لأن "سيرل" نفسَه تخلَّى عن هذه الأصناف المتداخِلة في كثير من كتاباته[1]، كما أن الباحث يرى أن الحل في كل هذا الإشكال هو عرْضه على مشْرحة المعيار التداولي المعروف، ألا وهو "السياق"[2]، بما فيه من مقصدية[3]. طبعًا؛ حيث يُفرَز المقصود فتعرف أن كان المقصد هو الإخبار، أو البيع(أقصد الفعل "بعتُ")، ثم تأتي المقصديات الأخرُ أو الأفعال الكلامية غير المباشِرة، كالتلفّظ بالصيغة متحسِّرًا، وهذا ما يحتاج إلى تسجيل صوتي ليُحدَّد فيه نبر الصوت والتنغيم إن كان شفهيًّا، أو علامات ترقيم إن كان مدوَّنًا، إذن هو السياق التداولي[4] سياق الاستعمال. يقول نحلة:" لعله قد ظهر أيضًا أن دراسة اللغة دراسة شكلية معزولة عن السياق [الداخلي و] الاجتماعي والثقافي لا يزال منقوصا، لا يكتمل إلا بوضع هذه الدراسة الشكلية على محك الاستعمال"[5].

إلّا أنه حتّى مع اعتبار ذلك المعيار فقد لحظ الباحث وقوع الخلاف بين التداوليين أنفسهم روّاد هذا المعيار، انظر مثلًا: إلى خلاف بيْن تصنيف مجموعة من الأفعال بين رائدي نظرية الأفعال اللغوية أوستين وسيرل، يقول عبد الحق:" يسلم سيرل بأن تعريف أوستن للأفعال الإلزامية تعريف رائع [...] غير أنه يضع عليه اعتراضًا تافهًا [...] مؤداه أن كثيرًا من الأفعال [...] التي

---

(1) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، ص36.

(2) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، ص79.

(3) المقصدية هي: ما يكون محرِّكًا للمنتِج من مُعتقدات وظنون وأوهام؛ لإنجاز ملفوظه، سواء أكانت مشعورًا بها أم غير مشعور. ينظر: مفتاح، محمد، دينامية النص، ص38، 50، 82.

(4) سبق تعريفه في الفصل الأول عند الإحالة القائمة على الإشارة.

(5) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص53.

أدرجها أوستن في قائمة على أنها إلزامية لا تنتمي إلى هذه الفئة على الإطلاق؛ مثل: [...] "أقصد" و"أمنح" وغيرها من الأفعال"[1].

(1) عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ص234.

الخاتمة

الحمد لله الذي تَتِمّ بنعمته الصالحات!...

وبعد، فهذا بحث تخصّص في اللسانيات العربية... حاول أن ينسج علاقة تكافلية بين عمل أدبي روائي وعلم اللسانيات، فرع التداولية اللّغوية؛ فاستقرأ، ووصف، وحلّل، ونقد، ورجّح، واختار، وصنّف شيئًا في مدوّنة الروائي العالمي إبراهيم الكوني، المعنونة بالرباعية الروائية، والمشهورة بالخسوف، وربَطها بالتداولية اللغوية، وَفق برنامج هنسن للتداولية؛ وذلك في صورة معالم. حاول الباحث أن يتبيّن مقاصد الكوني ويوظّف برنامج هنسن في الكشف عن تداولية الكوني في الخسوف، ثمّ ادّعى أنه أعدّ تصنيفًا للأفعال اللغوية غير المباشرة، استنتجها وحوّرها وطوّرها من مدوَّنات آخرين. توصّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التداولية، ظهرتْ في مقاصد خاصّة، ومقصد تداولي رئيس للكوني جمعها الباحث أثناء تحليله، المقاصد الخاصّة مصاحبة للشواهد التي جمعها الباحث، أما المقصد الرئيس فهو أن ينقل لنا الكوني جوّ الصحراء عامّة، والصحراء اللّيبية خاصّة؛ فيجعلنا نعيش معه الصحراء بحلوها ومرها، وإيجابياتها وسلبياتها، ونرى الجمال في أدبها، من خلال "الخسوف"، وذلك بوعي منه أو من غير وعي. خرج البحث بتوصيات هي: مشروع التداولية العملية بالمحاضرات العامة الثقافية لكل الطلاب في الجامعات، ومشروع الندوة التداولية الشارعية، وكذلك مشروع قاموس الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة للغة العربية، مع إمكانية أن تكون كل تلك المشروعات برامج تُبثّ عبر الإذاعات، وأيضًا إمكانية عرْضها في شكل عروض مسرحية: كوميدية أو تراجيدية، وتُحلّل وتُطوّر، ويستفاد منها في المجتمع وخاصة التحقيقات الجنائية والدراسات الحاسوبية والاجتماعية والنفسية والإعلامية.

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع، مصحف الجماهيرية، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، د. ط، 1980.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد النّجّار، ج1، دار الهدى، بيروت لبنان، ط2، د. ت.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل، تح: محمد قناوي، ومحمد خليفة، ج1، ج2، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، د. ط، 1973.
- ـــــــــــــــــــــ، شرح ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، د. ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، مصر، د. ط، 1977.
- ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- أبو خرمة، عمر، نحو النص، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2004.
- اجعيط، نور الدين، تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- الأحمدي، موسى بن محمد، معجم الأفعال المتعدية بحرف، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.
- أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2012.

- أرمينكو، فرنسواز، المقاربة التداولية، تج: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ط2، 1986.
- أزاييط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي -هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد) توليد المعاني المضمرة وفق أنحائها الملائمة،ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- إسبر، محمد سعيد، وجنيدي، بلال، الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، دار العودة، بيروت، ط1، 1981.
- استيتية، سمير، اللسانيات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدارا، عمّان، الأردن، ط2، 2008.
- إسماعيل، صلاح، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية، القاهرة، د. ط، 2005.
- الأصمعي، السجستاني،ابن السكيت، ثلاثة كتب في الأضداد، تح: اوغنت، هفنر، المطبعة الكاثولوليكية، بيروت، د. ط، 1912.
- أوركيوني، كاترين كيربرات، المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء، تج: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1992.
- أوشان، علي آيت، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، دارالثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

- إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبوزيد، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- إيلام، كير، سيمياء المسرح والدراما، تر: رئيف كرم، المركز الثقافي العربي، د. ب، د. ط، 1992.
- بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- براون، جوليان، ويول، جورج، تحليل الخطاب، تر: منير التريكي، محمد الزليطني، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، د. ط،1993.
- البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تج: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007.
- بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.
- بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل: قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- ـــــــــــــ، اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.
- تشومسكي، نعوم، البنى النحوية، تج: عزيز، يوئيل يوسف عزيز، والماشطة، مجيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987.

- الثمانيني، عمر بن ثابت، الفوائد والقواعد، تح: عبد الوهاب الكحلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: الإسكندراني، ومسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1996.
- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، كتاب التعريفات، تح: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، د. ط،1991.
- الجرجاني، محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997.
- الحباشة، صابر، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صفحات، دمشق، سورية، ط1، 2008.
- ـــــــــــــ، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب: مقاربة عرفانية تداولية، دار زهران، عمان، ط1، 2011.
- ـــــــــــــ، من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2009.
- ـــــــــــــ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2011.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، 1973.

- الحسن، شاهر،علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2001.
- خطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
- خليل، أحمد خليل، معجم المصطلحات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995.
- الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
- دايك، فان، علم النص: مدخل متداخل التخصصات، تج: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1،2001.
- ـــــــــــــــ، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، د. ط، 2000.
- دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تج: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د. ط،1992.
- ديكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تج: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
- روبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- الزناد، الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- زيدان، محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2002.

- ساسي، عمار، منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب: دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، ج2، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
- سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، تج: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- ــــــــــ، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، تج: صلاح إسماعيل، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، والمركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011.
- الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحوية العربيّة "تأسيس نحو النّصّ"، م1، م2، جامعة منوبة، منوبة، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط1، 2001.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ط1، 1999.
- صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداوليّة لظاهرة"الأفعال الكلاميّة"في التراث اللِّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- صمود، حمادي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د. ط، 1999.
- طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية، م2، دار العلوم، الرياض، د. ط،1982.

- الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د. ط، 1994.
- طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- عبد الجليل، عبد القادر، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، دار صفاء، عمّان، الأردن، ط1، 2006.
- عبدالحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2006.
- ـــــــــــــــــ، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- ـــــــــــــــــ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2،2000.
- العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، تح: محمد سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د. ط، 1997.
- عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 2006.
- علوي، حافظ، التداوليات،عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.

- علي، محمد محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- ـــــــــــــــــــــــــ، وصف اللغة العربية دلاليا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، د. ط، 1993.
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993.
- عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- الفروق اللغوية، تعليق: محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2006.
- الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، ج2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د. ط، د. ت.
- قدور، أحمد، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- قيقانو، انطون، معجم تعدّي الأفعال، دار المراد، بيروت، لبنان، د. ط ، 1998.
- كروم، أحمد، الاستدلال في معاني الحروف دراسة في اللغة والأصول، دارالكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،2009.
- الكفوي، أبو البقاء، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مقابلة: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
- ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 2011.

- كولنج، أ.د.ن.ي، الموسوعة اللغوية، م1، تج: محيي الدين حميدي، وعبدالله حميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، د. ط، 1990.
- الكوني، إبراهيم، الخسوف رباعية روائية،ج1،2،3،4، تاسيلي للنشر، لامازول، قبرص، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط2، 1991.
- لايكون، جورج، وجونسون، مارل، الاستعارات التي نحيا بها، تح: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009.
- مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تج: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008.
- مبارك، المبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
- المبخوت، شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عضيمة، ج3، عالم الكتب، بيروت، د. ط، 2010.
- المتوكل، أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط1، 1993.
- ـــــــــــــــــ، الخطاب وخصائص اللغة العربية. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010.

- ـــــــــــــــــــــــ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
- ـــــــــــــــــــــــ، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، المغرب، د. ط،2003.
- ـــــــــــــــــــــــ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، المغرب، د. ط،2001.
- مزيد، بهاء الدين، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.
- مطلوب، أحمد، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، د. ط، 1980.
- ـــــــــــــــــــــــ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006.
- المعهد القومي لعلوم التربية، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، د. ط، 1986.
- معوض، حروف المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د. ط، 2008.
- مقبول، إدريس، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
- موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010.
- ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، كلية الآداب، منوبة، تونس، والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

- النجار، أشواق محمد، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، دار دجلة، عمّان، الأردن، ط1، 2008.
- نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د م، مصر، د. ط، 2002.
- الواعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
- الولي، محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- اليماني، يحيى، الطراز، تح: الشربيني، شريدة، دار الحديث، القاهرة، ط2، 2010.

ثالثًا: الدوريات:

- أبو هيف، عبد الله، اللغة والاتصال والتداولية، مجلة التعريب، د. م، د.ب، 2006.
- أديوان، محمد، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة وآدابها، تلمسان، الجزائر، ع1، 1994.
- بلوحي، محمد، اللسانيات التداولية: نظرية أفعال الكلام الأسس والمفاهيم (أوستين وفان دايك)، كتابات معاصرة، د. ب، د. ع،2005.
- جمال، وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية "قراءة تداولية ثقافية"، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، م2، ع2، 2006.
- الحباشة، صابر، تلوين الخطاب الأبعاد التداولية في شروح التلخيص (نموذج طريقة الدسوقي في الشرح)، مجلة كتابات معاصرة، د م ب ع،2003.

- ـــــــــــــــــــــــ، مدخل إلى الأبعاد التداولية في قراءة الشروح البلاغية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، د ب ت، ع100/25.
- حمداوي، جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، مجلة العربية والترجمة، د. م، د. ب، د.ع. 2012.
- صبحي، كاميليا، تداولية Pragmatique، مجلة الألسن للترجمة،2002،ع3، 2002.
- صفا، فيصل، نحو النص في النحو العربي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت،ع23/92، 2005.
- فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، م20، ع3، 1989.

رابعًا: البحوث الأكاديمية:

- حامدة، ثقبايث، 2012، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري تيزي وزو، تيزي وزو، الجزائر.
- الحسن، أحمد حسن إسماعيل، 2009، الفائدة التخاطبية في النحو العربي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- دلكي، خالد حسين،2011، البعد البراغماتي لنظرية تحليل الخطاب"التخاطب في القصص القرآني أنموذجا"(رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

خامسا: المراجع الأجنبية:

Halliday, M. A. K. and R. Hasan 1976 Cohesion In English Longman. London.

سادسًا: الملتقيات والنداوات والمؤتمرات والبرامج الإذاعية:

- الجعافرة، ماجد، وطلافحة، أمجد، المرجعيات في النقد والأدب واللّغة، م1، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، جامعة اليرموك، إربد، الأردن،27-29 تمّوز2010، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2011.
- فطومة، لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي"، جامعة بسكرة، الجزائر،15-17 نوفمبر2008، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر، د. ط، 2008.
- الميساوي، خليفة، خطاب الفرد -خطاب الطبقة، ضمن: أعمال ندوة قضايا المتكلم في اللغة والخطاب، جامعة القيروان، كلية الآداب، القيروان، تونس، مارس، 2004، دار المعرفة للنشر، تونس، د. ط، 2006.

سابعًا: مواقع الشبكة المعلوماتية : موقع أ.د محمد سعيد ربيع الغامدي

www.mohamedrabeea.com/books/book1_441.doc

- موقع دروب.www.doroob.com مقال د. جميل حمداوي، من أجل مقاربة قرائنية لديوان"غنج المجاز"لجمال أزراغيد. الشبكة العنكبوتية، 27/ مايو/2011.

ABSTRACT

El Saghayer, Ibrahim Abdalla Suliman. The Features Of Lingual Pragmatics at Ibrahim al quni (Linguistic reading of arewaya arubaya). Doctoral Dissertation, Yarmouk University, Irbid, Jordan. 2012/2013. Supervisor: Dr. Omar Okasha

subsumed under the study of linguistics, specifically, linguistic pragmatics. It includes two parts theoretical and practical. The objective of this study was to explore the linguistic pragmatic contours in Al Koni's novel "Al Khsoof" by studying his intents and endpoints and attempting to link novel texts with context and situational context by employing mechanisms of reference, pragmatic inference, interpretation, speech acts, interpretative competence, encyclopedic background, and common universal knowledge techniques using the descriptive approach, pragmatic analysis and functional analysis.The researcher studied Pragmatic Function of Reference, Pragmatic inference and interpretation and Speech acts and related pragmatic functions in Al Koni's Tetra Novel including indirect speech acts and direct speech acts. The researcher said about the latter that he had drawn them out and coined from writing of others. The study revealed that Tdawlyaa contours in Al Khsoof demonstrated in Al Koni's employment of the three levels of linguistic pragmatics, and highlighting a set of Tdawlyaa intentions peculiar to Al Koni in his work Alkhsoof with prime Tdawlyaa intention, i.e. the attempt by Al Koni to represent the life of desert, in general and that of the Libyan desert in particular, by conveying to reader to live with him the desert life both happy and bitter days, negatives and positives, so that to live the beauty of desert literature through his epic novel "Al Khsoof" whether consciously or unconsciously.

This study recommends practical Tdawlyaa aiming at raising cultural awareness of college students, public Tdawlyaa workshop; lexicon of Arabic direct and indirect speech acts; and further developing such project to be presented on radio or performed in form of comic or tragedic works.

Key Words: Linguistic Pragmatic, Reference, Pragmatic Inference, Pragmatic Interpretation, implicit speech, Direct Speech Acts**,** Indirect Speech Acts